الجمال المهدوي

يوسف الزهراء (ع)



قصة النبي يوسف وارتباطها بالإمام المهدي عج

مشكاة النور

خادمة المنبر الحسيني الحاجة : فاطمة علي الجعفر

الجمال المهدوي

يوسف الزهراء

قصة النبي يوسف وارتباطها بالمصلح الإلهي

خادمة المنبر الحسيني

الحاجة فاطمة علي الجعفر

(أم أسامة الحواج)



للاستفسار

٩٩٦١٢٢٨٤

الإهداء

إلى باب الله الذى منه يؤتى
إلى وجه الله الذى إليه يتوجه الأولياء
إلى السبب المتصل بين الأرض والسماء
إلى صاحب يوم الفتح و ناشر راية الهدى
إلى الطالب بذحول الانبياء وأبناء الأنبياء
إلى الطالب بدم المقتول بكربلاء
إلى ابن النبي المصطفى وابن علي المرتضى
وابن خديجة الغراء، و ابن فاطمة الكبرى
إلى مولانا وقائدنا وإمام زماننا وربان سفينتنا
الإمام الحجة ابن الحسن المهدي أرواحنا فداه

المقدمـــة

الحمد الله الذي خص بالبلاء من عباده المحبين النجباء.. أفاخم الأنبياء وأعاظم الأوصياء.. ثم الأماثل من الأولياء.. والبررة من الأتقياء.. والصلاة على أصفى الأزكياء وأزكى الأصفياء.. وأحب أهل الأرض إلى أهل السماء محمد وأهل بيته المعصومين السفراء.. المخصوصين بطرف البلاء.. المكرمين بتحف العناء الذين لم يرضوا بمكابدة الليل والنهار في طاعة رب السماء.. حتى رملوا الوجوه في الثرى.. وخضبوا اللحاء بالدماء واللعنة الدائمة على ظالميهم وأعدائهم إلى يوم الدين.

من الواضح والمؤكد إن النبوة هي مرتبة عالية ودرجة سامية ومقام مقدس بإعتبارها تمثل رسالة الخالق (عز وجل) إلى الناس لهدايتهم ورعايتهم فهي لطف إلهي ونعمة كبيرة وعظيمة، والإمامة هي امتداد لتلك النبوة وذلك اللطف وهي مكملة للرسالات السماوية، والأئمة هم خلفاء الأنبياء وأوصيائهم وهم حجج الله من بعدهم، ومن البديهي إن هذه الرسالات والنعم والألطاف ذات قيم إنسانية وروحية عالية ذات مضامين واحدة ومشتركة والأدوار والمهام التي قام بها الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) في حمل أعباء الوحي والرسالة عبر التاريخ من جهه ، وبين الأدوار والمهام التي قام ويقوم بها الأئمة (عليهم السلام) من جهه أخرى بإعتبارهم خط ومنهج واحد يكمل بعضه البعض رغم اختلاف الزمان والمكان فالأهداف واحدة والأدوار مختلفة ومتعددة، وعلى سبيل المثال لا الحصر سوف نسلط الضوء على أوجه التشابه في معطيات الرسالة التي تكلف بحملها نبي الله يوسف عليه السلام وبين الأطروحة السماوية لدولة العدل الإلهي التي تكلف بإقامتها الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) وذلك لإرتباطها المباشر بواقعنا الحاضر رغم الفترة الزمنية البعيدة فهناك عدة نقاط وعوامل مشتركة ومتشابه بينهما في الأداء الرسالي علماً أن الهدف والمضمون لايتغير وهو إصلاح المجتمع الإنساني وإقامة أسس العدالة الثابتة والصحيحة.

ففي تفاصيل حياة النبي يوسف عليه السلام مرآة حقيقية تعكس الوجه المرتقب لسيرة حياة الامام الحجة (أرواحنا فداه).. فضلا «عن الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي تقرن شخصية ذلك النبي بشخص الإمام المهدي عليه السلام فعن أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: إن في القائم سنة من يوسف» ومن النقاط الرئيسية التي يتشارك فيها النبي يوسف والإمام المهدي عليهما السلام، الغيبة الطويلة التي طالت على نبي الله يعقوب بغياب حبيبه يوسف وغيبة الإمام المهدي التي طالت على محبيه وعلى أمه الزهراء عليها السلام التي ترتجي ظهوره يوماً بعد يوم للأخذ بثأرها ولتحقيق العدل الإلهي في الأرض، ومن هنا صار أحد ألقاب المهدي (يوسف الزهراء) وطالما ناداه المؤمنين بهذا الاسم كما أن هناك روابط وتناسب بين اليوسفين يوسف آل يعقوب ويوسف آل محمد «يوسف الزهراء» والتناسب من عدة جوانب (جمالاً وأهدافاً وخلقاً وكمالاً) فيوسف الزهراء يعني جمال فاطمة الزهراء عليها السلام وما أدراك ما فاطمة ففي جمالها بهجة لا حدود لحدودها ولا عقل ولا فهم في إدراكها لهذا وصف هذا النور بالعزة «اللهم والحقني بنور عزك الأبهج» لأن عزة الله سوف تظهر للمؤمنين شهوداً وحضوراً في الطور المهدوي الاستخلافي ففي الانتظار يوجد إيمان غيبي وغاية هذا الإيمان المنتظر هو اللحوق بهذا النور الأبهج في قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾. وفي دعاء الندبة (أين معز الأولياء ومذل الأعداء) وضعت بين أيديكم إصداري الجديد «**الجمال المهدوي يوسف الزهراء**» سطرت فية شذرات من الجمال المهدوي راجية من الله القبول وحسن المأمول.

خادمة المنبر الحسيني
الحاجة فاطمة علي الجعفر
(أم أسامة الحواج)
٢٠١١/٦/٢٢م

(١) بحار الأنوار: ج١١ ص٥٨ ب١ح٦١ .

قف بدر شعبان كفاك رحيلا

قف بدر شعبان كفاك رحيلا ... كن للبدور النيرات دليلا
هيا تعال مع النجوم مباركا ... واطبع على خد السما تقبيلا
ثم انوها لجبين غرة أحمد ... وحذار يا بدر السما تأجيلا
وامش الهوينى واتئد في خطوة ... مشي الكرام إذا أتين جليلا
وخذ الثريا وارتقي فيها إلى ... أوج السماء وعلق القنديلا
ثم استهلي يا غيوم وبللي ... من عطرك مائك روضنا تبليلا
وتجملي كبد السماء وجملي ... بنجوم ليلتنا تجميلا
وتلثمي شمس النهار فإنني ... شفقاً عليك من الضياء افولا
وخذي القلوب فداً له ثم انسجي ... لتراب مقدمه الفدا إكليلا
هذا دليل الحائرين أتى لنا ... أو هل تريد إلى الدليل دليلا
هذا الذي كل الكمال سعى له ... يرجو به من فضله التكميلا
هذا كتاب الحق ينطق باسمه ... سنريهم الآيات والتأويلا
ها قد أتانا غرس آل محمد ... ويشيره منذ القرون الأولى
فلذا أتينا نحتفي بقدومه ... فلنرفع الصلوات والتهليلا
لا لاتته بدر السما ولئن بدا ... فاسبل لجفنك يا هلال سدولا
فالشمس دون ضيائه والبدر دون ... جماله والنجم ليس مثيلا
لو شع طرف من حقيقة نوره ... لارتد طرفك من سناه كليلا
طبع الجمال عليه من قسماته ... عفواً أورمنه الجمال سليلاً
طلّت لنا البشرى بميلاد الهدى ... فاخضل دمعي في العيون بليلا

ولد النجيب فذاك وعد محمدٍ هيات وعد محمد تبديلا
ولد الإمام فزغردي يا فرحتي بل كبرى بل هليلي تهليلا
ولِد الأئمة كلهم في مهده فلذا اغتدى للوارثين وكيلا
مهد به سر الآله مقمطٌ أوليس ذاك به الكتاب نزيلا
مهدٌ حوى مهد الحسين بكربلا سيذيق كرباً للطغاة وبيلا
لا غرو أنك قد بعثت لنا هدىً فلقد أتيت من الرسول رسولا
إذ أنت من فيض الآله تمدنا ما غبت عنا بكرة وأصيلا
فشبهت عيسى حيث لا حملا بدا افهل غدا نفخ اللآه بديلا
فالروح عيسى من حواري سيدي سل إن شككت بذالك الإنجيلا
وشبهت موسى حيث غاب تخوفاً لكن بدا منك المغيب طويلا
ولقد رأيتك للهداية خاتماً كختام جدك هادياً ورسولا
صلوا على آل النبي بمولدٍ منه اغتدى جفن الزمان كحيلا

❖❖❖❖

لشاعر أهل البيت

الحاج جعفر علي الجعفر



يوسف الزهراء

اسم يوسف الزهراء وعلاقته بالغيبة والانتظار

يوسف الزهراء

يوسف الزهراء قد طال الغياب	فمتى تشرق من خلف الجنان
تنشر العدل على كل البقاع	وتعيد الحق من جور الزمان
فلقد ضاق من الصبر الفؤاد	وممتلى من غصص الدهر الهوان
وبقى يجثو على الأنفاس ليل	الظلم يغتال من الفجر الأمان
أيها الصديق يا ثأر الحسين	أدرك الزهراء بالخطب الجليل
وامسح العينين عن دمع المصاب	حينما تأتي بثارات القتيل
ومرر الكف على الأضلاع تلقى	دمها لا زال بالترب يسيل
وبجنبيها ستلقى للجنين	خرّ بالأعتاب معفورا جديل

❖❖❖❖

اسم يوسف الزهراء وعلاقته بالغيبة والانتظار

للإمام صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه) الكثير من الأسماء والألقاب وقد ورد في كتاب (النجم الثاقب) أنها بلغت مئة واثنين وثمانين اسماً. فهذه بعض هذه الأسماء والسبب في تسميته بها:

١- بقية الله:

روي أنه إذا خرج (عجل الله فرجه) أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأول ما ينطق به هذه الآية ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] ثم يقول: **أنا بقية الله وحجته وخليفته عليكم**. فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: **السلام عليك يا بقية الله في أرضه**.

(١) سورة هود: آية ٨٦.

بقية الله يعني أنّ الإمام المنتظر البقية الباقية من الأنبياء، البقية من آدم، البقية من إبراهيم الخليل، البقية من عيسى بن مريم، البقية من نوح، البقية من يعقوب، البقية من محمد المصطفى ﷺ.

الإمام المهدي وارث علم الأنبياء، الإمام المهدي إذا ظهر يعيد أمجاد الأنبياء، المهدي المنتظر إذا ظهر يتحقق على يديه ما لم يتحقق على يد الأنبياء.

٢- الإمام حجّة الله:

الإمام المهدي حجة الله على أهل الأرض وعلى من في السماء، وعلى من مضى وعلى من يأتي. فالإمام ما أكبره، ما أعظمه. لذلك هذه الدنيا الآن تهتز بشراً بمولد الإمام العظيم.

«**السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى، السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسماء** -فالإمام حجة على أهل الأرض، وحجة على أهل السماء، على الملائكة- **أشهد أنك الحجة على من مضى، وعلى من بقى، على الأمم الماضية**، المهدي حجة على الأمم الباقية الموجودة، المهدي حجة على الأمم التي ستأتي».

٣- الخلف او الخلف الصالح:

تكرر ذكره (عجل الله فرجه) بهذا اللقب على السنة الائمة (عليهم السلام) والمراد بالخلف -الخليفة- فهو (عجل الله فرجه) خلف لجميع الأنبياء والأوصياء السالفين وعنده جميع علومهم وخصائصهم وصفاتهم والمواريث الإلهية التي تنتقل من نبي أو وصي إلى آخر وكلها مجموعة عنده فقد جاء في حديث اللوح المشهور الذي رواه جابر بن عبدالله الأنصاري عن السيدة الزهراء عليها السلام بعد ذكر العسكري «**وإذ ذاك**

أكمل هذا بأبن أو خلف يكون رحمة لجميع العالمين عليه كمال صفوة آدم ورقة إدريس وسكينة نوح وحلم إبراهيم وشدة موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب».

٤- الشريد:

تكرر ذكر هذا اللقب على لسان الأئمة (عليهم السلام) وخاصة على لسان أمير المؤمنين والباقر (عليهما السلام) والشريد بمعنى الطريد أي المطرود من هذا الخلق الضال الذين لا هم عرفوا قدر نعمة وجوده ولا هم أقبلوا على إداء حقه وإداء واجب شكره وها هو (عجل الله فرجه) يقول لإبراهيم بن علي بن مهزيار «**إن أبي ﷺ عهد إلي أن لا أوطِّن من الأرض إلا أخفاها وأقصاها إسراراً لأمري وتحصينا لمحلي من مكائد أهل الضلال إلى أن قال لي ﷺ فعليك يابني بلزوم خوافي الأرض وتتبع أقاصيها فأن لكل ولي من أولياء الله عز وجل عدواً مقارعاً وضداً منازعاً**».

٥- الغريم:

هو من الألقاب الخاصة به والشائع ذكره (عجل الله فرجه) في الأخبار بها. والغريم تعني الدائن وتعني المدين أيضاً والظاهر أن المقصود بها الدائن وهذا اللقب في قولهم الغريم إذا أريد الإشارة إليه من باب التقية فكان الشيعة إذا أرادو إرسال مال إليه أو إلى وكلائه أو أرادوا أن يوصوا أو أن يطالبوه بشيء دعوه بهذا اللقب وكان (عجل الله فرجه) دائناً لغالب أرباب الزراعة والتجارة والصناعة والحرف.

٦- القائم:

أي القائم بأمر الله وقد سمي (عجل الله فرجه) بالقائم بأمر الله لأنه لا يزال ليل نهار يترقب أمر الله عز وجل ليظهر بمحض الإشارة وقد روي انه سمي بالقائم لانه سيقوم بالحق. وعن أبي حمزة الثمالي قال: سألت الباقر عليه السلام يا ابن رسول الله ألستم كلكم قائمين بالحق؟ قال: بلى، فقلت: فلم سمي بالقائم؟ قال: لما قتل جدي الحسين عليه السلام ضجت الملائكة إلى الله عز وجل بالبكاء والنحيب وقالو: إلهنا وسيدنا أتغفل عمن قتلوا صفوتك وابن صفوتك وخيرتك في خلقك؟ فأوحى الله عز وجل إليهم: قروا ملائكتي فو عزتي وجلالي لانتقمن منهم ولو بعد حين. ثم كشف الله عز وجل لهم عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام فسرت الملائكة بذلك فإذا احدهم قائماً يصلي فقال عز وجل: **بذلك القائم انتقم منهم.**

٧- المنتظر:

وقد سمي (عجل الله فرجه) بالمنتظر لأن كل الخلائق تنتظر مقدمه المبارك وتنتظر ظهور الحق على يديه فجميع محبيه ينتظرون ظهوره بفارغ الصبر ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. وقد شاع استخدام هذا اللقب كثيراً للاشارة إليه.

٨- الماء المعين:

أي بمعنى الظاهر الجاري على الأرض وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في تفسير الآية الكريمة: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾**[١] بأنها نزلت في القائم (عجل الله فرجه)

(١) سورة الملك: آية ٣٠.

فيقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لاتدرون إلى هو فمن يأتيكم بأخبار السماء والأرض وحلال الله عز وجل وحرامه؟ ثم قال: والله ما جاء تأويل هذه الآية ولا بد أن يجيء تأويلها وقد شبه (عجل الله فرجه) بالماء المعين لأنه سبب حياة كل شيء ظاهر بل أن الحياة جاءت سبباً لذلك الوجود العظيم.

٩- يوسف الزهراء:

من أين جاء هذا الاسم ومن الذي أطلق على الإمام المهدي عجل الله فرجه؟

يقول أحد الباحثين حاولت أن أعرف من أين جاء هذا الاسم ومن الذي أطلق على الإمام المهدي عجل الله فرجه هذا الاسم لكن لم أوفق للوقوف على رواية أو معلومة حول ذلك، بالرغم من أن هذا الاسم يستعمل كثيراً. كذلك يستعمله بعض العرفاء وبعض الشعراء.

والبحث إنما لمعرفة القصد من إطلاق هذا الاسم عليه عجل الله فرجه ومعرفة من الذي سماه عليه السلام بهذا الاسم بدلا من أن نقول معناه كذا أو معناه كذا.

وكذلك ليست المسألة للاستنكار على إطلاق الأسماء، بل من أجل البحث في قداسة وأهمية الاسم والوقوف على معناه من خلال قدسيته التي تعطى له خصوصا في التعامل مع أسماء المعصومين عليهم السلام لأن أسماءهم ترتبط بالله عز وجل بل هم أسماء الله كما ورد عنهم عليهم السلام (**نحن الأسماء الحسنى**).

لهذا ربما تكون هناك اختلافات وربما تكون هناك اعتراضات إذا لم يكن الأمر مرسوم من جهة الله عز وجل أو من جهة المعصوم. وإنما

نحن نتعمق هنا من أجل الاستفادة من مثل هذا الاسم لأنه يمكن أن يستفاد منه.

علماً أن الأسماء الواردة في الروايات كالقائم والحجة مثلا تغنينا عن استعمال أسماء أخرى وتحمل نفس المضامين ونفس الأبعاد، ولهذا يمكن أن يطرح هذا الاعتراض وهو أنه لماذا نلجأ لاستعمال اسم غير وارد؟ وألا يمكن أن يكون هذا الاستعمال عامل مساعد -من حيث نشعر أو لا نشعر- على القضاء على ألفاظ معصومية مهمة واستبدالها بألفاظ غير معصومية؟ أي لا تحمل قصدا معصوميا وإلهياً.

أو على الأقل سيكون استعمال أسماء أخرى عامل مساعد على الابتعاد عن روايات أهل البيت والابتعاد في البحث في أعماقها ودلالاتها وبدلاً من أن نتعمق فيها نبحث في أسماء أخرى لم تصدر من المعصوم لكن توجد إشارات لهذا الاسم. ووجود هذه الإشارات في القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام.

(يوسف الزهراء عليها السلام) إن مناسبة وانسجام الاسم وإطلاقه على الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه يوجه نحو مشهد الجمال الأقدس المجسد لجمال الله عز وجل، الذي اعتبر نبي الله يوسف عليه السلام رمزاً له. هذا الجمال ليس مظهراً بقدر ما هو انعكاسة على وجود النبي يوسف عليه السلام وحركته، التي اقتضت الغيبة من أجل تحقيق العدل والرخاء ومداواة قلب يعقوب عليه السلام الجريح، الذي لم يكن جرحه يحمل بعد الانتظار لنبي الله يوسف عليه السلام كشخص أو كعلاقة والد بولده فقط بل إن يعقوب عليه السلام كان من أشد المنتظرين لتحقيق العدل الإلهي على الأرض وتحقيق الوعد الإلهي على يدي نبي الله يوسف عليه السلام، هذا الوعد الذي حكته الرؤيا في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، وهذا الانتظار

إنما هو مشهد من أعظم مشاهد الجمال وجزء من مشهد الجمال الأقدس الذي يجب أن يستضيء به أهل الأرض. وهذه الغيبة للإمام المهدي عجل الله فرجه القريب إنما هي لتحقيق العدل والقسط كما ملئت ظلماً وجوراً كما ورد في الروايات الشريفة. ولما كانت الزهراء عليها السلام تمثل أهمية قصوى في موضوع الإمام المهدي عليه السلام من حيث الثأر لها ومن حيث إعطاء الزهراء عليها السلام الفرصة الكاملة لإبراز مظهر الكمال والجمال الإلهي، فإن الزهراء صلوات الله عليها قد قضت مظلومة في سن الثامنة عشر وكل الكمال الذي بدا وأدركناه إنما هو جزء صغير جداً من حقيقة ماتحمله الزهراء عليها السلام وما يحمله المعصومون عليهم السلام من تجليات للكمال والجمال لذلك جعل الله الإمام الحجة صاحب الزمان ختام المسك للكمال البشري وإليه أشارت الكثير من الروايات من أن المهدي هو من ولد الزهراء عليها السلام تأكيداً وتذكيراً بهذا الأمر فجمال الزهراء عليها السلام ونورها كذلك ليس فقط نوراً وجمالاً لمظهر الزهراء في جسدها، ولكن البعد الأروع في جمال الزهراء عليها السلام أنها تضيء الأرض بنور الكمال الإلهي وتصبغ الأرض بهاء وتلبس الأرض ثوب جمال الله بالخصال المعصومية في شخصية الزهراء عليها السلام.

وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (المهدي من عترتي من ولد فاطمة وهو الذي لا يكتمل الدين إلا بظهوره قال تعالى ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾[1] وربما يكون هو السر المستودع الذي عند حيث يكون هو السر الذي أخفى الله حقيقته عن الخلق فقد جاء في كتاب الأسرار الفاطمية أن السر المستودع الذي عند الزهراء عليها السلام هو صاحب الزمان عج الذي سوف يُظهِر الله الدين كله

(١) سورة المائدة: آية ٣.

على يديه في آخر الزمان، لكون أن الزهراء عليها السلام جدّته، وخصوصاً نحن نعلم أن الأئمة من ولدها، فعليه قد يكون السر الذي سوف يُظهِرُه الله في وقته هو الإمام الحجة.

من هنا يمكن أن ننطلق بالنداء للإمام عجل الله فرجه يا حبيبنا يا يوسف الزهراء كلنا انتظاراً وشوقاً لهذا الجمال.

شباهة الإمام المهدي عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام

جاء في حديث محمّد بن مسلم الثقفي الطحّان قال: دخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام وأنا أريد أنْ أسأله عن القائم من آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم، فقال لي مبتدئاً:

يا محمّد بن مسلم إنّ في القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله شبهاً من خمسة من الرُّسُل: يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، فأما شبهه من يونس بن متى: فرجوعه من غيبته، وهو شابٌّ بعد كبر السنِّ، وأمّا شبهه من يوسف بن يعقوب عليهما السَّلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته، وأما شبهه من موسى عليه السلام فدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته من بعده ممّا لقوا من الأذى والهوان إلى أنْ أَذِنَ لنبيه عزّ وجلّ في ظهوره ونصره وأيّده على عدوّه. وأمّا شبهه من عيسى عليه السلام: فاختلاف مَن اختلف فيه، حتى قالت طائفة منهم: ما ولد، وقالت طائفة: مات، وقالت طائفة: قُتِلَ وصُلِب وأمّا شبهه من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله، والجبارين والطواغيت، وأنه يُنصَر بالسيف والرُّعب، وأنه لا تُرَدُّ له راية.

عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام في بيان شباهته بجمع من الأنبياء قال عليه السلام: وأما شبهه من يوسف بن يعقوب، فالغيبة من خاصته وعامته واختفاؤه من إخوته، وإشكال أمره عل أبيه النبي يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته.

الإمام عليه السلام شبيه الأنبياء من حيث وراثته المطلقة لهم، وإن كان من الجائز القول بأنهم كانوا يتشبهون به لكونه أفضل منهم كما أفادت الأخبار القطعيّة.

أما ما جاء عن شباهة الإمام المهدي عليه السلام بالأنبياء نقلاً عن كتاب «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام» لمؤلفه آية الله الفقيه أحمد آبادي.

١- شباهته بآدم عليه السلام:

• **آدم عليه السلام أورثه الله تعالى الأرض جميعها**: وجعله خليفة فيها، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] والحجة عليه السلام يورثه الله تعالى جميع الأرض ويجعله خليفة فيها.

• **آدم عليه السلام بكى على الجنة**: عن أبي عبدالله عليه السلام: **(فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية).**

• **القائم عليه السلام قال في زيارة الناحية المقدسة: (فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً).**

• **آدم عليه السلام نزل في حقه**: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2] القائم عليه السلام علمه ماعلمه آدم عليه السلام وما لم يعلمه لآدم عليه السلام، فإن آدم عليه السلام أُعطي من

(١) سورة البقرة: آية ٣٠.
(١) سورة البقرة: آية ٣١.

الاسم الأعظم ٢٥ حرفاً، وقد أُعطي نبينا ﷺ ٧٢ حرفاً وجميع ما أعطاه الله تعالى لنبيه أعطاه أوصياءه عليهم السلام حتى انتهى إلى مولانا القائم عليه السلام.

وروى ثقة الإسلام الكليني: في الصحيح، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: (إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، وما مات عالم إلا وقد ورث علمه، إن الأرض لا تبقى بغير عالم).

● **آدم عليه السلام أحيا الأرض بعبادة الله بعد موتها بكفر بني الجان وطغيانهم:** القائم عليه السلام يحيي الأرض بدين الله، وعبادته وعدله، وإقامة حدوده، بعد موتها بكفر أهلها وظلمهم وعصيانهم: عن أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿**يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[1]، قال: يحييها الله عز وجل بالقائم عليه السلام بعد موتها، يعني بموتها: كفر أهلها، والكافر ميت.

٢- شباهته بهابيل عليه السلام:

هابيل عليه السلام قتله أقرب الناس إليه وأمسهم رحماً به، وهو أخوه قابيل.

القائم عليه السلام روحي وأرواح العالمين فداه، أراد قتله وعزم عليه أقرب الناس إليه وأمسهم رحماً به، وهو عمه جعفر «الكذاب»: فعن سيد العابدين عليه السلام قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والمغيب في حفظ الله والموكل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته وحرصاً منه على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق.

---

(١) سورة الحديد: آية ١٧.

٣- شباهته بشيث:

شيث «هبة الله» عليه السلام لم يؤذن في إظهار علمه خوفاً.

روى الكليني (ره) في روضة الكافي: عن أبو جعفر عليه السلام -في حديث طويل-: إن هبة الله لما دفن أباه أتاه قابيل، فقال: يا هبة الله إني قد رأيت أبي آدم قد خصك من العلم مالم أخص به أنا، وهو العلم الذي دعا به أخوك هابيل فتقبل قربانه، وإنما قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبي فيقولون: نحن أبناء الذين تقبل قربانه وأنتم أبناء الذي ترك قربانه، فإنك إن أظهرت من العلم الذي اختصك به أبوك شيئاً قتلتك، كما قتلت أخاك هابيل فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين بما عندهم من العلم والإيمان.

وكذلك القائم عليه السلام لم يؤذن له إلى الوقت المعلوم: كما قال عليه السلام حين سقط من بطن أمه جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابتيه إلى السماء ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة، لو أذن لنا في الكلام لزال الشك.

٤- شباهته بنوح عليه السلام شيخ الأنبياء:

فعن الصادق والهادي عليهما السلام أنه عاش خمسمائة وألفي عام.

القائم عليه السلام شيخ الأوصياء، فإنه ولد -كما في الكافي- للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو حي يرزق بيننا ننعم ببركة وجوده.

وعن سيد العابدين عليه السلام أن في القائم سنة من آدم ونوح وهي طول العمر.

- **نوح عليه السلام طهر الأرض من الكافرين بكلامه: فقال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى**

الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾(١) القائم عليه السلام يطهر الأرض من الكافرين بحسامه، حتى لا يبقى منهم آثاراً.

• **نوح عليه السلام صبر ألف سنة إلا خمسين عاماً:** قال الله تعالى: **﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾**(٢) القائم عليه السلام صبر منذ أول إمامته إلى الآن، ولا أدري إلى متى يصبر مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام.

• **نوح عليه السلام من تخلف عنه غرق:** القائم عليه السلام من تخلف عنه هلك، عن النبي صلى الله عليه وآله: لاتقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منا وذلك حين يأذن الله عز وجل له، ومن تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك، الله الله عباد الله فأتوه ولو على الثلج، فإنه خليفة الله عز وجل وخليفتي.

• **نوح عليه السلام أخّر الله فرجه وفرج أصحابه حتى رجع عنه أكثر القائلين به:** القائم عليه السلام يؤخر الله تعالى فرجه وفرج أوليائه حتى يرجع عنه أكثر القائلين به.

• **نوح عليه السلام بشر بظهوره إدريس النبي:** القائم عليه السلام بشر الله بظهوره الملائكة وبشر به النبي والأئمة عليهم السلام بل بشر به الأنبياء السابقون.

• **نوح عليه السلام كان يبلغ صوته شرق الأرض وغربها حين ندائه وصيحته، وكان هذا أحد معجزاته:** القائم عليه السلام يقف بين الركن والمقام حين ظهوره فيصرخ صرخة فيقول: «يا معاشر نقبائي، وأهل خاصتي، ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض، إئتوني طوعاً، فترد صيحته

(١) سورة نوح: آية ٢٦.
(٢) سورة العنكبوت: آية ١٤.

عليهم، وهم على محاريبهم، وعلى فرشهم، في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل، فيجيئون نحوها، ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكون كلهم بين يديه عليه السلام بين الركن والمقام».

٥ - شباهته بإدريس عليه السلام:

● **إدريس عليه السلام وهو جد أبي نوح عليه السلام واسمه أخنوخ، رفعه الله مكاناً علياً**، قيل: رفع إلى السماء الرابعة، وقيل إلى السادسة. وفي مجمع البيان: قال مجاهد: رفع إدريس كما رفع عيسى وهو حي لم يمت، وقال آخرون: إنه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة. القائم عليه السلام رفعه الله مكاناً عليّاً.

● **إدريس عليه السلام حمله الملك على جناحه فطار به في جو السماء**: روى علي بن ابراهيم القمي (ره) : عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عمّن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه، وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ماشاء الله تعالى في ذلك البحر، فلما بعث الله تعالى إدريس عليه السلام جاء ذلك الملك إليه فقال: يانبي الله ادع الله لي أن يرضى عني، ويرد عليَّ جناحي، قال: نعم، فدعا إدريس ربه، فرد الله عليه جناحه ورضي عنه، فقال الملك لإدريس عليه السلام: لك إليّ حاجة؟ قال: نعم، أحب أن ترفعني إلى السماء، حتى أنظر إلى ملك الموت، فإنه لا عيش لي مع ذكره، فأخذه الملك على جناحه حتى انتهى به إلى السماء الرابعة، فإذا ملك الموت يحرك رأسه تعجباً، فسلم إدريس عليه السلام على ملك الموت، وقال له: مالك تحرك رأسك؟، قال: إن رب العزة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة، فقلت: يارب، وكيف هذا وغلظ السماء

الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، وغلظ السماء الثالثة خمسمائة عام، وكل سماء ومابينهما كذلك، فكيف يكون هذا؟!

ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وهو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(١).

● **القائم عليه السلام رفعه روح القدس عليه السلام وطار به في جو السماء:** ففي الحديث المروي في كمال الدين: عن السيدة حكيمة -في باب ولادة القائم عليه السلام- قالت: فتناوله الحسن -العسكري- عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه، فصاح بطير منها، فقال له: احمله واحفظه، ورده إلينا في كل أربعين يوماً، فتناوله الطير وطار به في جو السماء، واتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: أستودعك الذي أودعته أم موسى عليه السلام فبكت السيدة نرجس، فقال لها: اسكتي، فإن الرضاع محرم عليه إلا منك، وسيعاد إليك، كما ردّ موسى إلى أمه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾(٢).

قالت السيدة حكيمة: قلت: وما هذا الطير؟ قال عليه السلام: هذا روح القدس الموكل بالأئمة، يوفقهم ويسددهم، ويربيهم بالعلم.

● **إدريس عليه السلام غاب عن قومه لما عزموا على قتله:** القائم عليه السلام غاب أيضاً عن قومه لما عزموا على قتله.

● **إدريس عليه السلام طالت غيبته حتى وقع شيعته في غاية العسر والضيقة:** القائم عليه السلام تطول غيبته حتى يقع شيعته في غاية العسر والضيقة.

(١) سورة مريم: آية ٥٧.
(٢) سورة القصص: آية ١٣.

ففي البحار عن النبي ﷺ: لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف غيرها حتى تملأ الأرض جوراً، فلا يقدر أحد يقول: الله، ثم يبعث الله عز وجل رجلاً مني ومن عترتي يملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً.

• **إدريس عليه السلام لما طالت غيبته اتفق الناس على التوبة إلى الله فأظهره الله تعالى وكشف عنهم البؤس والشدة:** القائم عليه السلام لو اتفق الناس على التوبة إلى الله تعالى في أمره، وعزموا على نصره، لأظهره الله تعالى.

• **إدريس عليه السلام لما ظهر ذل له الملك الجبار وأهل قريته:** القائم عليه السلام إذا ظهر ذلت له الملوك والجبابرة وجميع أهل العالم.

٦- شباهته بهود عليه السلام:

هود عليه السلام بشر بظهوره نوح عليه السلام: عن الصادق عليه السلام، قال: لما حضرت نوحاً عليه السلام الوفاة دعا الشيعة، فقال لهم: اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة تظهر الطواغيت، وأن الله عز وجل يفرج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هود، له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خَلقي وخُلُقي، وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح، فلم يزالوا يترقبون هوداً عليه السلام، وينتظرون ظهوره، حتى طال عليهم الأمد، وقست قلوب أكثرهم، فأظهر الله تعالى ذكر نبيه هوداً عليه السلام، عند اليأس منهم وتناهي البلاء بهم، وأهلك الأعداء بالريح العقيم.

القائم عليه السلام قد بشر بظهوره بجميع تلك الخصوصيات كل واحد من آبائه الكرام عليهم الصلاة والسلام.

• **هود عليه السلام أهلك الله عز وجل الكافرين به بالريح العقيم:** قال الله

تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[١].

القائم عليه السلام سيهلك الله جمعاً من الكافرين به بريح سوداء مظلمة.

٧- شباهته بصالح عليه السلام:

● **صالح عليه السلام غاب عن قومه فلما رجع إليهم أنكره كثير منهم:** روي في كمال الدين: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن صالحاً عليه السلام غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب عنهم كهلاً، مبدح البطن، حسن الجسم، وافر اللحية، خميص البطن خفيف العارضين، مجتمعاً ربعة من الرجال. فلما رجع إلى قومه لم يعرفوه بصورته، فرجع إليهم وهم على ثلاث طبقات: طبقة جاحدة لا ترجع أبداً، وأخرى شاكة فيه، وأخرى على يقين، فبدأ عليه السلام حيث رجع بطبقة الشكاك، فقال لهم: أنا صالح، فكذبوه وشتموه، وزجروه، وقالوا: بريء الله منك، إن صالحاً كان في غير صورتك.

قال عليه السلام: فأتى الجحاد، فلم يسمعوا منه القول، ونفروا منه أشد النفور، ثم انطلق إلى الطبقة الثالثة، وهم أهل اليقين، فقال لهم: أنا صالح، فقالوا: أخبرنا خبراً لا نشك فيك معه أنك صالح، فإنا لا نمتري أن الله تبارك وتعالى الخالق ينقل ويحول في أي صورة شاء، وقد أخبرنا وتدارسنا فيما بيننا بعلامات القائم إذا جاء، وإنما يصح عندنا إذا أتى الخبر من السماء.

فقال لهم صالح: أنا صالح الذي آتيتكم بالناقة، فقالوا: صدقت، وهي التي نتدارس، فما علامتها؟ فقال: (لها شرب ولكم شرب يوم

(١) سورة الذاريات: آية ٤١-٤٢.

معلوم)، قالوا: آمنا بالله وبما جئتنا به، فعند ذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ فقال أهل اليقين: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1] قال عليه السلام: الله أعدل من أن يترك الأرض بلا عالم يدل على الله عز وجل، ولقد مكث القوم بعد خروج صالح سبعة أيام على فترة لا يعرفون إماماً غير أنهم على ما في أيديهم من دين الله عز وجل كلمتهم واحدة. فلما ظهر صالح عليه السلام اجتمعوا عليه، وإنما مثل القائم عليه السلام مثل صالح.

القائم عليه السلام يجري فيه ما جرى على صالح عليه السلام حرف بحرف، فإنه يظهر مع طول الثانيه في صورة شاب دون أربعين سنة، والناس بين موقن وشاك وجاحد فيدعوهم فينكرونه، فيقتلهم، والموقنون يطلبون العلامة، فيريهم، فيبايعونه.

٨- شباهته بإبراهيم عليه السلام:

- **إبراهيم عليه السلام خفي حمله وولادته وكذلك القائم عليه السلام.**
- **إبراهيم عليه السلام كان يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة:** ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر، ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة.

القائم عليه السلام كذلك: قالت السيدة حكيمة: فلما كان بعد أربعين يوماً دخلت دار أبي محمد عليه السلام فإذا مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام يمشي في الدار، فلم أر وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال لي أبو محمد عليه السلام: هذا المولود الكريم على الله عز وجل.

فقلت له: يا سيدي، له أربعون يوماً وأنا أرى من أمره ما أرى! فقال

(١) سورة الأعراف: آية ٧٥.

عليه السلام: يا عمتي، أما علمت أنا معشر الأوصياء ننشأ في اليوم كما ينشأ غيرنا في الجمعة، وننشأ في الجمعة كما ينشأ غيرنا في السنة.

- **إبراهيم عليه السلام اعتزل الناس:** قال الله عز وجل نقلاً عنه: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾[1]، وكذلك اعتزال القائم عليه السلام.

- **إبراهيم والقائم عليهما السلام كليهما لهما غيبتان.**

- **إبراهيم عليه السلام لبس قميصاً جاء به جبرئيل من الجنة حين ألقي به في النار:** القائم عليه السلام يلبس هذا القميص بعينه حين يخرج:

ففي كمال الدين: عن مفضل، عن الصادق عليه السلام قال:سمعته يقول: أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام؟ قلت: لا. قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار، نزل إليه جبرئيل بالقميص وألبسه إياه، فلم يضره معه حر ولا برد، فلما حضرته الوفاة جعله في تميمة وعلقه على إسحاق عليه السلام، وعلقه إسحاق عليه السلام على يعقوب عليه السلام، فلما ولد يوسف عليه السلام علقه عليه وكان في عضده حتى كان من أمره ما كان. فلما أخرجه يوسف عليه السلام من التميمة وجد يعقوب عليه السلام ريحه، وهو قوله تعالى حكاية عنه: ﴿**إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ**﴾[2] فهو ذلك القميص الذي أنزل من الجنة.

قلت: جعلت فداك، فإلى من صار هذا القميص؟ قال: وهو مع قائمنا إذا خرج، ثم قال: كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمد (الحجة) عليه السلام.

- **إبراهيم عليه السلام بنى البيت ووضع الحجر الأسود مكانه:** قال الله

---

(١) سورة مريم: آية ٤٨.
(٢) سورة يوسف: آية ٩٤.

تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١).

القائم عليه السلام له مثل ذلك: ففي البحار: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه.

● **إبراهيم عليه السلام أنجاه الله تعالى من النار:** قال الله عز وجل: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(٢).

القائم عليه السلام يظهر مثل ذلك بكرامته: ففي بعض الكتب: عن محمد بن زيد الكوفي، عن الصادق عليه السلام قال: يأتي إلى القائم عليه السلام حين يظهر رجل من أصفهان، ويطلب منه معجزة إبراهيم خليل الرحمن، فيأمر عليه السلام أن توقد نار عظيمة، ويقرأ قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣) ثم يدخل في النار، ثم يخرج منها سالماً، فينكر الرجل، لعنة الله تعالى عليه، ويقول هذا سحر. فيأمر القائم عليه السلام النار فتأخذه، وتحرقه فيحترق، ويقول هذا جزاء من أنكر صاحب الزمان وحجة الرحمن صلوات الله وسلامه عليه.

● **إبراهيم دعا الناس إلى الله:** لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾(٤).

وفي البرهان: عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن إبراهيم أذن في الناس بالحج، أيها الناس إني إبراهيم خليل الله، وإن الله أمركم أن تحجوا

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٧.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٦٩.
(٣) سورة يس: آية ٨٣.
(٤) سورة الحج: آية٢٧.

هذا البيت فحجوه، فأجابه من يحج إلى يوم القيامة.القائم عليه السلام يدعو الناس إلى الله.

٩- شباهته بإسماعيل عليه السلام:

● **إسماعيل عليه السلام بشر الله تعالى بولادته:** قال عز وجل: **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾**(١).

القائم عليه السلام بشر الله تعالى بولادته، وبقيامه، وبشر بذلك أيضاً الرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام.

● إسماعيل عليه السلام انفجر له من الأرض عين زمزم.

القائم عليه السلام ينفجر له من الحجر الصلب.

● **إسماعيل عليه السلام كان يرعى الأغنام.**

القائم عليه السلام في حديث مفضل رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام: ووالله يا مفضل كأني أنظر إليه دخل مكة، وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى رأسه عمامة صفراء، وفي رجليه نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله المخصوفة، وفي يده هراوته صلى الله عليه وآله، يسوق بين يديه عنازاً عجافاً، حتى يصل بها نحو البيت ليس ثم أحد يعرفه، ويظهر وهو شاب.

● **إسماعيل عليه السلام سلم لأمر الله ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾**(٢).

وكذلك القائم عليه السلام.

---

(١) سورة الصافات: آية ١٠١.
(٢) سورة الصافات: آية ١٠٢.

١٠- شباهته بإسحاق عليه السلام:

● إسحاق عليه السلام بشر الله تعالى بولادته بعد يأس سارة من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[1].

القائم عليه السلام بشر بولادته بعد يأس الناس من ذلك.

ففي الخرائج عن عيسى بن صبيح قال: دخل الحسن العسكري عليه السلام علينا الحبس، وكنت به عارفاً، فقال لي: لك خمس وستون سنة وشهر ويومان، وكان معي كتاب دعاء وعليه تاريخ مولدي وإني نظرت فيه فكان كما قال، ثم قال: هل رزقت من ولد؟ قلت: لا، قال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً، فنعم العضد الولد، ثم تمثل وقال: من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليس له عضد، فقلت له: ألك ولد؟ قال عليه السلام: أي والله، سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فأما الآن فلا، ثم تمثل وقال: لعلك يوماً أن تراني كأنما بني حوالي الأسود اللوابد فإن تميماً قبل أن يلد الحصا أقام زماناً وهو في الناس واحد.

١١- شباهته بلوط عليه السلام:

● لوط عليه السلام نزل الملائكة لنصرته، ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾[2].

القائم عليه السلام تنزل الملائكة لنصرته.

---

(١) سور هود: آية ٧١-٧٢.
(٢) سور هود: آية ٨١.

في خبر جارية أبي محمد عليه السلام: لما ولد السيد عليه السلام، رأت له نوراً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأت طيوراً بيضاء تهبط من السماء، وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه، وسائر جسده ثم تطير، فاخبرنا أبا محمد عليه السلام بذلك فضحك، وقال: تلك الملائكة نزلت للتبرك بهذا المولود، وهي أنصاره إذا خرج.

- **لوط عليه السلام خرج من بلاد الفاسقين:** وكذلك القائم عليه السلام.

١٢- شباهته بالنبيّ يوسف عليه السلام:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن في القائم سنة من يوسف، قلت كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لي: وما تنكر هذه الأمة أشباه الخنازير أن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخو هم فلم يعرفوه حتى قال لهم : «أنا يوسف وهذا أخي» فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته عنهم لقد كان يوسف يوما ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوما فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يعرفه مكانه لقدر على ذلك والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة إيام إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف عليه السلام حين قال لهم: **﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾**[1][2].

(١) سورة يوسف: آية ٨٩-٩٠.
(٢) إكمال الدين، وعلل الشرايع.

مع كثرة ما أتى به الأنبياء عليهم السلام من معاجز وحجج وبراهين قاطعة نجد أنهم جوبهوا بحملات من التكذيب والتشهير والإيذاء في كل زمان ومكان، في زمن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) وهكذا حتى زمن آخر آمال الأنبياء الإمام المهدي عليه السلام فهو في دعوته يجسد آمال جميع الأنبياء والمرسلين.

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه في جملة أوليائه إنه سميع مجيب.



في القائم
سنة من النبي يوسف

«أوجه الشبه بين اليوسفين»

النبي يوسف ويوسف الزهراء
عليهما السلام

في القائم سنة من النبي يوسف

• أوجه الشبه بين اليوسفين:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن في القائم سنة من يوسف**».

١- الجمال والسخاء اليوسفي.

٢- الستر (بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولايعرفونه).

٣- الغيبة.

٤- صغر السن.

٥- جهل الناس وإستهزاءهم.

٦- الظلم والافتراء.

٧- المناظرة وإفحام الخصم.

٨- الدليل.

٩- التفضل على الناس واعانتهم.

١٠- طول الانتظار.

١١- الخوف.

١٢- يصلح الله عزّ وجلّ أمره في ليلة واحدة.

١٣- التمكين في الأرض.

في القائم سنة من النبي يوسف

أولاً: الجمال والسخاء اليوسفي:

إنّ يوسف كان أجمل أهل زمانه، أمّا الإمام المهديّ عليه السلام فأجمل منه لكونه - روحي فداه - أشبه الناس برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وهو أجمل من يوسف ولكنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يظهر على حقيقته الكاملة، وهذا من شؤون ولايتهم التكوينيّة فإمامنا المهدي أجمل اهل زمانه بل وكل الأزمنة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وآله في حقه «**المهدي طاووس أهل الجنة**».

سوف نتوسع في أحد الأبواب عن الجمال والسخاء اليوسفي المهدوي.

ثانياً: الستر (بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه):

فعن أبي بصير قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: **إن في صاحب هذا الأمر سنن من الأنبياء سنّة من موسى بن عمران وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف وسنّة من محمد صلوات الله عليهم، فأما سنّة من موسى فخائف يترقب، وأما سنّة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى، وأما سنّة من يوسف فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه!**

لقد شاءت إرادة الله ان يكون إمامنا المهدي عليه السلام حاضرٌ بيننا لكننا لا نعرف بأنه إمام زماننا، بالضبط كما حصل ليوسف عليه السلام! إذ كان الناس يرونه ويكلمونه وهم لا يعرفون بأنه نبييهم يوسف بل حتى إخوته رأوه وكلموه دون ان يخطر في بالهم من يكون هذا الشخص في الحقيقة!

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**يفقد الناس إمامهم يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه**» أي يعرفهم ولا يعرفونه. وكذلك يوسف عليه السلام قال تعالى ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف: آية ٥٨.

ثالثاً: الغيبة:

لقد تعرض نبي الله يوسف عليه السلام للغيبة بعدة أشكال أو بشكلين مختلفين الشكل الأول عندما ألقي في غيابت الجب أي البئر العميق وأنقطع عن سائر الناس والمخلوقات والشكل الثاني من أنواع الغيبة بمعنى السفر والغربة وفراق الأهل والأحبة والدار والوطن فلقد تعرض النبي يوسف عليه السلام لذلك ولفترة طويلة وجاء في كتاب (كمال الدين) عن الباقر عليه السلام قال: «في صاحب هذا الأمر أربع سُنن من الأنبياء، **سنّة من موسى وسُنّة من عيسى وسُنّة من يوسف وسُنّة من محمد** صلى الله عليه وآله وسلم**، فأما من موسى فخائفٌ يترقب، وأما من يوسف فالسجن. إن السُنّة التي ورثها إمامنا من نبي الله يوسف** عليه السلام **هي السجن، فمن المعلوم إن نبي الله يوسف قد أدخلوه إلى السجن ظُلماً فهو لم يرتكب أي ذنب، وهكذا الإمام المهدي** عليه السلام **أوليست غيبته سجناً لهُ** عليه السلام؟

«سوف نتوسع في أحد الأبواب عن غيبة الامام المهدي عليه السلام».

رابعاً: صغر السن:

لقد تكلف نبي الله يوسف عليه السلام بحمل الرسالة وأعباءها ومسؤوليتها في عمر لا يتجاوز العشرة سنوات، وكذلك الإمام المهدي (عجل الله فرجه) فلقد توج إماماً للعالمين وتكلف بحمل أعباء الإمامة في الثاني لا يتجاوز الخمسة سنوات، ولانستغرب ذلك لأن الله عز وجل له من الحكمة ما لا ندركه أو نفهمه، فلقد سئل أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أيكون أن يفضي هذا الأمر أي الحكم، إلى من لم يبلغ؟ قال عليه السلام: سيكون ذلك قيل فما يصنع؟ قال: يورثه الله تعالى علماً وكتباً ولا يكله إلى نفسه، ثم قال: **إن هذا الأمر في أصغرنا سناً وأجملنا ذكراً**»[1].

(١) الغيبة للنعماني.

خامساً: جهل الناس وإستهزاءهم:

تعرض النبي يوسف عليه السلام إلى إستهزاء الناس به وإستخفافهم بحقه وجهلهم بمكانته وعلمه حتى ثبت بالدليل والبرهان أحقيته بقيادة الأمة آنذاك وقدرته على وضع الحلول الواقعية والعملية، سياسية كانت أو إقتصادية لإنقاذ الناس من الاوضاع السيئة وأزمات القحط والجوع المهلكة التي مر بها المجتمع في تلك الفترة، وكذلك الإمام المهدي (عجل فرجه الشريف) سوف يجحد الناس حقه ويجهلون علمه ويستهزؤن بمنزلته الى أن يتم عليهم الحجة بالدليل والبرهان، وسوف يضع الحلول الصحيحة والمناسبة لمشكلات المجتمع على كل الأصعدة وفي كل الميادين السياسية والإقتصادية والاجتماعية، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن قائمنا إذا قام إستقبل من جهل الناس أشد مما استقبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهل الجاهل الجاهلية، قلت وكيف ذاك؟ قال: إن رسول الله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب يحتج عليه به**»[(١)].

سادساً: الظلم والافتراء:

لقد عانى نبي الله يوسف عليه السلام من شتى أنواع الظلم في تلك الفترة وتعرض إلى الإتهامات الباطلة والافتراءات الكاذبة بكل شدة وقسوة وهو منها براء فقد اتهم بالكذب والسرقة واتهم بالفاحشة حاشاه من ذلك كله وكذلك الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) سوف يتعرض لأشد من ذلك كله ويفترى عليه ويتهم بالفسق والكفر والخروج عن الدين .

---

(١) الغيبة للنعماني.

سابعاً: المناظرة وإفحام الخصم:

لقد اضطر النبي يوسف عليه السلام لمناظرة كبار المعاندين والمستكبرين من علماء عصره مايسمون بـ(كهنة المعابد) أنذاك المتنفذين والمسيطرين على عقول الجهلة والبسطاء من عامة الناس وذلك لإثبات الحق وإعلاء كلمة الدين وأستطاع أن يكشف زيفهم وضحالة علمهم أمام الناس وأثبت انه الأحكم والأعلم والأفقه والأحلم، وبنفس الظروف سوف يمر الإمام المهدي الموعود (عجل الله فرجه) ويتحدى كل علماء عصره بالمناظرة والدليل وسوف يكشف للناس من يدعي العلم والتقوى والتفقه والتدين وسوف يواجه بسبب ذلك فتاوى التفسيق والتكفير، ففي الرواية إن الإمام عليه السلام يقول متحدياً علماء عصره وزمانه: «**من يحاجني في الله، فأنا أولى الناس بالله**... إلى أن يقول: **من يحاجني في كتاب الله، فأنا أولى الناس بكتاب الله**»[1].

ثامناً: الدليل:

إن الدليل الذي كان يسوقه ويطرحه النبي يوسف عليه السلام في إثبات أحقيته وصدق دعوته هو تأويل الرؤيا، حيث إن الناس في ذلك الوقت كانت تعتقد إن القادرعلى تأويل الرؤى هو الأكثر علماً، وبطبيعة الحال الأكثر علماً هو الأكفأ لقيادة الناس، ونفس القضية سوف تتكرر مع الإمام المهدي (عجل الله فرجه) حيث سيأتي بدليل يخاطب به أهل زمانه وبما إن المتسالم عليه في المعتقد الإسلامي عموماً والمعتقد الشيعي خصوصاً بان الأعلم بالفقه والأصول هو الأقدر والأحق بقيادة الأمة لأنه أعلم بتشريعات الحلال والحرام، لذلك سوف يأتي الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بدليل فقهي أصولي يثبت من خلاله أعلميته

(١) الغيبة للنعماني.

على سائر العلماء في ذلك الوقت فيلزم الجميع الحجة بإتباعه على اعتبارإنه أعلم أهل زمانه وبالتالي هو أحق الناس بقيادة الأمة ورعاية شؤونها.

تاسعاً: التفضل على الناس واعانتهم:

يوسف عليه السلام كان يفيد الناس ويَمد لهم يد العون، فغيبته لم تمنعه من التفضل على الناس، قال تعالى **﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾**[1].

وكذلك الإمام المهدي عليه السلام روي عنه «**إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء أو اصطلمكم الأعداء**». فهو بأبي وأمي يعين الناس ولكن كيوسف الصديق، لا يُعرف بشخصه.

فمن يقول مافائدة المهدي في غيبته، نقول له كفائدة يوسف في غيبته عليه السلام. «سوف نتوسع في أحد الأبواب عن تفضل الإمام المهدي عليه السلام وإعانته للناس».

عاشراً: طول الانتظار:

كان النبي يعقوب عليه السلام والمؤمنين ينتظرون الفرج بظهور يوسف الصديق ورؤيته وعودته. **﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾**[2]. وكذلك شيعة أهل البيت عليهم السلام ينتظرون الفرج بظهور الإمام المهدي وعودته.

---

(١) سورة يوسف: آية ٨٨.
(٢) سورة يوسف: آية ٨٤.

واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن يعقوب، فقال الكلبي: مائتان وعشرون سنة، وقال سلمان الفارسي: أربعون سنة، وقال عبدالله بن شداد: سبعون سنة وقيل: سبع وسبعون سنة، وقال الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وعاش بعد لقائه بيعقوب ثلاثا وعشرين سنة، ومات وهو ابن عشرين ومائه سنة، وفي التوراة: مائة وست وعشر سنين. في قول ابن إسحاق بن يسار: ثمانين وسبعة أعوام، وقال ابن أبي إسحاق: ثماني عشرة سنة.

الحادي عشر: الخوف:

خوف نبي الله يوسف عليه السلام من إخوته **﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ﴾**(1).

وكذلك الإمام الحجة عليه السلام خائف كما جاء في زيارة الإمام الحجة أرواحنا فداه «**السلام عليك أيُّها المهذَّب الخائف**». «سوف نتوسع في أحد الأبواب عن قضية خوف الإمام المهدي عليه السلام».

الثاني عشر: التمكين في الأرض:

مكنّ الله ليوسف عليه السلام في أرضه وجعله حاكماً **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾**(2).

وكذلك الإمام المهدي يُمكن الله له في الأرض ويجعله حاكماً ويملؤها قسطاً وعدلاً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتتبعن سنن الذين قبلكم شبراً بشبر. «سوف نتوسع في أحد الأبواب عن تمكين الامام المهدي عليه السلام في الأرض».

---

(1) سورة يوسف: آية ٥.
(2) سورة يوسف: آية ٥٦.



﴿مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾

(يوسف:٣١)

الشبه بين الجمال المهدوي والجمال اليوسفي

• ما هو الجمال؟

الجمال هو التناسب في الشخصية. تناسب علم الشخص ومنطقه وحديثه وحركاته فإذا كانت كلها منسجمة فإن هذا يحقق الجمال فالجمال بالنسبة للإنسان لا ينفك فيها الجمال الباطني (الأخلاق والمنطق والحديث والتواد والمشاعر) عن الجمال الظاهري فإذا اجتمع الاثين فإنهما يعطيان مرحلة من مراحل الجمال.

أولاً: جمال الشكل والمظهر:

وجه الشبه بين اليوسفين عليهما السلام فهو ما رواه الشيخ السعودي في كتاب اثبات الوصية بأسناده عن الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام قال: في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء: سنة من موسى في غيبته، وسنة من عيسى في خوفه ومراقبته اليهود وقولهم مات ولم يمت وقتل ولم يقتل، وسنة من يوسف في جماله وسخائه وسنة من محمد في السيف يظهر به.

فمن العوامل المشتركة بين يوسف آل يعقوب ويوسف الزهراء عليها السلام هي الشبه في جمال الشكل والمظهر فلقد كان النبي يوسف عليه السلام أجمل أهل زمانه وأسخاهم أي أكرمهم، فكذلك هو إمامنا المهدي فكان أجمل الناس صورةً وهيئةً وأكثرهم وقاراً وسكينةً فهو عليه السلام أجمل أهل زمانه بل وكل الأزمنة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام: **«المهدي طاووس أهل الجنة، وجهه كالقمر الدري، عليه جلابيب النور»**.

● جمال نبي الله يوسف جزء من الجمال المهدوي:

في عدّة الداعي: روى محمّد بن بابويه مرفوعاً إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: عن أبي عبد الله عليه السلام: قال استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها يا زليخا إنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه قالت إني لا أخاف من يخاف الله فلما دخلت قال لها يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك قالت الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيدا وجعل العبيد بطاعتهم ملوكا قال لها يا زليخا ما الذي دعاك إلى ما كان منك قالت حسن وجهك يا يوسف فقال كيف لو رأيت نبيا يقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفاً.

قالت: صدقت، قال: وكيف علمت أني صدقت؟ قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي فأوحى الله عز وجل إلى يوسف أنها قد صدقت وأني قد أحببتها لحبها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها.

وبما أن جميع قصص الأنبياء ترتبط ارتباطا وثيقا بالتمهيد للظهور المقدس للإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

لذلك سيكون الظهور المقدس للإمام عليه السلام يهدف لإبراز حقائق الكمال والجمال وتجليات الكمال والجمال الإلهي المنعكس على الأنبياء والمعصومين عليهم السلام.

هذا الجمال وهذا النوع من الجمال حمله النبي يوسف عليه السلام وجسد جزءاً منه على الأرض وسيجسده الإمام المهدي عليه السلام بشكل كامل كما تدل على ذلك روايات المعصومين عليهم السلام .

بل إن نبي الله يوسف والجمال الذي جسده إنما هو أيضا جزء من مشروع الجمال المهدوي الزهرائي الإلهي حيث يعتبر دور نبي الله يوسف عليه السلام كما أشرنا تمهيدا لظهور الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه. إن يوسف رغم ما كان عليه من جمال يعرفه الناس إلا أنه لم يستغل جماله وملاحته في طلبه للملك. وكذلك فإنه لم يقل أنه ذو نسب كريم في قومه وقد كان الكريم ابن الكريم ابن الكريم فلم يستغل ذلك بطلب الملك. بل إنه كان متواضعاً سمحاً لا يتعالى على أحد. إن يوسف عليه السلام أظهر ما يمليه عليه واجبه بالدعوة الى الله والداعية يجب أن يستثمر كل الطاقات الممكنة ومنها الملك للوصول الى رضى الله تعالى.

هناك روابط وتناسب بين اليوسفين يوسف آل يعقوب ويوسف آل محمد «يوسف الزهراء» (جمالاً وأهدافاً وخلقاً وكمالاً) فيوسف الزهراء عليها السلام يعني جمال فاطمة الزهراء عليها السلام وما أدراك ما فاطمة ففي جمالها بهجة لا حدود لحدودها ولا عقل ولا فهم في إدراكها لهذا وصف نور الجمال المهدوي بالعزة فعبارة «**إلهي وَأَلْحِقْني بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً**». الموجودة في المناجاة الشعبانية تدل على معاني سامية في السلوك الإلهي الموجه من طرف مدرسة أهل البيت علهم السلام.

اللحوق بالنور الأبهج لا يتم إلا بالله سبحانه لهذا العبد السالك يطلب اللحوق بهذا النور لأن كمال السلوك هو الوصول لمعرفة الله وحده، ففي معرفة الله وحده نحصّلُ عبادة الله وحده لهذا نجد عبارة وعن سواك منحرفاً، فكل انحراف عن ما سوى الله هو عبادة خالصة لله وحده. والمقصود بنور عزك الأبهج؟ إن عزة الله سوف تظهر

للمؤمنين شهوداً وحضوراً في الطور المهدوي الاستخلافي ففي الانتظار يوجد إيمان غيبي وغاية هذا الإيمان المنتظر هو اللحوق بهذا النور الأبهج في قوله تعالى: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ فإن النور والعزة والبهجة ثلاثة كلمات تدل على الوصول إلى عالم يعبد فيه الله وحده وتدل كذلك على وجه الله والكرامة الإلهية أيضا وهذا الوجه هو مولانا وإمام زماننا وقائدنا السيد الغائب الحاضر في الجوهر الوجودي المهدي عليه السلام، ففي دعاء الندبة «**أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء**».

فمعرفة الله لا تتم إلا به هو نفسه فرؤية الله وحده هي كمال العرفان الإلهي ولا تتم هذه الرؤية إلا بهذا النور المعز الأبهج.

● الجمال المهدوي :

عن أبي عبدالله عليه السلام يقول الله عز وجل ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ (الزمر: ٦٩). يقول عليه السلام: وأشرقت الأرض بنور ربها رب الأض يعني إمام الأرض، فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال عليه السلام: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام.

الآن تشرق الأرض بنور الشمس لكن سيأتي يوم قبل يوم القيامة تشرق بنور الله عز وجل من نور وليه وحجته عليه السلام.

● شمائله شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

عن الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**القائم من ولدي اسمه إسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنته سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عز وجل، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني. إلى الله أشكو**

المكذبين لي في أمره والجاحدين لقولي في شأنه، والمظلين لأمتي عن طريقته، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

والشمائل: الطبائع، وتطلق على ملامح البدن. وقد دلت هذه الأحاديث وغيرها على شبه المهدي عليه السلام بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خلقه وخلقه، واتباعه لسنته وتجديده الإسلام والقرآن وبسط نوره على العالم، وكفى به مقاماً عظيماً .

● في صفة وجه المهديّ:

عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«المهديّ رجل من وُلدي، وجهه كالكوكب الدُّرّي»**[1].

● في صفة لونه وجسمه:

عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«المهديّ رجل من وُلدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي[2]، على خدّه الأيمن خال، كأنّه كوكب دُرّيّ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجوّ».**

● في صفة جبينه:

عن أبي سعيد الخدري، أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«المهديّ منّا، أجلى الجبين[3]، أقنى الأنف[4]».**

---

(١) كنز العمّال ١٤ / ٢٦٤ ح ٦٦ عن الروياني في مسنده .

(٢) جسم إسرائيلي: أي طويل مملوء كأبناء يعقوب عليه السلام المعروفين بالأجسام المملوءة، انظر: شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار ٣ / ٣٧٨ ح ١٢٥١ .

(٣) أجلى الجبين: الخفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته.

(٤) أقنى الأنف: القنا في الأنف: طوله ودقّة ورقّة أرنبته مع حدب في وسطه.

● **في صفة أنفه:**

عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «**المهديّ منّا أهل البيت، رجل من أُمّتي، أشمّ الأنف**[1]**، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً**»[2].

● **في خاله على خدّه الأيمن:**

عن أبي أُمامة الباهلي[3]، قال: قال رسول الله ﷺ: بينكم وبين الروم أربع هدن، يوم الرابعة على يد رجل من آل هرقل، تدوم سبع سنين.

فقال له رجل من عبد القيس، يقال له: المستورد بن نحلان: يا رسول الله! مَن إمام الناس يومئذ؟

● **أبيض اللون، مشرب بحمرة، مبدَّح البطن:**

عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: «**يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشرب بالحمرة، مبدح البطن عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده وشامة على شبه شامة النبي ﷺ، له إسمان: إسم يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد، وأما الذي**

---

(١) أشمّ الأنف: الشمم ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلا، ورجل أشمّ الأنف: أي طويل الرأس بيّن الشمم فيها. انظر: لسان العرب ٧ / ٢٠٦ مادّة «شمم».

(٢) وراجع: كشف الغمّة ٢ / ٤٦٩ ـ ٤٧٠، العَرف الوردي: ٢٧ ح ٥، نامه دانشواران ٧ / ١٢.

(٣) رقم ١٤٨٩، الاستيعاب ٤ / ١٦٠٢ رقم ٢٨٥٣، أُسد الغابة ٢ / ٣٩٨ رقم ٢٤٩٥ و ج ٥ / ١٦ رقم ٥٦٨٨، الإصابة ٣ / ٤٢٠ رقم ٤٠٦٣.

يعلن فمحمد، إذا هز رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً، ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة وهو في قبره، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم صلوات الله عليه»(١).

● شيخ السن شاب المنظر لايهرم بمرور الأيام:

عن أبي الصلت الهروي قال قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «**علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي، حتى يأتيه أجله**»(٢).

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً، لا يثبت عليه إلا من قد أخذ الله ميثاقه في الذر الأول! وفي غير هذه الرواية أنه قال عليه السلام: «**وإن أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً**»(٣).

● غائر العينين مشرف الحاجبين عريض ما بين المنكبين:

عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك إني قد دخلت المدينة وفي حِقْوَيَّ هميان فيه ألف دينار، وقد أعطيت الله عهداً أنني أنفقها ببابك ديناراً ديناراً أو تجيبني فيما أسألك عنه!

---

(١) إثبات الهداة:٣/٤٩٠، والبحار:٥١/٣٥ .
(٢) كمال الدين:٢،٦٥٢، وإثبات الهداة:٣/٧٢٢، والبحار:٥٢/٢٨٥ .
(٣) البحار:٥٢/٢٨٧، و٣٨٥ .

فقال: يا حمران سل تجب ولا تنفقن دنانيرك، فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله ﷺ أنت صاحب هذا الأمر والقائم به؟

قال: لا. قلت: فمن هو بأبي أنت وأمي؟ فقال: ذاك المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز وبوجهه أثر، رحم الله موسى. وفيها:

- **شامة بين كتفيه :**

عن أبي بصير: قال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا محمد بالقائم علامتان: **«شامة في رأسه وداء الحزاز برأسه، وشامة بين كتفيه من جانبه الأيسر، تحت كتفه الأيسر ورقة مثل ورقة الآس»**[1].

ثانياً: الجمال الروحي لليوسفين:

- **جمال الروح والعقل:**

الجمال الظاهري هو جمال الانسان الذي نلاحظه لأوّل وهلة قد يكون لافتاً يبهر الأبصار، لكنّ هناك جمالاً آخر قد لا تلتقطه عيوننا إلاّ بعد حين وهو الجمال الباطن الذي يمكن أن نسمّيه بجمال الروح أو الجاذبية وهو الذي يضفي على جمال الجسد جمالاً أبهى وأدوم فإذا كان جمال الظاهر يتمثّل في حسن الطلعة وفي النظافة وفي الأناقة وفي الزينة فإنّ جمال الباطن يتجلّى في حسن السمت وهو الوقار وطلاقة الوجه وجمال البيان والأخلاق الفاضلة الحميدة ورجاحة العقل فمثلاً الإنسان لولا نور العقل ما كان إنسانا صحيح قد يكون يشبه الإنسان في المظهر الخارجي لكن نوره الداخلي ليس بإنسان فمن لم

(١) البحار:٥١/٤١ . وفي النعماني/٢١٦ .

يتحلى بنور العقل ماكان انسانا ابدا بل هو صورة فقط والعقل لايكتمل الا بعد الاهتداء بالشرع تلك التعليمات السماوية التي هبطت من مصدر النور على جناح النور على من تنور قلبه بنور الرب ونور المعرفة الالهية والاهتداء بالشرع وهو عبادة الله ومعرفته فالانسان المؤمن هو الذي اتحد نور العقل عنده بنور الشرع، فيجب ان يتحد نور العقل بنور الشرع كي يكون الانسان انسانا حقيقيا فالانسان الحقيقي هو الذي يعد جميلا وذلك لانه تجلى فيه الجمال الباطني وهو جمال الروح والعقل.

نبي الله يعقوب كان عنده اثنا عشر ولداً ولد اثنان من أم وعشرة من أم ثانية. يوسف من بين كل هؤلاء امتاز بقدرات علمية فائقة. طبعاً بيت نبي الله يعقوب يختلف عن الكثير من بيوت الأنبياء فقد أعطاه الله جميع الوجاهات المادية والأخلاقية والعلمية والربانية، وكل المجتمع المحيط به يعرف هذه الكمالات، والذي تميز من بين أبناء يعقوب وأخذ مواريث السابقين هو نبي الله يوسف عليه السلام. بالإضافة إلى الجمال الخاص الذي امتاز به يوسف باقتران والده ووالدته (الجمالين).

ونحن نعتقد أن الامام المهدى وارث الأنبياء والمرسلين بل هو وارث خاتم النبيين فعنده من العلم والمعرفة ما لا تدركه عقولنا، ولاشك أن الإمام المهدى هو أمل الأنبياء والأوصياء وجميع الأمم والشعوب فالكل يتطلع إلى عصر الأمان والسلام والسعادة وبهذا يكون دور الإمام المهدى مهماً ومقامه ووجوده أهم ومنزلته عند الله تعالى لا يعلمها إلا هو تبارك وتعالى وهذا يعد جمالاً روحياً وفالذي يستطيع أن يعيش على الأرض وهو بعيد عن هذا الجمال وبعيد عن هذا الإتصال فهو إلى الآن لم يدرك التوحيد.

● الإمام المهدي من سبعة لم يخلق مثلهم فيمن بقى:

خرج النبي ﷺ ذات يوم وهو مستبشر يضحك سرورا، فقال له الناس: أضحك الله سنك يا رسول الله وزادك سرورا، فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا ولي فيهما تحفة من الله، ألا وإن ربي أتحفني في يومي هذا بتحفة لم يتحفني بمثلها فيما مضى، إن جبرئيل أتاني فأقرأني من ربي السلام وقال : يا محمد إن الله عز وجل اختار من بني هاشم سبعة، لم يخلق مثلهم فيمن مضى ولا يخلق مثلهم فيمن بقي، أنت يا رسول الله سيد النبيين، وعلي بن أبي طالب وصيك سيد الوصيين، والحسن والحسين سبطاك سيدا الأسباط، وحمزة عمك سيد الشهداء، وجعفر بن عمك الطيار في الجنة يطير مع الملائكة حيث يشاء، ومنكم القائم يصلي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلى الأرض، من ذرية علي وفاطمة، من ولد الحسين».

● جمال المنطق:

نبي الله يعقوب لم يكن يفرق بين أبنائه أبداً، لكن ما في القلب لايمكن إخفاؤه . يعني نبي الله يعقوب لا يقول ولكن الذين يأتون للسؤال يجدون نبي الله يوسف يجيب على كل انسان بمقدار ذلك السائل بأحسن وأفضل جواب وهذا جعل الناس تدريجياً يلتفتون إلى تميز يوسف، وهذا تميز لا يمكن إخفاؤه لأن سببه اجتباء وانتخاب إلهي.

إن يوسف عليه السلام كان به خصوصية في طفولته، فقد كان يتكلم في الوقت الذي لابد من الكلام عقلاً ويسكت في الوقت الذي لابد أن يسكت فيه، إذا استقبل الضيوف وضيّفهم فله طريقة خاصة كان إخوانه يحاولون تقليده فيها لكنهم لا يستطيعون لأن يوسف عليه السلام كانت عنده ظرافة خاصة في قيامه وفي جلوسه وفي حديثه وحجيته، كان الناس

يأتون لسؤال نبي الله يعقوب فيكون مشغولاً أحياناً ويوسف أنذاك الثانيه سبع سنوات، فإذا رأى أنه من المناسب أن يجيب الطرف الآخر ولم يكن فيه إهانه وفيه تجليل وإكبار والجو كله يقبل الجواب فإنه يجيب، ولكن إذا رأى الجو لا يسمح فهو لا يجيب، بينما كان إخوانه يتحدثون في لوقت الذي عليهم أن يسكتوا ويسكتون في الوقت الذي يجب أن يتكلموا فيه. هذه الحالة الواقعية عند نبي الله يوسف عليه السلام جعلت وجه يعقوب ينصرف إليه.

● جمال المنطق المهدوي المحمدي:

لقد أعطى الله الأنبياء نفوذاً خاصاً في منطقهم وكلامهم وحركتهم، حتى ما كان يخرج من فم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من رذاذ الهواء كان سبباً للهداية، لو تكلمنا عن هداية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكون فهذا عجيب يقول صلى الله عليه وآله وسلم «**أوتيت جوامع الكلم**» أي عندما أتكلم كلمة واحدة فإن كل الكلام الذي من المفترض أن يقال في ذلك المقام فهو مجموع في كلمتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى القدرة على التأثير بحيث أنه عندما يمسك الحجر يتأثر ويسبح ويهلل فكيف بالإنسان صاحب المشاعر.

ففي الزيارة الجامعة الكبيرة يأتي الخطاب للائمة عليهم السلام «**كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير**». هنا نلحظ بان الزيارة تصوغ عبارات متتابعة تتحدث عن السمات الشخصية للائمة عليهم السلام، والعبارة الاولى هي: «**كلامكم نور**».

إن (النور) مفردة يستخدمها القرآن الكريم مثل ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ ومثل ﴿**أخرجهم من الظلمات الى النور**﴾، والنور هو رمز لكل ايجابي من الظواهر، والملاحظ ان الزيارة قد استخدمت هذا الرمز لكلامهم عليهم السلام، بينما استخدمه القرآن الكريم مثلاً رمزاً لعظمة

الله تعالى وعطائه، كما استخدمه رمزاً للسلوك الإيجابي كالإيمان والطاعة ونحو ذلك.

الكلام إذا كان عبارات إرشادية إلى الخير، حينئذٍ فإن الرمز (النور) يجسد عبارة إرشادية إلى الخير كما هو واضح. ونكرر أن (النور) يدل على أن الائمة عليهم السلام هم المصدر الفكري الذي ينبغي على المسلمين أن يتوفروا عليه، بأن المصدر الذي لا يرفده كتاب الله وعترته، أي: التمسك بالثقلين: كتاب الله وعترته كما أوصى الرسول ﷺ وهذه كلها يبثبتها صاحب العصر والزمان (عج) في ظهوره والدليل على ذلك خطبته التي سوف يلقيها على أهل مكة.

● **خطبته دليل منطقه:**

ممّا يمتاز به حجّة الله، أن يكون قيامه من بيت الله، ويبدأ في نطقه بكلام الله فيُلقى خطبته الموجهة إلى أهل مكّة، وإلى المسلمين، وإلى الخلق جميعاً.

وفي البداية يورد عليه السلام خطبته البليغة التي يستنصر الله تعالى فيها، ويبيّن للناس مقامه الأسمى بها.

وأول ما ينطق به قوله تعالى: ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(١).

وفي حديث جابر الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام في بيان الخطبة: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا نَسْتَنْصِرُ الله، فَمَنْ أَجَابَنَا مِنَ النَّاسِ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّد، وَ نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ وَبِمُحَمَّد** ﷺ.

فَمَنْ حَاجَّنِي فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِآدَمَ، وَمَنْ حَاجَّنِي فِي نُوح فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِنُوح، وَمَنْ حَاجَّنِي فِي إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ،

(١) سورة هود: آية ٨٦.

وَمَنْ حَاجَّنِي فِي مُحَمَّد ﷺ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّد ﷺ وَمَنْ حَاجَّنِي فِي النَّبِيِّينَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ. أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

فأنا بقيّة من آدم، وخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمّد صلّى الله عليهم أجمعين.

● الوجاهة:

إذا كان هناك شخص أعلم من الآخر واتقى منه وأورع منه وأزهد منه، هذا لا يمكن إخفاؤه. فأساس محن البشرية يكمن في الوجاهة الدينية. إخوة يوسف عليه السلام كانوا يطمعون بأن يعترف لهم احد بمقام ما سواء أباهم - أو على الأقل الناس وبالخصوص أن بيت نبي الله يعقوب كان مضيفاً للمحتاجين علمياً ومادياً وهذا طبعاً يُبرز يوماً بعد يوم و هم يرون ان نبي الله يوسف عليه السلام شخص مصطفى ومختار من قبل الله تعالى لوظيفة كبيرة وموقع كبير، ومعنى ذلك أن هؤلاء العصبة سوف يخسرون هذا الموقع. إذا كان هذا الموقع عند أبيهم فهم يطمحون الى أن يصل لهم ولكن عندما تصل لأخيهم فهي ستصل إلى ولده من بعده وهذا معناه الخسارة لهذه الوجاهه.

وقد يتنازل الإنسان عن كل شيء إلا عن الموقع الاجتماعي الراقي وحركة فضائله في الناس. ترى لماذا صار الحسد عند أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام؟ لأن فضائل يوسف ليست قليلة ولم تكن شيئاً يمكن تغطيته أو إخفاؤه.

---

(١) سورة آل عمران: آية ٣٣.

أما الإمام المهدي فوجاهته ليس لها حدود فهو حجة الله على أهل الأرض وعلى من في السماء، وعلى من مضى وعلى من يأتي. لاحظ الإمام ما أكبره، وما أعظمه في هذه الدنيا فقد جاء في زيارته عليه السلام «**السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى، السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسماء**» لاحظ إذاً الإمام حجة على أهل الأرض، وحجة على أهل السماء، وعلى الملائكة «**أشهد أنك الحجة على من مضى، وعلى من بقى، على الأمم الماضية**» المهدي حجة على الأمم الباقية الموجودة، المهدي حجة على الأمم التي ستأتي.

إذاً ما أعظم المهدي عجل الله فرجه، الإمام الذي يبشر به أنبياء الله، الإمام الذي يبشر به نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وهذه وجاهة عظيمة فهو عليه السلام ناظر شجرة طوبى فقد جاء في زيارة الإمام المهدي عليه السلام: «**السّلام عليكَ يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى**».

طوبى: شجرة في الجنّة، وفي التنزيل العزيز: «طوبى لهم وحُسْن مآب».

وأمّا سدرة المنتهى، فأصل السدْر: هو شجر النبق، وأحدتها سِدْرَة وجمْعُها: سِدْرَات وسِدْرٌ وسُدور. سدرة المنتهى هي أقصى مكان في عالم الملكوت. وهي فوق الجنّة أو أقصى مكان في الجنّة، لذا قال تعالى: **ولقد رآه نزلة أخرى** - أي رأى الوحي أو أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام - **عند سدرة المنتهى** - التي لا يتجاوزها خلق من خلق الله حسبما جاء في حديث عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام (**عندها جنّة المأوى**) فجنّة المأوى بجنب سِدرة المنتهى. وجنّة المأوى هي جنّة الخلد التي يأوي إليها المؤمنون ويأوي إليها جبرائيل والملائكة[1].

(١) مجمع البيان: ٩/٢٢٥ .

إن الإمام المهديّ عليه السلام ناظرٌ بعينيه وفكره وروحه إلى أعلى الأماكن في عوالم الملكوت بل عوالم الجبروت، فهو من ربّه كقاب قوسين أو أدنى تماماً كجدّه رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام الّذي كان مع نبينا محمّد في تلك الرحلة الربانية حسبما أشار إلى ذلك الشيخ الطوسي بإسناده إلى إبن عباس.

نقول فأي وجاهة أعظم من هذه الوجاهة المهدوية الراقية المشرفه فهو عجل الله فرجه من لا يمكن مساواة شرفه بشرف ولا وجاهته بوجاهة ودليل هذا في فقرات دعاء الندبة:

«يا بن الهداةِ المهديين، يا بن الخيرةِ المهذبين، يا بن الغطارفةِ الانجبين، يا بن الاطائبِ المطهرين (المتطهرين)، يا بن الخضارمةِ المنتجبين، يا بن القماقمةِ الاكرمين (الأكبرين)، يا بن البدورِ المنيرةِ، يا بن السرجِ المضيئةِ، يا بن الشهبِ الثاقبةِ، يا بن الانجمِ الزاهرةِ، يا بن السبلِ الواضحةِ، يا بن الاعلامِ اللائحةِ، يا بن العلوم الكاملةِ، يا بن السننِ المشهورةِ، يا بن المعالمِ المأثورةِ، يا بن المعجزاتِ الموجودةِ، يا بن الدلائلِ المشهودةِ (المشهورةِ)، يا بن الصراطِ المستقيم، يا بن النبأِ العظيم، يا بن من هو في أم الكتابِ لدى اللهِ علِي حكيمٌ، يا بن الآياتِ والبيناتِ، يا بن الدلائلِ الظاهراتِ، يا بن البراهينِ الواضحاتِ الباهراتِ، يا بن الحججِ البالغاتِ،يا بن النعمِ السابغاتِ، يا بن طه والمحكماتِ، يا بن يس والذارياتِ، يا بن الطورِ والعادياتِ، يا بن من دنا فتدلى فكان قاب قوسينِ او ادنى دنواً و اقتراباً مِن العليِ الأعلى» وفي فقرة أخرى **«بِنفسي أنت مِن عقيدِ عِزٍ لا يسامى، بِنفسي أنت مِن أثيلِ مجدٍ لا يجارى، بِنفسي أنت من تِلادِ نِعمٍ لا تضاهى، بِنفسي أنت مِن نصيفِ شرفٍ لا يساوى».**



- **السخاء والإحسان اليوسفي:**

جمال يوسف لم يكن صرف جمال مادي لأن الإحسان صفة للذات والعمل وصفة للأخلاق. الإحسان ففي الحقيقة هو صورة لصدور العمل. العمل أحياناً يكون صالح، لكن العمل الصالح إذا كان بشكل جمالي سمى إحسان. فكل من رأى نبي الله يوسف عليه السلام وتعامل معه يدرك أن به جنبة من جنبات الإحسان يعني جمال باطني مع جمال ظاهري ففي الحقيقة كان في كل تصرفاته جميلا. ظاهره جميل لكن القرآن يركز على أن هذا الجمال الظاهري مقترن بجمال باطني.

إذا دققنا في هذه السورة كم مرة جاء وصف يوسف عليه السلام إنه محسن. ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ هذه مقولة إخوته عندما رأوا إحسانه، فهم بعد أن بنوا كل سلوكهم على إنكار فضائله فإنهم في آخر المطاف اعترفوا له بذلك فقالوا ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ أيضاً عندما سألوه عن تلك الرؤية وطلبوا منه تفسير الرؤية في السجن قالوا له ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ إذا نظرنا إلى الآيات التي يصف فيها الآخرون يوسف عليه السلام بالإحسان أو يصف الله تعالى فيها يوسف بالإحسان.

الآن كل الإنصراف ليوسف عليه السلام وهذه الخصائص ليوسف عليه السلام بالإستحقاق الواقعي ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾، المجتبون هم الذين يجتبيهم الله تعالى فإنه منذ طفولتهم تظهر عليهم معالم النبوغ والمعرفة، وعادة مشكلة البشرية إن هؤلاء المصطفين لا يراد لهم فضيلة.

نبي الله يعقوب أكد لنبي الله يوسف عليه السلام أن لا يخبر أحداً بمنامه ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾، الآن لاحظوا نبي الله يعقوب عليه السلام كيف جعل الأمر

مـشكلة. بعض العلمـاء يقـولون ان يوسـف لم يقل منامـه ولكن بعض الأشياء لا تحتاج إلى قول. فطبيعة حركة يوسف عليه السلام تقتضي أن يسجد له الآخرون. طبيعة شخصيته وموقعه، هذه مقتضيات واقعية لا يمكن أن لا يقع عليها الآخرون قال تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1] أي ان المسألة في أعماق يوسف عليه السلام، أي طهارتك جذرية.

مرة يكون الإنسان جيد لكن أبيه فيه خلل. لكن عندما يكون الإنسان بيته وأهله وإخوانه كله رفيع ,هذا يضاف إلى رفعته، ومقام إلى مقامه. الله يريد أن يقول له انت هذا المقام ليس عارض عليك، وليست لك دخلا في هذه المقامات فهذا امتداد لآبائك وأجدادك. ﴿**وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ**﴾.

- **حسد أخوة يوسف:**

﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[2].

كيف رأى هؤلاء أنه من اللائق أن يصفوا يعقوب عليه السلام انه في ضلال مبين؟ كيف أجازوا لأنفسهم أن يصفوا نبي من أنبياء الله يرون كماله وهم ابناءه بأنه في ضلال مبين؟

الإخوة كانوا يتصورون أنه عندما يبعدون يوسف عليه السلام عن أبيه سوف يخلوا لهم أبيهم وسوف ينساه. كم سوف يبكي ويتاذى من بعده؟ سنتين؟

(١) سورة يوسف: آية ٦.
(٢) سورة يوسف: آية ٨.

في النهاية سوف ينساه ويغفل عنه، وبالتدريج سوف يصبح الموقع الاجتماعي عند الناس لنا وسوف نكون قوم صالحين ونستغفر، والمسألة لن تكلفنا أكثر من هذا.

- **قبح الحسد:**

- الحسد يجعل الإنسان لا يرى الفضائل أصلاً.
- الحسد أكثر حجاب يمنع الإنسان عن إدراك الفضيلة.
- الحسد عند الجميع لكن كل بحسبه (عند باعة الذهب- الملابس) لا يخلوا الإنسان من الحسد فطالما فيه ذاتية فهو لا يخلوا من الحسد.

وعندما يصير هناك حسد يصبح هناك حجاب عن إدراك المقامات الرفيعة ليصير الإنسان لا يعترف لأهل العلم بعلمهم وللكمل بكمالاتهم. لكن الحاسد يرى أنه من يعترف ليوسف بالكمال هو الذي ظلمه، لأن يعقوب عليه السلام يدرك هذه الكمالات ليوسف عليه السلام فلا يعتبرون أنفسهم هم الظالمين بل يرون أن يعقوب عليه السلام هو الظالم لأنه هو الذي يرى هذه الكمالات في يوسف عليه السلام. لاحظوا كيف إخوته حلوا مشكلة الحسد، عندما تغلي درجة الحسد وتصل إلى مستوى لا يمكن حلها إلا بالتخلص من يوسف عليه السلام. أصلاً يوسف عليه السلام وموضوعه يجب أن ينتهيا ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾، فقرروا قتله ولكن واحد منهم وهو أوسطهم أي أعقلهم قال: لماذا نقتله؟ لنطرفه أي نلقيه في أرض بعيدة ويضيع وعندها نفرق بين يوسف عليه السلام وأبيه عليه السلام ثم أبوه ينساه.

في الليل كلموا أباهم وفي الصباح قبل أن يأخذ أبوهم قرار أخذوه بسرعة، فهم أمام أبيه كانوا يعاملونه معاملة لطيفة لكن عندما ابتعدوا

عن وجه أبيه بدأوا ضرباً وركلاً وكل واحد يعتقد أن سبب عدم وصوله للزعامة هو يوسف عليه السلام. فكل واحد يضرب من جهة، وعندما أرادوا إلقاءه في الجب، انظروا كم يوسف محسن وقلبه كله رحمة ومحبة. كان يفكر فيهم كيف يهتدون ويرجعون إلى الله.

حتى نعرف أن هذا الجمال والكمال كمال باطني. يوسف عمره احدى عشر سنة وإخوته يريدون قتله ولكن وهو في غيابت الجب يفكر في هدايتهم لأن اجتباؤه كان لسعة صدره وسعة محبته وعلمه واحتماله ولمعرفته بحاجة الناس لأولياء الله. فيوسف عليه السلام كان يمارس غاية التلطف مع إخوانه الذين لم يكونوا ينكرون فقط كمالاته الباطنية بل حتى كماله الظاهري، ومع ذلك كان عليه السلام يعتني بهم أشد الاعتناء وأشد الاهتمام.

● هل سوف يبقون في هذا الضلال والانحراف؟

الله سبحانه يخبرنا عن يوسف عليه السلام أنه كان دائم التفكير في هدايتهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ أي في يوم من الأيام سوف يهتدون على يدك وأنت تعلمهم وهم غافلون ويكون سبب عودتهم وإرشادهم على يديك، نعم الجمال الباطني لنبي الله يوسف عليه السلام حول أخوة يوسف الذين بدأ سيرهم بالعداء والمواجهة - كما هي سيرة الناس مع الأولياء والأنبياء- ودخلوا معه في مستوى من العداء كما صور لنا القرآن مكرهم وخديعتهم ومحاولتهم القضاء عليه وقتله وكأن لم يعد بينهم وبينه رحم أصلاً، بل لم يعد فيهم إحساس من البشرية، فكيف رباهم حتى أتوا إليه سجداً، بدأت المسيرة مسيرة عداء ثم تحولت إلى غاية من الحب والولاء. (وهذا جمال الإحسان اليوسفي).

● السخاء والإحسان المهدوي:

إن الوجود المقدس للإمام المهدي هو ضروري لهذا الكون وبقائه وصلاحه حتى وإن كان عليه السلام مستتراً عن الأنظار بالغيبة، ولا تشكل غيبته أي عائق عن الاستفادة من بركات هذا الفيض الإلهي المتمثل بوجوده عليه السلام.

بل هو موجود بين الناس ويعيش معهم ويخالطهم وفي بعض الأخبار أنه يتزوج منهم أيضاً، غير أن الناس لا يعرفون أنه هو الإمام المهدي المنتظر .فعن سدير قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «**إن في القائم سنة من يوسف** عليه السلام». إلى أن قال عليه السلام: فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف.

● قصة ياقوت الدهان:

روي عن الشيخ الجليل العالم النبيل الشيخ علي الرشتي -وكان من أجلاء العلماء الأتقياء- قال: سافرت من مدينة كربلاء المقدسة إلى النجف عن طريق طويريج (يسافر الناس بالزوارق من كربلاء الى طوريريج ثم إلى النجف) فركبنا السفينة، وفيها جماعة كانوا مشغولين باللهو واللعب وبعض الأعمال المنافية للوقار والأدب، ورأيت رجلاً معهم لا يشاركهم في أعمالهم، بل يحافظ على وقاره وأخلاقه، ولا يشترك معهم إلا عند تناول الطعام، وكانوا يستهزؤون به ويخاطبونه بكلام لاذع، وربما طعنوا في مذهبه!

فسألته عن سبب إبتعاده عن تلك الجماعة وعدم إشتراكه معهم في اللهو واللعب؟

فقال: هؤلاء أقاربي، وهم أهل سنة، وأبي منهم، ولكن والدتي من أهل الإيمان (أي: أنها شيعية) وكنت أنا أيضا على مذهبهم، ولكن الله تعالى من علي بالتشيع ببركة الإمام الحجة صاحب الزمان عليه السلام. فسألته عن سبب هدايته وتشرفه بالتشيع؟ فقال: إسمي: ياقوت، وأنا دهان (أن مهنتى بيع الدهن) في مدينة الحلة. ثم بدأ يحكي لي قصة هدايته فقال: خرجت -في بعض السنين- إلى البراربي، خارج الحله، لشراء الدهن، فاشتريت كمية من الدهن ورجعت مع جماعة، ووصلنا ليلاً إلى منزل -في الطريق- فبتنا فيه الليلة، فلما انتبهت من النوم، رأيت أن الجماعة قد رحلوا جميعاً، فخرجت في أثرهم وكان الطريق في البر اللأقفر، وأرض ذات سباع، فظللت عن الطريق، وبقيت متحيراً خائفاً من السباع والعطش.

فجعلت أستغيث بالخلفاء!! وأسألهم الإعانة، فلم يظهر شيء! وكنت -فيما مضى- قد سمعت من أمي أنها قالت: إن لنا إماماً حياً، يكنى: أبا صالح، وهو يرشد الضال ويغيث الملهوف ويعين الضعيف، فعاهدت الله تعالى: إن أغاثني ذاك الإمام أن أدخل في دين أمي (أي: اعتنق مذهب التشيع).

فناديت: يا أبا صالح! وإذا برجل في جنبي وهو يمشي معي وقد تعمم بعمامة خضراء، فدلني على الطريق، وأمرني بالدخول في دين أمي، وقال ستصل إلى قرية أهلها جميعاً من الشيعة فقلت له: ألا تأتي معي إلى هذه القرية؟ قال: لا .. لأنه قد إستغاث بي -الآن- ألف إنسان في أطراف البلاد، وأريد أن أغيثهم. ثم غاب عني، فمشيت قليلاً، فوصلت إلى القرية وكانت تبعد عن ذالك المنزل الذي نزلنا فيه ليلاً - مسافة بعيدة، ووصلت الجماعة إلى تلك القرية بعدي بيوم!

ودخلت الحلة، وذهبت إلى دار السيد مهدي القزويني وكان من علماء الشيعة البارزين في عصره فذكرت له القصه، وتعلمت منه معالم الدين ... إلى آخر كلامه.

● **قصة شرف السيد المتقي العاملي بلقائه عليه السلام:**

وردت المشهد الرضوي المقدس للزيارة وأقمت فيه مدة وكنت في ضنك وضيق مع وفور النعمة ورخص أسعارها ولما أردت الرجوع مع سائر الزائرين لم يكن عندي شيء من الزاد حتى قرص لقوت يومي فتخلفت عنهم وبقيت إلى زوال الشمس فزرت مولاي وأديت فرض الصلاة ورأيت أني لو ألحق بالقافلة فلن يتيسر لي رفقة عن قريب وإن بقيت أدركني الشتاء وساءت حالتي.

فخرجت من الحرم المطهر بعد أن دعوت وشكوت وقلت في نفسي: أمشي على أثرهم فإن مت جوعاً استرحت وإلا لحقت بهم فخرجت من البلد وسألت عن الطريق وصرت أمشي حتى غربت الشمس وما صادفت أحداً فعلمت أني أخطأت الطريق وأنا ببادية مهولة لا يرى فيها سوى الحنظل وقد أشرفت من الجوع والعطش على الهلاك فصرت أكسر حنظلة حنظلة لعلي أظفر من بينها ببطيخة حتى كسرت نحواً من خمسمائة فلم أظفر بها وطلبت الماء والكلأ حتى جني الليل ويئست منهما فأيقنت الفناء واستسلمت للموت وبكيت على حالي.

وتراءى لي مكان مرتفع فصعدته فوجدت في أعلاه عيناً من الماء فتعجبت وشكرت الله عز وجل وشربت الماء ونقلت في نفسي: أتوضأ وأصلي لئلا ينزل بي الموت وأنا مشغول الذمة بهما فبادرت إليهما.

فلما فرغت من العشاء الأخرى وامتلأت البيداء بأصوات السباع

وغيرها وكنت أعرف من بينها صوت الأسد والذئب وأرى أعين بعضها تتوقد كأنها السراج فزادت وحشتي إلا أني كنت مستسلماً للموت فأدركني النوم لكثرة التعب وما أفقت إلا والأصوات قد خمدت والدنيا بنور القمر قد أضاءت وأنا في غاية الضعف فرأيت فارسً مقبلاً علي، فقلت في نفسي: إنه يقتلني لأنه يريد متاعي فلا يجد شيئاً عندي فيغضب لذلك فيقتلني ولا أقل من أن تيصيبني منه جراحة.

فلما وصل إلي سلم علي فرددت عليه السلام وطابت منه نفسي فقال: مالك؟ فأومأت إليه بضعفي فقال: عندك ثلاث بطيخات لم لا تأكل منها؟ فقلت: لا تستهزئ بي ودعني في حالي فقال لي: انظر وراءك فنظرت فرأيت شجرة بطيخ عليها ثلاث بطيخات كبار، فقال: سد جوعك بواحدة وخذ معك اثنتين وعليك بهذا الصراط المستقيم فامش عليه وكل نصف بطيخة أول النهار والنصف الآخر عند الزوال وأحفظ بطيخة فإنها تنفعك فإذا غربت الشمس تصل إلى خيمة سوداء يوصلك أهلها إلى القافلة وغاب عن بصري.

فقمت إلى تلك البطيخات فكسرت واحدة منها فرايتها في غاية الحلاوة واللطافة كأني ما أكلت مثلها فأكلتها وأخذت معي الاثنتين ولزمت الطريق وجعلت أمشي حتى طلعت الشمس ومضى على طلوعها مقدار ساعة فكسرت واحد منهما وأكلت نصفها وسرت إلى زوال الشمس فأكلت النصف الآخر وأخذت الطريق.

فلما قرب الغروب بدت لي تلك الخيمة ورآني أهلها فبادروا إلي وأخذوني بعنف وشدة وذهبوا بي إلى الخيمة كأنهم زعموني جاسوساً فأتوا بي إلى كبيرهم فقال لي بشدة وغضب من أين جئت؟ تصدقني وإلا قتلتك ورحنا نتبادل التخاطب بكل حيلة حتى شرحت له حالي فقال

أيها السيد الكذاب لا يعبر من الطريق الذي تدعيه متنفس إلا تلف: أو أكله السباع ثم إنك كيف قدرت على تلك المسافة البعيدة في الزمان الذي تذكره ومن هذا المكان إلى المشهد المقدس مسيرة ثلاثة أيام؟! صدقني وإلا قتلتك وشهر سيفه في وجهي.

فبدا له البطيخ من تحت عباءتي فقال: ما هذا؟ فقصصت عليه قصته فقال الحاضرون: ليس في هذه الصحراء بطيخ خصوصاً هذه البطيخة التي ما رأينا مثلها أبداً.

ثم رجعوا إلى أنفسهم وتكلموا فيما بينهم وكأنهم علموا صدق مقالتي وأن هذه معجزة من الإمام عليه السلام فأقبلوا علي وقبلوا يدي وصدروني في مجلسهم وأكرموني غاية الإكرام وأخذوا لباسي تبركاً به وكسوني ألبسة جديدة فاخرة وأضافوني يومين وليلتين.فلما كان اليوم الثالث أعطوني عشرة توامين ووجهوا معي ثلاثة منهم حتى أدركت القافلة.

نحن ندعي أن إمامنا صاحب الزمان هو الحاضر الناظر المرشد الرحيم الودود الذي اصطفاه الله تعالى واجتباه وروّضه الله لحمل هموم الانسانية فرداً فرداً أو مجتمعاً مجتمعاً. يعني الإمام عليه السلام علاوة على أنه يحمل هموماً اجتماعية عظيمة فهو يحمل هموم المؤمنين واحداً واحداً. لأن هذه هي رسالته، فكما أن رسالتنا الدينية أن نحج ونصوم ونصلي ونزكي، فرسالته عليه السلام هي الهداية. وكما أنه يجب علينا على كل حال أن نؤدي وظيفتنا من صلاة وصيام، كذلك يجب عليه لسعة وجوده ورحمته وعلمه ومعرفته أن يؤدي وظيفته اتجاه الناس واحداً واحد. قد نغفل عنه نحن ولكنه لا يغفل عنا أبداً لأنه إذا غفل انتفت وظيفته الإمامية وانتفى كونه إماماً .

- **جمال العلاقة بالولي:**

نبي الله يعقوب ولي من أولياء الله ونبي من أنبياء الله. كان يبكي على فراق يوسف عليه السلام وكان بكائه ليس بكاء فراق الاب لولده لكنه يبكي عليه كعلاقة الإنسان بالولي الكامل. علاقة الإنسان بوليه أي البكاء والحزن الذي هو سبب لتطهير النفوس وسبب لحفظ العلاقة وإبقائها.

يعقوب عليه السلام الذي يعيش قمة إدراك يوسف في حال أنه إذا رأى يوسف عليه السلام فإنه يذوب فيه ﴿تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾ هو في الحقيقة ان كل روحه تذوب في يوسف.

الناس الذين يرون الإحسان والجاذبية الظاهرة والباطنة في يوسف عليه السلام هم يحبونه ويتعلقون به بمقدار ما يدركون. لذلك هذا النوع من المعرفة العميقة لا يؤثر فيها كون الإنسان بعيداً أم قريباً. أما إخوة يوسف عليه السلام كانوا يتصورون أنهم إذا أبعدوا يوسف عليه السلام وغيبوه سوف ينساه يعقوب ويخلو لهم وجه أبيهم لكن ما صار العكس لأن العلاقة مع ولي الله الأعظم إذا غاب تشتد.

إخوة يوسف تصوروا إنهم إذا أبعدوه ستنقطع العلاقة ولم يلتفتوا إلا أنه هناك نظام دقيق للإرتباط بأولياء الله الحقيقيين فلا شيء يعوض عن العلاقة بأولياء الله.

إن فراق أولياء الله لا يقطع العلاقة بهم فقد نسى إخوة يوسف أنه هناك معادلة دقيقة وهي أن الإنسان إذا عرف ولي الله وكمالات ولي الله فإن غيابه يزيد المحبة فنبي الله يعقوب عليه السلام في ذلك الزمان هو الوحيد الذي يدرك نبي الله يوسف عليه السلام إدراكاً كاملاً، يعرف فضائله وأن الله سيهدي الناس على يديه ويعرف أن الله قد انتجبه واصطفاه وأنه يعرف آباءه. هذا النوع من المعرفة يقابلها عاطفة تساويها (فمن

كثرت معارفه كثرت عواطفه) أي يصبح الحب والتعلق بمستوى هذه المعرفة.

فيعقوب عليه السلام يعرف أن يوسف عليه السلام موجود وهو ولي من أولياء الله العظام لكنه لا يجد طريقاً إليه ولا يعرف أين هو ومن هنا فإن العلاقة تزيد وتشتد، لأنه له علم بمراتب يوسف عليه السلام وله علم بإجراء التوحيد على يد يوسف عليه السلام، أي معارفه عميقة وعواطفه عميقه ومحبوبه غائب وهذا عذاب الحب.

نعم ان فراق أولياء الله هو الذي يزيد علاقة على العلاقة ومحبة على المحبة. لاحظوا عبارات دعاء الندبة «**عزيز علي أن ارى الخلق ولا ترى ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى**».

والعزيز أي الشيء الصعب الذي لا أتحمله. الذي يحب شخص جداً وفارقه فإنه لا يقدر أن يرى أحد. فكل أحد يراه يشعر أنه حجاب عن التفكير في محبوبه، يشعر أنه شاغل عن العلاقة. الإنسان المحب ينشغل بعلاقته مع الفراق، مع الفراق يصبح كل الشغل الباطني مع هذه العلاقة. دائماً باطنه مشغول بهذه العلاقة عندما يرى الكون ولا يراه، كل شيء في الكون يصير لا قيمة له.

● جمال التعلق بولي الله الأعظم :

التعلق بولي الله الأعظم يزداد في زمن الغيبة خاصة إذا كنا نعلم أن هناك شخص إذا تعلقنا به فأن نفوسنا سوف تتغير وتصبح النفس مطيعة، وليس عنيدة فالقائد السماوي الكبير، سواء كان نبياً أو إماماً، له نوع من التربيه الروحيه التي تعمل عن طريق النفوذ المعنوي في القلوب والأفكار، ويمكن تسميتها باسم التربيه التكوينيه. وهنا لا أثر

للالفاظ والكلمات والكلام والعمل، وانما الشيء الموثر هو الجاذبيه الكامنه في الباطن.

ونقرأ في سير الكثير من الائمه الكبار أن بعض الأشخاص المنحرفين بمجرد اتصال بسيط معهم يغيرون مسيرتهم كليا، وينقلبون تماما، أو كما نقول ينحرفون عن حياتهم بزاويه مئه وثمانين درجه، وينتخبون اسلوباً جديداً وينقلون مرة واحدة إلى أشخاص طاهرين مؤمنين وذوي إيثار، لا يحجمون عن بذل وجودهم.

إن هذه التغييرات السريعه بكافه جوانبها، وهذه التحولات الكليه وذلك خلال لقاء واحد، طبعا بالنسبه لهولاء رغم انحرافهم لديهم استعداد أيضاً، هو نتيجه جذبه لا إراديه يعبر عنها أحيانا باسم نفوذ الشخصية.

وقد جرب الكثير في حياتهم أنهم أثناء لقائهم بأشخاص ذوي روحية عالية، يقعون تحت تأثيرهم دون اختيار أو إرادة منهم، حتى أنه يصعب عليهم الكلام أمامهم ويجدون أنفسهم في هاله من الغموض لا توصف عظمتها.

طبعاً يمكن أحيانا اعتبار ذلك تلقينا وما أشبه، ولكن بالتأكيد لا يصح ذلك علي جميع الحالات، ولا يوجد طريق سوى أن نقبل أن هذه الآثار نتيجة شعاع غامض ينبع من باطن الأشخاص العظام.

هناك مواقف كثيرة في تاريخ الأئمه الكبار تفسر بهذا التفسير، ونورد فيما يلي بعض النماذج:

- تأثير كلام الإمام الحسين عليه السلام على أفكار زهير بن القين أثناء المسير إلى كربلاء، الذي وضع اللقمه من يده والتحق به عليه السلام[٢].

(١) وقعة الطف: ١٦١ .

- الجذبه العجيبه التي شعر بها الحر بن يزيد الرياحي في نفسه وأخذ يرتجف رغم شجاعته، وهذه الجذبه هي التي سحبته إلى صفوف المجاهدين في كربلاء حتى نال فخر الشهاده العظيمه[١].

- قصه الشاب الذي كان يقيم إلى جوار أبي بصير بثروته العظيمه، التي جمعها من خدمته لنظام بني اميه، والذي كان يعيش حياة لاهية لا ضابطة لها فتغير كليا برساله من الإمام الصادق عليه السلام، فترك أعماله كلها، وانفق جميع أمواله التي جمعها من طريق غير مشروع في سبيل الله أو أعادها لأصحابها[٢].

- قصه الأمة الجميلة التي بعثها هارون الرشيد لجهله إلى الإمام الكاظم عليه السلام لكي يحرفه، فانقلبت خلال مدة وجيزة بحيث أن مظهرها وكلامها ومنطقها أدهش هارون وأخافه[٣].

جميع هذه القصص نماذج لهذا التأثير اللاإرادي، ويمكن اعتباره فرعاً من الولاية التكوينية للمعصومين، من النبي صلى الله عليه وآله وحتى الأئمة عليهم السلام، لأن عامل التربية والتكامل هنا ليست الألفاظ والجمل والطرق العادية، وانما الجذبة المعنويهة والنفوذ الروحاني اللذان يعتبران العامل الأساسي.

إن الوجود المبارك للإمام صاحب الزمان عليه السلام في غيبته له هذا الأثر أيضا، ففي طريق الشعاع القوي الواسع لنفوذ شخصيته، يؤثر بجذبته الخاصة في القلوب المستعدة القريبة والبعيدة، ويبدأ بتربيتهم وتكاملهم ليصنع منهم الإنسان الكامل.

---

(١) وقعة الطف:٢١٣ .
(٢) بحار الانوار ٤٧:١٤٥، ب (٥) معجزات واستجابه دعواته، ح ١٩٩ .
(٣) مناقب آل ابي طالب ٣:٤١٥ .

إننا لا نرى قطبي الجاذبية المغناطيسية للأرض بأعيننا ولكن أثرهما ظاهر في البوصلة؛ لدى قيادة السفن في البحار، وفي الصحاري، وفي قياده الطائرات في الفضاء، والأجهزه الأخرى، ومن بركة هذه الأمواج على الكرة الأرضية فإن ملايين المسافرين يجدون طريقهم نحو أهدافهم، فيتخلصون -بالناقلات الصغيرة والكبيرة بأمر من هذه العقرية الصغيرة في ظاهرها- من الضياع.

فهل من العجب أن يكون الوجود المبارك للإمام صاحب الزمان صلوات الله عليه، في زمن الغيبه -بواسطه أمواج جذبية المعنوية- هادياً لأفكار وأرواح الكثيرين، وينقذهم من الضياع؟؟ طبعاً يجب أن لا ننسي أن الأمواج المغناطيسية في الأرض لا تؤثر على القطع الحديدية الرخيصة وإنما تؤثر على العقارب الدقيقة الحساسة تلك التي لها خاصية الجاذبية، والتي لها شبه مع القطب المرسل للأمواج المغناطيسية، وكذلك القلوب التي لها طريق إلى الإمام المهدي عليه السلام وتدخر في باطنها شبها تقع تحت تأثير تلك الجذبة الروحانية.

فالإمام المهدي عليه السلام الذي شبه رسول الله بالشمس من وراء السحاب هو الذي بوجوده يتنعم البشر، وتنتظم حياته، وهو الذي تتفجر منه الخيرات والبركات والألطاف الخفية والفيوضات المعنويه إلى الناس.

فهو يتصرف في الكائناب بصوره مستمره، ويملك كافه الصلاحيات التي فوضها الله إليه، وليست حياته حياه العاجز الضعيف، الذي لا يملك حولاً ولا قوه، ويكتفي بصلاته وصيامه، ويقضي أوقاته في الصحاري والبراري منعزلا عن الناس، لا يعرف شيئاً عن العباد والبلاد، كلا وألف كلا.

إن الإمام المهدي عليه السلام -بالرغم من غيبته التي أرادها الله له- يتمتع

بقدرة من الله تمكنه من كل ما يريد، وتوفر له جميع الوسائل اللازمة، ومما لا شك فيه أن تصرفات الإمام المهدي وإنجازاته، كلها مطابقة للحكمة والمصلحة، وليست تابعه للهوي والميول النفسانية، فيعطي ويمنع، ويفعل ويترك، ويدعو الله تعالى فيرشد الضال، ويشفي المريض، ويظهر نفسه لهذا وذاك، تارة في العراق، وأخرى في إيران، ومرة في طريق الحج، وأخرى في مكة والمدينة ومنى وعرفات، كل ذلك بقدرة الله تعالى.

هذا مضافاً إلى أننا نتتفع بتعاليمه التي قد يعطيها لمن يماشيه، ولمن يجالسه، ولمن يرافقه في الطريق، وفي المسجد، وفي المتجر، وفي المجتمعات، دون أن يحس هذا المستفيد بأن هذه التعاليم صادرة عن صاحب الأمر عليه السلام. فإنه يظهر في مناسبات بين الناس، يعرفهم ولا يعرفونه، وينصح لهم وللإسلام دون أن يخطر ببال أحد منهم ذكر المهدي عليه السلام أو كونه هو هو هذا الآمر بالمعروف أو الناهي عن المنكر، نذكر نبذة صغيرة وضئيلة مما يقوم به المهدي في عصر الغيبة لحفظ الإسلام والمسلمين.

قال الصادق عليه السلام: **والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنه فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه**[1].

سأل جريح المحاربي الإمام الكاظم عليه السلام في معنى الآيه **﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**[2] قال ليقضوا تفثهم أي ليلتفتوا إلى إمامهم، أي يرجعوا إلى إمامهم. إن الوظيفة الأولى في الحج هي الإلتفات للإمام عليه السلام.

(١) بحار الانوار ١٥٢:٥٢، ب (٢٣) من ادعى الروية في الغيبة الكبرى، ح ٤ .
(٢) سورة الحج: آية ٢٩.

فالإمام موجود وعلى قيد الحياة وينظر في عبادات أوليائه وشيعته سيما العبادات المهمة منها؟ وإن أهم وظائف الإمام هي هداية الناس وإرشاد قلوب الناس وأعمالهم اما مسألة أن يشرف الإمام عليه السلام على النفوس والقلوب والأرواح والعبادات فهذه وظيفة الإمام عليه السلام فإذا عرفنا وظيفة الإمام في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل هموم الأمة فإن الإمام عليه السلام حاله ليس حال عامة الناس ولا عامة العلماء ولا حتى بمستوى المجتهدين والفضلاء. بل انه يعتبر الأمة بالنسبة له كأبناء **«يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»**.

- **قصة إسماعيل الهرقلي:**

قال العالم الفاضل علي بن عيسى الإربلي في (كشف الغمة).حدثني جماعة من ثقاة إخواني أنه كان في بلاد الحلة شخص يقال له: إسماعيل الهرقلي من قرية يقال لها: (هرقل)، مات في زماني وما رأيته حكى لي ولده شمس الدين قال:

حكي لي والدي أنه خرج (فية) وهو شاب على فخذه الأيسر توثة مقدار قبضة الإنسان وكانت في كل ربيع تتشقق ويخرج منها دم وقيح ويقطعه آلمها عن كثير من أشغاله، فحضر إلى الحلة يوماً ودخل إلى مجلس السيد رضي الدين علي بن طاووس وشكا إليه ما يجده، فأحضر له السيد أطباء الحلة وأراهم الموضع فقالوا: هذه التوثة فوق العرق الأكحل وعلاجها خطرا فمتى قطعت خيف أن ينقطع العرق فيموت.

فقال له السيد: أنا متوجه إلى بغداد وربما كان أطباؤها وأعرف وأحذق من هؤلاء فاصحبني فصحبة فأحضر الأطباء فقالوا كما قال أولئك فضاق صدره فقال له السيد: إن الشرع قد فسح لك في الصلاة

في هذه الثياب وعليك الاجتهاد في الاحتراسفقال والدي: إذا كان الأمر هكذا وقد حصلت في فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسر من رأى ثم توجه إلى هناك.

يقول صاحب (كشف الغمة): حدثني ولده قال : قال لي أبي:لما دخلت المشهد وزرت الإمامين الهمامين علي النقي والحسن العسكري (عليهما السلام) نزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبصاحب الأمر عليه السلام وقضيت الليل في السرداب حتى إذا كان الصباح مضيت إلى دجلة فاغتسلت وغسلت ثيابي وملأت إبريقاً كان معي وصعدت أريد المشهد لمعاودة الزيارة فرأيت أربعة فرسان خارجين من باب السور وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون أغنامهم فحسبتهم منهم فالتقينا فرأيت شابين يتقلد كل منهما سيفاً وشيخاً منقباً بيده رمح. والآخر متقلد بسيف وعليه فرجية ملونة فوق السيف وهو متحنك بعذبته فوقف الشيخ صاحب الرمح بين الطريقين ووضع كعب رمحه في الأرض ووقف الشابان عن يسار الطريق وبقي صاحب الفرجية على الطريق مقابلاً لي ثم سلموا علي فرددت عليهم السلام فقال لي صاحب الفرجية: أتروح إلى أهلك غداً؟ قلت نعم، قال تقدم حتى أبصر ما يوجعك.

قال: فكرهت ملامستهم وقلت في نفسي: أهل البادية ما يكادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول، ثم إنني مع ذلك تقدمت إليه فلزمني بيدي ومدني إليه وجعل يلمس جانبي من كتفي إلى أن أصابت يده التوثة. فعصرها بيده فأوجعني ثم استوى في سرج فرسه كما كان فقال لي الشيخ: أفلحت يا إسماعيل.فتعجبت من معرفته باسمي فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله، فقال هذا هو الإمام فتقدمت إليه فاحتضنته وقبلت فخذه ثم إنه ساق وأنا أمشي معه

محتضنه فقال: ارجع فقلت: لا أفارقك أبداً! فقال المصلحة رجوعك فأعدت عليه مثل القول الأول فقال الشيخ ما تستحي يقول لك الإمام مرتين: ارجع، وتخالفه فجبهني بهذا القول فوقفت فتقدم خطوات والتفت إلي وقال إذا وصلت بغداد فلابد أن يطلبك أبو جعفر يعني الخليفة المستنصر فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه وقل لولدنا الرضي ليكتب لك إلى علي بن عوض فإنني أوصيه يعطيك الذي تريد.

ثم سار وأصحابه معه، فلم أزل قائماً أبصرهم حتى بعدوا، وحصل عندي آسف لمفارقته فقعدت على الأرض ساعة ثم مشيت إلى المشهد فاجتمع القوام حوالي وقالوا نرى وجهك متغيراً أوجعك شيء؟ قلت: لا قالوا خاصمك أحد؟ قلت لا ليس عندي مما تقولون خبر، لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم؟ فقالوا: هم من الشرفاء أرباب الغنم فقلت بل هو الإمام عليه السلام فقالوا الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية؟ فقلت هو صاحب الفرجية، فقالوا أريته المرض الذي فيك؟ فقلت: هو قبضة بيده وأوجعني ثم كشف رجلي فلم أرى لذلك المرض أثراً فتداخلني الشك من الدهش فأخرجت رجلي لآخر الأخرى فلم أر شيئاً فانطبق الناس على ومزقوا قميصي فأدخلني القوام خزانة ومنعوا الناس عني.

وكان ناظر (بين النهرين) بالمشهد فسمع الضجة وسأل عن الخبر فعرفوه فراح ليكتب الواقعة وبت في المشهد وصليت الصبح وخرجت وخرج الناس معي إلى أن بعدت عن المشهد فرجعوا عني ووصلت إلى (أواني) فبت بها وبكرت منها أريد بغداد فرأيت الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة يسألون كل من ورد عليهم عن اسمه ونسبه وأين كان،

فسألوني عن اسمي ومن أين جئت فعرفتهم ومزقوا ثيابي وكادت روحي تفارق مني الجسد. وكان ناظر (بين النهرين) كتب إلى بغداد وعرفهم الحال وخرج السيد رضي الدين ومعه جماعة فردوا الناس عني وسألني أعنك يقولون؟ قلت نعم فنزل عن دابته وكشف فخذي فلم ير شيئاً فغشي عليه ساعة ثم انتبه فأخبرني أن الوزير طلبه وأدخلني على الوزير وكان قيماً فقال له يا مولاي هذا أخي وأقرب الناس إلى قلبي.

فسألني الوزير عن القصة فحكيت له فأحضر الأطباء الذين أشرفوا على علتي فسألهم عنها وعن مداواتها فقالوا: ما دواؤها إلا القطع ومتى قطعها مات فقال فتقدير أن يقطع ولا يموت في كم تبرأ؟ فقالوا في شهرين ويبقى في مكانها حضيرة بيضاء لا ينبت فيها شعر فسألهم الوزير: متى رأيتموه؟ قال منذ عشرة أيام فكشف الوزير عن الفخذ التي كان فيها الألم فإذا هي مثل أختها ليس فيها أثر أصلاً.

فصاح أحد الأطباء- وكان نصرانياً- هذا والله من عمل المسيح! فقال الوزير حيث لم يكن من عملكم فنحن نعرف من عملها .ثم إن الوزير بعث بي إلى الخليفة المستنصر فسألني عن القصة فعرفته بها كما جرت فتقدم لي بألف دينار فقال: خذ هذه فأنفقها فقلت: ما أجسر أخذ منها حبة واحدة فقال: ممن تخاف؟ فقلت من الذي فعل بي هذا قال لي لا تأخذ من أبي جعفر شيئاً فبكى الخليفة وخرجت من عنده ولم آخذ شيئاً.

يقول صاحب (كشف الغمة): كان من محاسن ما اتفق لي أني كنت يوماً أحكي هذه القصة لجماعة عندي، وكان شمس الدين محمد ولد إسماعيل عندي وأنا لا أعرفه، فلما انقضت الحكاية قال: أنا ولده لصلبه فعجبت من هذا الاتفاق وقلت له: هل رأيت فخذه، وهي مريضة؟

فقال لا، فقد كنت صغيراً، ولكني رأيتها بعدما صلحت، ولا أثر فيها، وقد نبت في موضعها شعر، وكان أبي يحضر إلى بغداد كل سنة ويزور سر من رأى كل يوم من إقامته هناك علة يفوز برؤيته عليه السلام فلم يكتب له ذلك، وقد زار سامراء أربعين مرة، ثم مات رحمه الله بحسرته.

من فقرات دعاء الندبة «**بِنفسي أنت أمنِية شائِقٍ يتمنى، مِن مؤمنٍ ومؤمِنةٍ ذكرا فحنا، بِنفسي أنت مِن عقيدِ عِزٍ لا يسامى، بِنفسي أنت مِن أثيلِ مجدٍ لا يجارى، بِنفسي أنت مِن تِلادِ نِعمٍ لا تضاهى، بِنفسي أنت مِن نصيفِ شرفٍ لا يساوى، إلى متى أحار فيك يا مولاي وإلى متى، وأي خِطابٍ أصِف فيك وأي نجوى، عزيزٌ علي أن أجاب دونك وأناغى، عزيزٌ علي أن أبكِيك ويخذلك الورى، عزيزٌ علي أن يجري عليك دونهم ما جرى، هل مِن معينٍ فأطيل معه العويل والبكاء، هل مِن جزوعٍ فأساعِد جزعه إذا خلا، هل قذِيت عينٌ فساعدتها عيني على القذى، هل إليك يا بن أحمد سبيلٌ فتلقى، هل يتصِل يومنا مِنك بِعِدةٍ فنحظى، متى نرِد مناهِلك الروية فنروى، متى ننتقع مِن عذبِ مائك فقد طال الصدى، متى نغاديك ونراوِحك فنقِر عيناً (فتقر عيَوننا)، متى ترانا ونراك وقد نشرت لِواء النصرِ ترى، أترانا نحف بِك وأنت تأم الملا وقد ملأت الأرض عدلاً وأذقت أعداءك هواناً وعِقاباً، وأبرت العتاة وجحدة الحق، وقطعت دابِر المتكبرين، واجتثثت أصول الظالمِين، ونحن نقول الحمد للهِ ربِ العالمين**».



﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف:٥)

الشبه في خوف اليوسفين

كان خوف نبي الله يوسف عليه السلام من إخوته لذلك قال له والده لا تخبر إخوتك بالرؤيا وكان هذا الأمر خوفاً من إخوته ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (يوسف:٥). أما خوف الإمام المهدي عليه السلام كان من أمور أخرى.

ورد سؤال على سماحة الشيخ الدُّر العاملي - حفظه الله- حول معنى ما جاء في زيارة الإمام الحجة -أرواحنا فداه- : «**السلام عليك أيُّها المهذَّب الخائف**»، فكانت إجابته حفظه الله:

- **ومعنى خوفه عليه السلام، ففيه احتمالان:**

١- الخوف على العباد من تفشي الفساد، لأنه عليه السلام بمثابة الأب من الناس.

٢- الخوف الذي كان من أسباب غيبته، فقد ذكرت الروايات الشريفة أن سببا من أسباب غيبته عليه السلام.

٣- الخوف من بني العباس لعنهم الله، الذين سعوا بحثا عنه لقتله وهو جنين في بطن أمه الطاهرة.

ذكرت كثير من الروايات أن سبب الغيبة هو **خوف الإمام من القتل** فقد ورد في الرواية عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «**لاَ بُدَّ لِلْغُلاَمِ مِنْ غَيْبَةٍ فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ يَخَافُ الْقَتْلَ**».

فقد ولد الإمام في زمان لم يكن يتساهل فيه بنو العباس إطلاقا مع حب آل البيت، ويكفي أن أباه وجده قضيا عمرهما في حجز إجباري، وما حاولته السلطة الحاكمة للحصول على معلومات ترشد إلى المهدي يشير إلى أن الهدف كان قتله.

وقد يظن البعض أن الخوف والهروب والاختباء ليس من شيم الرساليين والأنبياء والأئمة، وبل يجب عليهم المواجهة والمجابهة مع القوى الظالمة حتى لو ادى ذلك لإزهاق الأرواح كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام ولكن يرد عليهم بأن القرآن حكى عن نبي الله موسى قوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(١).

● لماذا الإمام يخاف من القتل؟

١- لأن لا أحدا من البشر يقوم مقام الإمام المهدي:

وذلك لأنه آخر الأئمة ولأن مصلحة المكلفين مقصورة عليه وبالتالي فلا يمكن أن يُعرض نفسه للقتل في حين يكون الهدف الإلهي هو في حياته لا استشهاده كما كان الأمر بالنسبة لجده الحسين عليه السلام.

فالإمام المهدي أرواحنا فداه هو بقية الله في أرضه من أهل بيت النبوة، وخاتم الأوصياء والأئمة (عليهم السلام)، وأمين الله على قرآنه ووحيه، ومشكاة نوره في أرضه، ففي شخصيته تتجسد كل قيم الإسلام ومُثُله، وشبَه النبوة وامتداد نورها .وفي غيبته تكمن معان كبيرة، من الحكم والأسرار الإلهية، ومظلومية الأنبياء والأولياء والمؤمنين على يد حكام الظلم وسلاطين الجور.

وفي الوعد النبوي بظهوره، تخضرُّ آمال المؤمنين، وتنتعش قلوبهم المهمومة، وتقبض أكفهم على الراية، وإن عتت العواصف، وطال الطريق، فهم وصاحبها على ميعاد.

ولئن كان الشيعة معروفين بغنى حياتهم الروحية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن

(١) سورة الشعراء: آية ٢١.

شخصية الإمام المهدي أرواحنا فداه ومهمته الموعودة، بجاذبيتها الخاصة، فهو عليه السلام رافد حيوي في إغناء روح الشيعي بالأمل والحب والحنين. فمخزون الشوق والحب والتقديس الذي يملكه الإمام المهدي عليه السلام في قلوب المسلمين، بل في قلوب الإنسانية، لا تملكه اليوم شخصية على وجه الأرض، وسوف تزداد هذه الشعبية والاهتمام بأمره، حتى ينجز الله تعالى وعده، ويظهر به دينه على الدين كله.

٢- خوفه من القتل لأنه لا يجوز خلو الأرض من الحجة:

ومن أسباب غيبة وخوفه من القتل لأنه لا يجوز خلو الأرض من الحجة: فيجب بقاء الإمام على الأرض بين الناس ولو بشكل مخفي لضرورة وجود الحجة في الأرض، وذلك في مقابل من يرى عدم ولادته البتة، أو من يقترح في مقابل غيبته وفاه وإحيائه من جديد أو رفعه كعيسى إلى السماء، فنقول إن من سنن الله التي لا تتخلف يوما واحدا على امتداد الثاني البشرية أنه لا بد من وجود حجة قائم في أرض الله، و الإمام المهدي حيث قُدر له أن لا يكون حجة مرئيا حاضرا فسيكون حجة غائبا.

روى الشيخ الصدوق عَن الصَّادِق عليه السلام قَالَ «**لَمْ تَخْلُ الأَرْضُ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ فِيهَا ظَاهِرٍ مَشْهُورٍ أَوْ غَائِبٍ مَسْتُورٍ وَلاَ تَخْلُو إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ فِيهَا وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمْ يُعْبَدِ اللَّهُ قَالَ سُلَيْمَانُ فَقُلْتُ لِلصَّادِقِ عليه السلام فَكَيْفَ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِالْحُجَّةِ الْغَائِبِ الْمَسْتُورِ قَالَ كَمَا يَنْتَفِعُونَ بِالشَّمْسِ إِذَا سَتَرَهَا السَّحَابُ**».

٣- خوف الإمام وغيبته هرباً من البيعة:

ركزت بعض الأحاديث على أن سبب الغياب هو عدم التحاق الإمام قسرا بسلطة أو حكومة على الإطلاق، فقد روى الكليني في الاحتجاج

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ وَأَمَّا **عِلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلاَّ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُجُ وَلا بَيْعَةَ لأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ فِي عُنُقِي**».

وهذا سبب سياسي عميق و ليس مجرد رفض لالتزام بيعة السلطة الحاكمة، فيشير الإمام من خلال ذلك إلى أن مشروعه السياسي مشروع انقلابي على كل حركة التاريخ وما يراه الناس سنة كونية وطبيعة بشرية منذ الأزل قائمة على هضم الحق وضعفه في مقابل قوة الباطل وانتصاره، فالإمام الذي سيقلب هذه الموازين المعهودة لا بد أن يكون خارجاً عن سياقها ومجرياتها، ولا يكون كذلك إذا كان في ضمن الحق المنهزم تابعاً للباطل ولو قسراً.

٤- خوف الإمام من القتل انتظاراً لاكتمال أنصاره:

ذكرت بعض الروايات أن الإمام ينتظر من وراء غيبته اكتمال عديد أصحابه الذين سيخرجون معه في مشروعه الإلهي النهائي، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «**قُلْتُ لَهُ مَا بَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يُقَاتِلْ مُخَالِفِيهِ فِي الأَوَّلِ قَالَ لآيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً قَالَ قُلْتُ وَمَا يَعْنِي بِتَزَايُلِهِمْ قَالَ وَدَائِعَ مُؤْمِنِينَ فِي أَصْلابِ قَوْمٍ كَافِرِينَ فَكَذَلِكَ الْقَائِمُ عليه السلام لَنْ يَظْهَرَ أَبَداً حَتَّى تَخْرُجَ وَدَائِعُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا خَرَجَتْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ ظَهَرَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَلالُهُ فَقَتَلَهُمْ**».

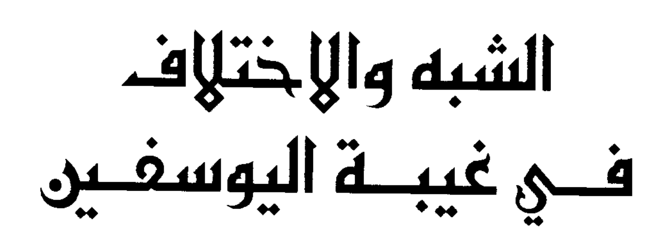
وقد يرى البعض أن المدة الطويلة لهذا لغياب لا تبرر واقعية وحقيقة هذا السبب حيث سيجد الإمام في كل زمن عددا من الرجال الذين

يقومون معه، ويمكن له بمعاونة الإرادة الإلهية التي لن تفارقه حتما ان ينتصر و يحقق مشيئته، و لكن نقول أن الإمام لا ينتظر الكمية بل هو يريد كيفية معينة من الناس الذين سيخرجون معه، و كلما تقدم التاريخ ازدادت بالتالي تجارب هؤلاء الناس، وازدادت محبتهم وتعلقهم بالإمام، واتضحت أكثر مجرريات ألأمور أمامهم وأصبحوا أكثر صلابة وقوة في جنب الحق، لمشاهدتهم انهيار مشاريع الباطل كلها على مر التاريخ، والأهم من ذلك هو تمكنهم من الفكري والعلمي الذي يؤهلهم لنشر وقيادة حركة المهدي أي العدالة المطلقة.

وربما ينشأ من خلال تربية التاريخ لهذه الفئة من الأنصار أن يكونوا قادرين بعد مرور الزمن الكافي على استلام مقاليد القوة والحكم والسلطة بحيث يتمكنون من النهوض والتعبئة لمواجهة الباطل ونصرة الحق، بمعزل عن التدخل الإلهي المباشر من خلال الكرامة أو المعجزة، مما يعطي لحركة المهدي قوة و حضورا أكبر عند الناس.

- **اللهم أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْناً:**

«اللّهُمَّ وَصَلِّ على وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يا رَبَّ الْعالَمِينَ، اللّهُمَّ اجْعَلْهُ الدّاعِيَ إلى كِتابِكَ، وَالْقائِمَ بِدينِكَ، اِسْتَخْلِفْهُ في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفْتَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دينَهُ الَّذي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْناً يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً، اللّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزيزاً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسيراً، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً، اللّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دينَكَ، وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إله الحق آمين».



﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ (يوسف: ١٠).

الشبه والاختلاف في غيبة اليوسفين

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ١٠).

غيابة الجب: أي المنطقة المخفية في البر وعادة ما تكون فوق الماء وما فيها يكون غائباً عن العيون.

جاء في كتاب (كمال الدين) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: في صاحب هذا الأمر أربع سُنن من الأنبياء، سنّة من موسى وسُنّة من عيسى وسُنّة من يوسف وسُنّة من محمد صلى الله عليه وآله، فأما من موسى فخائفٌ يترقب، وأما من يوسف فالسجن. إن السُنّة التي ورثها إمامنا من نبي الله يوسف عليه السلام هي السجن، فمن المعلوم إن نبي الله يوسف قد أدخلوه إلى السجن ظلماً فهو لم يرتكب أي ذنب، وهكذا الإمام المهدي عليه السلام أو ليست غيبته سجناً لهُ عليه السلام.

ومن النقاط الرئيسية التي يتشارك فيها يوسف والمهدي عليهما السلام:

الغيبة الطويلة التي طالت على نبي الله يعقوب بغياب حبيبه يوسف وغيبة الإمام المهدي التي طالت على محبيه وعلى أمه الزهراء عليها السلام التي ترتجي ظهوره يوما بعد يوم للأخذ بثأرها ولتحقيق العدل الإلهي في الأرض، ومن هنا صار أحد ألقاب الإمام المهدي «يوسف الزهراء عليها السلام» وطالما ناداه المؤمنين بهذا الاسم.

كما أن هناك روابط وتناسب بين اليوسفين يوسف آل يعقوب ويوسف آل محمد «يوسف الزهراء عليها السلام» جمالاً وأهدافاً فقد تعرض نبي الله يوسف عليه السلام للغيبة بعدة أشكال أو بشكلين مختلفين الشكل الأول عندما ألقي في غيابت الجب أي البئر العميق وأنقطع عن سائر الناس

والمخلوقات والشكل الثاني من أنواع الغيبة بمعنى السفر والغربة وفراق الأهل والأحبة والدار والوطن فلقد تعرض النبي يوسف عليه السلام لذلك ولفترة طويلة إستمرت منذ مغادرته أرض كنعان مسقط رأسه ونشأته إلى وصوله إلى مصر وعاش فيها حزيناً غريباً بعيداً عن الأهل والوطن إلى حين لقاءه بوالديه وإخوته.

أما غيبة إمامنا المهدي الموعود عليه السلام فقد وقعت بشكلين كما هو معروف صغرى إستمرت سبعين سنة أعتمد فيها على السفراء الأربعة للتواصل مع شيعته، وكبرى مازالت مستمرة فهو غريب بعيد عن الأهل والأحبة، فعن أبي عبد الله جعفر ابن محمد عليه السلام قال: «للقائم غيبتان: إحدهما طويلة، والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لايعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه»[1].

• التشابه في بداية الغيبة:

كانت بداية غيبة الامام المهدي عليه السلام في السرداب الطاهر، وهو مكان صغير، وكانت بداية غيبة يوسف الصديق عليه السلام في البئر وهو مكان صغير أيضاً. فمن يسخر من الإمام المهدي عليه السلام لكونه كان في سرداب بيته الطاهر، فليزمه أن يسخر من يوسف لأنه كان في بئر والبئر أضيق من السرداب!

• عدم الظهور إلا بإذن الله :

أحداث كثيرة جرت وكان بإمكان يوسف عليه السلام أن يُعرف عن نفسه، ويعقوب وصل إلى حد من المرض حباً وشوقا ليوسف. لماذا لم يعلن يوسف عليه السلام عن نفسه؟ لأنه لم يأتي الأمر الإلهي بذلك. جاؤوا إخوة يوسف عليه السلام فعرفهم وهم له منكرون. بعض العلماء قالوا كيف لم يعرفوه؟

(١) الغيبة للنعماني.

وفي الرواية إن جبرائل عليه السلام نزل على الأنبياء ولكن له مراتب ولم ينزل بمرتبته العالية إلا على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزل على يوسف عليه السلام وقال له: أخرجك من البئر فقال عليه السلام: لا أريد إلا من النحو الذي يأذن به الله سبحانه. أي لا يصلح الظهور إلا في لحظات يأذن بها الله تعالى وليس بالغيب. ولي الله الأعظم كمالاته تخرج في ظرف هذه النشأة، ولابد أن تمر أطوار كثيرة حتى يخرج، هو لذلك ظل أيام في الجب وكلما جاءه جبرائيل ليخرجه من الجب يقول يوسف حتى يأذن الله بالطريق الطبيعي وليس بالمعجزة.

وظل هكذا إلى أن جاء واردهم فأخرجه وهذا الوارد أراد أن يدخره لنفسه ويخبئه حتى لا يشاركه فيه أحد، فيبيعه هو ويربح فيه، لهذا باعه بثمن بخس لأنه يريد أن ينتهي فقبل أن تلتفت باقي القافلة، والذي اشتراه ملك مصر وهو من كبراء وزراء فرعون، هذا الوزير أعطاه لزوجته وقال أكرمي مثواه، كذلك الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف لا يظهر إلا حين ياذن له الباري عز وجل فعن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال سألته عن شيءٍ من الفرج فقال أليس انتظار الفرج من الفرج؟ إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول «فانتظروا إنِّي معكم من المنتظرين» قال أمير المؤمنين عليه السلام: انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحبَّ الأعمال إلى الله عزَّ وجل انتظار الفرج، والمنتظرُ لأمرنا كالمتشحِّطِ بدمه في سبيل الله.

وهذا المعنى من الانتظار قد اكتسب قسطاً من القدسية والاعتبار بحيث صار من علائم الإخلاص الحقيقي والتشيُّع الصادق ومن مميزات الدعاة إلى دين الله سراً وجهراً وقد ورد في الحديث: «**أولئك المخلصون حقا وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً**».

• الفرق بين الغيبتين:

الفرق بين غيبته عليه السلام وغيبة النبي يوسف عليه السلام:

أولاً: أنّ يوسف عليه السلام لبث في السّجن بضع سنين:

فقد روي عن رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله أنه قال: عجبتُ من أخي يوسف عليه السلام كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي أنه صلى الله عليه وآله قال: «لولا كلمته ما لبث في السّجن ما لبث» قال تعالى: **﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ، فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ﴾**، وروي عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: جاء جبرائيل عليه السلام فقال: يا يوسف مَن جعلكَ أحسن الناس؟ قال عليه السلام: ربّي، قال: فمَن حبّبك إلى أبيك دون إخوانك؟ قال عليه السلام: ربّي، قال: فمَن ساق إليكَ السيّارة؟ قال عليه السلام: ربّي، قال: فمَن صرف عنكَ الحجارة؟ قال عليه السلام: ربّي، قال: فمَن أنقذكَ من الجبّ؟ قال عليه السلام: ربّي، قال: فمَن صرف عنكَ كيد النسوة؟ قال عليه السلام: ربّي، قال: فإنّ ربّك يقول: ما دعاكَ إلى أنْ تنزل حاجتكَ بمخلوقٍ دوني؟ إلبث في السجن بما قلت بضع سنين، فزيادة السجن على النبي يوسف عليه السلام كان عقاباً لأنه ترك الأولى حيث استعان بالمخلوق العاصي، فهو جائزٌ إلاّ أنّ الأولى تركه لا سيّما للأنبياء، لذا لبث في السجن بضع سنين، أمّا الإمام الحجّة عليه السلام فلم يلبث في سجنٍ وإنما غاب عن أهل زمانه عقاباً لهم وليس له -روحي فداه-.

ثانياً: أنّ النبي يوسف عليه السلام في الغيبة انقطعت صلته عن شيعته ومحبيه فلم يسمع عنهم شيئاً ولم يدروا بمكانه، أمّا الإمام الحجّة عليه السلام فإنّ أنفاسه الشريفة لا زالت ترافق محبّيه وعُشّاقه ومريديه، ففيضه لا يزال ينساب في قلوب خواصّ شيعته كما ينساب الماء في مسالك الأودية العميقة.

إنه الحجّة على مَن مضى ومَن بقي، إنّه الإمام المطلَق، إنّه معلّم يوسف، إنّه وجه الله الّذي يتوجّه إليه الأولياء، إنّه الحبل المتصل بين الأرض والسّماء

• فيض الإمام المهدي عليه السلام على الخلق في غيبته:

١- الإمام المهدي الحجة لله على الخلق في كل عصر وزمان:

من المعروف أنه لابد لله من حجة على الخلق وللزوم إتمام الحجة على الناس لم تخلوا الأرض يوماً من إمام يُهتدى به ويمثل جانب الحق من الصراع الدائر بين الحق والباطل، ولكي لا يقول أحد ما لو كان لنا قائد سماوي لأخذ بيدنا ولما انحرفنا عن الطريق المستقيم، فمن غير المعقول أن تبطل حجج الله في أي زمن من الأزمنة أو أن يكون الإمام غير معروف للناس وللمؤمنين منهم خاصة، وهذا ما أكد عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقول: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**» أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية**»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا**»[٢].

فوجود الإمام إذاً سبباً لقبول الأعمال ومعرفة الإمام هي الأساس في السير على الطريق الصحيح والصراط المستقيم والإمام هو باب الله الذي منه يُأتى كما جاء في دعاء الندبة الذي يقرأ في أيام الجمع والأعياد «**أين باب الله الذي منه يؤتى اين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء أين السبب المتصل بين الأرض والسماء**».

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٦١، شرح المقاصد ج ٥ ص ٢٣٩، أصول الكافي ج ١ ص ٣٧٦ .
(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٤، مكيال المكارم ج ١ ص ١٧، الأسرار الفاطمية ص ٢٤٩ .

٢- وجود الإمام لطف من الله بالعباد وأمان لأهل الأرض:

فعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام لأي شيء يحتاج إلى النبي ﷺ والإمام؟ فقال عليه السلام: «**لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام بهم يرزق الله عباده وبهم يعمر الله بلاده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم يخرج بركات الأرض وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم**»[1].

وعن الباقر عليه السلام أيضاً قال: «**لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منا لساخت بأهلها ولعذبهم الله بأشد عذابه**»[2].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا وبنا يُنزل الغيث وينشر الرحمة ولا تخلوا الأرض من قائم منا ظاهر أو خاف، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله**»[3].

٣ - دعاء الإمام المهدي عليه السلام للمؤمنين وتسديده للعلماء:

جاء في رسالة الإمام المهدي عليه السلام الأولى للشيخ المفيد: «**أنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء - أي الشدائد - أو اصطلمكم الأعداء**».

وعنه عليه السلام في رسالته الثانية للشيخ المفيد أيضاً وهو يتكلم عليه السلام عن

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١٢٣، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩ ح ١٤، البرهان ج ١ ص ٣٨٣ .
(٢) الإمامة والتبصرة ص ٣٤، كمال الدين ص ٢٠٤ ح ١٤، إثبات الهداة ج ١ ص ١٠٦ .
(٣) كمال الدين ج١ ص٢٠٢، نور الثقلين ج٤ ص٣٦٩، بحار الأنوار ج٢٣ ص٣٥ ح٥٩.

حفظ الله للمؤمنين فيقول: «**لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب**»[1].

إذاً من أعظم الفوائد التي نستفيدها من الإمام عليه السلام في حال غيبته هو شمولنا ببركة دعائه المقدس للمؤمنين، فهو الإمام المستجاب الدعوة وهو المضطر الذي يجاب إذا دعا **﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾**[2] ولولا شمولنا ببركة دعائه عليه السلام لنا بظهر الغيب لصب علينا البلاء صبا.

كما أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بمهمة أخرى ربما أكثر أهمية من الدعاء وهي إصلاح المؤمنين وهدايتهم حتى وإن كانوا لا يعرفون شخصيته الحقيقية.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن الأرض لا تخلوا إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم**»[3].

وعنه أيضاً عليه السلام قال: «**ما زالت الأرض إلا ولله فيها حجة يعرف الحلال والحرام ويدعوا الناس إلى سبيل الله**»[4].

كما يقوم الإمام المهدي عليه السلام بتسديد العديد من العلماء الأجلاء ومساعدتهم في الحفاظ على الدين والشريعة واستخراج الأحكام

---

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٣٢٣، طرائف المقال ج ٢ ص ٤٨١ .
(٢) سورة النمل: آية ٦٢.
(٣) الكافي ج ١ ص ١٧٨ ح ٢، غيبة النعماني ص ١٣٨، كمال الدين ص ٢٢١ .
(٤) بصائر الدرجات ص ٤٨٤، معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ١٠٦ .

الشرعية الضرورية للحياة ويصوب أخطائهم الاجتهادية في كثير من الأحيان . ومثال ذلك ما روي عن المقدس الأردبيلي (قدس) في القصة المعروفة التي نقلها العلامة المجلسي في البحار نقلاً عن أحد طلابه وهو السيد الفاضل أمير علام حيث قال:

■ **قصة:**

كنت في بعض الليالي في صحن الروضة المقدسة بالغري على مشرفها السلام، وقد ذهب كثير من الليل فبينا أنا أجول فيها إذ رأيت شخصاً مقبلاً نحو الروضة المقدسة فأقبلت إليه فلما قربت منه عرفته أنه أستاذنا الفاضل العالم التقي الزكي مولانا أحمد الأردبيلي - قدس الله روحه- فأخفيت نفسي عنه حتى أتى الباب وكان مغلقاً فانفتح له عند وصوله إليه، ودخل الروضة فسمعته يتكلم كأنه يناجي أحداً، ثم خرج وأغلق الباب، فمشيت خلفه حتى خرج من الغري، وتوجه نحو الكوفة، فكنت خلفه بحيث لا يراني حتى دخل المسجد وصار إلى المحراب الذي استشهد أمير المؤمنين عليه السلام عنده، ومكث طويلاً، ثم رجع وخرج من المسجد وأقبل نحو الغري فكنت خلفه حتى قرب من الحنانة، فأخذني سعال لم أقدر على دفعه ,فالتفت إلي، فعرفني، وقال: أنت أمير علام؟

قلت: نعم، قال ما تصنع هاهنا؟ قلت: كنت معك حيث دخلت الروضة المقدسة إلى الآن، وأقسم عليك بحق صاحب القبر أن تخبرني بما جرى عليك في تلك الليلة من البداية إلى النهاية. فقال: أخبرك على أن لا تخبر به أحداً مادمت حياً ,فلما توثق ذلك مني قال: كنت أفكر في بعض المسائل وقد أغلقت على فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين عليه السلام واسأله عن ذلك فلما وصلت إلى الباب فُتح لي بغير مفتاح كما رأيت

فدخلت الروضة وابتهلت إلى الله تعالى في أن يجيبني مولاي عن ذلك فسمعت صوتا من القبر أن ائت مسجد الكوفة وسل القائم صلوات الله عليه فإنه إمام زمانك فأتيت عند المحراب وسألته عنها فأُجبت و ها أنا أرجع إلى بيتي[1].

■ قصة أحد القرويين:

ومثال ذلك أيضاً القصة التي تروى عن الشيخ المفيد (قدس) حيث يُذكر: أن أحد القرويين سأله ذات يوم عن امرأة حامل ماتت فهل تدفن مع ولدها أم يجب إخراجه منها ؟ فظن الشيخ المفيد أن الولد ميت في بطنها، فقال : لا حاجة لفصله عن أمه بل يجوز أن يدفن معها وهو في بطنها، فلما حملت إلى قبرها أتى إلى النسوة شخص وقال إن الشيخ يُأمر أن يشق بطن الحامل ويخرج الجنين إذا كان حياً منها ويخاط الشق ولا يحل أن يدفن معها، فعملت النسوة بما أوحى إليهن ذلك الشخص، ثم أخبر ذلك القروي بعد مدة الشيخ المفيد بما وقع فقال له: أنه لم يرسل أحداً ولا شك أن ذلك الشخص هو صاحب الزمان عليه السلام، وأُسقط الشيخ المفيد في يده بأنه أخطأ في الفتوى، فترك الفتيا والتزم بيته لا يغادره حتى جاءه الأمر «أفد يا مفيد، فإن أخطأت فعلينا التسديد» فما كان من الشيخ إلا أن عاود الجلوس على منبر الفتيا[2].

ومن تسديدات الإمام المهدي عليه السلام أيضاً للشيخ المفيد إرساله لرسالتين إليه فيهما الكثير من الإرشادات والتوجيه له وللمؤمنين وما ينبغي لهم عمله والقيام به في تلك الفترة الزمنية حيث وصلته الأولى

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٧٥، النجم الثاقب ص ٣٣٤، مجمع الفائدة ج ١ ص ٣٦ .
(٢) جنة المأوى ص ٢٨٦، رعاية الإمام المهدي عليه السلام للمراجع والعلماء الأعلام -علي الجهرمي ص ٦١ .

في أواخر شهر صفر سنة ٤١٠ هـ بينما وصلته الثانية يوم الخميس ٢٣ ذي الحجة سنة ٤١٢ هـ، وقد ورد نص الرسالتين بالكامل في كتاب (الإحتجاج) لأبي منصور أحمد الطبرسي (قدس) من علماء القرن السادس الهجري .

كما سُئل آية الله الشيخ زين العابدين النجفي (قدس) عن حكم الطبول التي تضرب في عزاء الإمام الحسين عليه السلام وعن ضرب السيوف والتشابيه أهي جائزة أم حرام؟ فأجاب: «إني كنت متوقفاً في هذه المسألة ومتردداً فيها، فلا أدري هل أفتي بالجواز أم أفتي بالحرمة، فذهبت إلى مسجد السهلة ووصلت بخدمة سيدي ومولاي الحجة ابن الحسن عليه السلام وعرضت المسألة عليه وسألته عنها فأفتاني بالجواز، وأنا أفتي كما أفتى سيدي ومولاي بالجواز»[1] .

وهناك أيضاً العديد من اللقاءات التي تنقل بين الإمام عليه السلام والعلماء الأجلاء وتسديده لهم وإعانته لهم على كثير من القضايا، من أمثال لقائه مع العلامة الحلي وإعانته له في استنساخ الكتاب، ومكاشفته للعلامة المجلسي وغيرها من القصص التي ذكرت في العديد من الكتب من أمثال كتاب (لقاءات مع صاحب الزمان) للسيد حسن الأبطحي وكتاب (جنة المأوى) للحاج الميرزا حسين النوري وكتاب (رعاية الإمام المهدي عليه السلام للمراجع والعلماء الأعلام) للشيخ علي الجهرمي.

٤- متابعة الإمام المهدي عليه السلام لأعمال الأمة واتصاله بهم في موسم الحج:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) بيان الأئمة ج ٢ ص ٤٦٢ .
(٢) سورة التوبة: آية ١٠٥ .

من الواضح من الآية المباركة التي ذكرناها قبل قليل أن أعمال العباد تعرض في الحياة الدنيا على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله وعلى المؤمنين، ومن الطبيعي ألا تعرض الأعمال على جميع المؤمنين لاستحالة ذلك، كما أن هناك من أعمال العباد ما يتم في السر بحيث يخفى عن أعين الناس والناظرين فلا يمكن تفسير كلمة ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ في الآية السابقة إلا بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ومما يدلنا على أن هذا العرض يتم في الحياة الدنيا لا في الآخرة هو المقطع الأخير من الآية المباركة أي ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ﴾ وهذا المعنى نجده أيضاً في آية سابقه من سورة التوبة حيث يقول سبحانه ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، فهناك بعد الموت يتم العرض مرة أخرى للأعمال وينبئ الله العباد بجميع أعمالهم .

فعن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير الآية السابقة قال: «تعرض أعمال العباد يوم الخميس على رسول الله ﷺ وعلى الأئمة»[2].

بل أن هناك من الروايات والأحاديث التي تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى يُطلع النبي والإمام المعصوم حتى على ما في ضمير الإنسان سواء كان خيراً أو شر، وهذا الأمر ربما يخفى على الملكين الموكلين بكتابة أعمال الإنسان وأقواله ليكون بذلك النبي أو المعصوم شاهداً عند الله على هذا الإنسان وما أضمره في داخله من حقد أو ضغينة أو سوء ظن أو خلافه.

---

(١) سورة التوبة: آية ٩٤ .

(٢) تفسير البرهان مجلد ٢ ص ٨٣٨ .

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا، إنا كلنا واحدة**»(١).

ولقد جاء في فضل ليلة القدر أن الآجال والأرزاق والبلايا تكتب في تلك الليلة وتعرض على الإمام المعصوم مع إبقاء المشيئة والبداء لله عز وجل.

وأما فائدة عرض الأعمال على الإمام المهدي عليه السلام فتتلخص في النقاط التالية:

- معرفة إمكانية الظهور إذا ما تهيأت الأسباب والأرضية المناسبة لخروجه.
- معرفة أنصاره وأعوانه الذين يمكنه الاعتماد عليهم واختيار الأفضل منهم.
- متابعة أحوال الأمة والإطلاع على أخبارها وإصلاح الفساد الحاصل فيها.
- فالشهادة على أعمال الخلائق عند الله والاستغفار للمؤمنين منهم.

كما أن الإمام المهدي عليه السلام يحضر موسم الحج في كل عام ويلتقي بالمؤمنين هناك ويتواصل مع الأمة في تلك الديار المقدسة وربما أكثر الحجاج يلتقون به ويحادثونه وهم لا يعرفون أنه هو إمامهم المنتظر.

وعن محمد بن عثمان الالثانيي -السفير الثاني- قال: «**والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه**»(٢).

بل ويقوم الإمام المهدي عليه السلام في بعض الأحيان في موسم الحج بتعليم المؤمنين معالم دينهم وبعض الأمور الهامة التي تخصهم.

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٦ ح ١، مشارق أنوار اليقين ص ٢٨٥، إلزام الناصب ج ١ ص ٣٥ .
(٢) كمال الدين ج ٢ ص ٤٤٠، مكيال المكارم ج ١ ص ٧٨، غيبة الطوسي ص ٢٢١ ، غيبة الطوسي ص٢٢١.

٥ - مساعدة الإمام المهدي عليه السلام للمؤمنين في الشدة والمحن:

قال تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده عوناً للأمة على الدوام، كما كانوا مفرجين للهموم والأحزان ومخلصين للناس من المحن والمصاعب والكرب التي تتنابهم، وعلى هذا المنوال أيضاً سار الإمام المهدي عليه السلام فهناك الكثير من القصص والأخبار الموثوق بها والتي تتحدث عن تخليصه عليه السلام للمؤمنين من المصاعب والمحن وشفائه للمرضى بإذن الله، ولقد نقل لنا السيد حسن الأبطحي في كتابه لقاءات مع صاحب الزمان العديد من تلك القصص التي فرج فيها الإمام المهدي عليه السلام عن المؤمنين كربهم وأعانهم على البلاء الذي ألم بهم .

وأنا أنقل لكم هنا قصتين فقط عن مساعدته عليه السلام للمؤمنين وذلك على سبيل المثال لا الحصر وقد ذكرهما الميرزا حسين النوري الطبرسي في كتابه (النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب).

● هل تحب أن أوصلك برفاقك؟

حيث ينقل «أن أحد الأشخاص ذهب إلى الحج مع جماعة قليلة عن طريق الأحساء وعند الرجوع كان يقضي بعض الطريق راكباً وبعضه ماشياً، فاتفق في بعض المنازل أن طال سيره ولم يجد مركوباً، فلما نزلوا للراحة والنوم نام ذلك الرجل وطال به المنام من شدة التعب حتى ارتحلت القافلة بدون أن تفحص عنه، فلما لذعته حرارة الشمس استيقظ فلم ير أحداً حوله، فسار راجلاً وكان على يقين من الهلاك فاستغاث بالإمام المهدي عليه السلام، فرأى في ذلك الحال رجلاً على هيئة

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٧ .

أهل البادية راكباً جملاً، وقال له: يا فلان افترقت عن القافلة؟ فقال: نعم، فقال: هل تحب أن أوصلك برفاقك؟ قال: فقلت نعم والله، هذا مطلوبي وليس هناك شيء سواه، فاقترب مني وأناخ راحلته، وجعلني رديفاً له وسار، فلم نسر إلا قليلاً حتى وصلنا إلى القافلة، فلما اقتربنا منها قال: هؤلاء رفقاؤك، ووضعني وذهب»(١).

• ذاك صاحب الزمان عليه السلام:

وينقل الميرزا في القصة الأخرى «أن جماعة من أهل البحرين عزموا على ضيافة جماعة من المؤمنين بشكل متسلسل في كل مره عند واحد منهم، وساروا في الضيافة حتى وصلت النوبة على أحدهم، ولم يكن لديه شيء ليضيفهم به، فشعر من ذلك حزن وغم شديد، فخرج في بعض الليالي من أحزانه إلى الصحراء، فرأى شخصاً حتى ما إذا وصل إليه قال له : اذهب إلى التاجر الفلاني -وسماه- وقل له: يقول لك محمد بن الحسن: ادفع لي الاثني عشر إشرافياً التي كنت نذرتها لنا، ثم اقبض المال منه واصرفه في ضيافتك .فذهب ذلك الرجل إلى التاجر وبلغه الرسالة، فقال له التاجر: أقال لك محمد بن الحسن بنفسه، فقال البحراني: نعم، فقال التاجر: وهل عرفته؟ قال: لا، فقال له: ذاك صاحب الزمان عليه السلام، وكنت نذرت هذا المال له، ثم أنه أكرم هذا البحراني وأعطاه المبلغ وطلب منه الدعاء»(٢).

ومن القصص المعتبرة أيضاً في هذا المجال قصة السيد الرشتي التي ذكرها الشيخ عباس القمي طاب ثراه في كتابه (مفاتيح الجنان) نقلاً عن الميرزا حسين النوري أيضاً.

---

(١) النجم الثاقب ص ٢٤١ .
(٢) النجم الثاقب ص ٣٠٦ .

كما أن هناك بعض التوسلات الاستغاثات بالإمام المهدي عليه السلام قد وردت عن أهل البيت عليهم السلام، وذلك عند حلول المحن والشدائد والبلايا، وقد أوردت بعضها في خاتمة هذا الكتاب، كما أوردت الرقعة التي تكتب له عليه السلام لقضاء الحوائج، وهي من المجريات التي ذكرها السيد محمد الرضوي في كتابه (التحفة الرضوية) في مجريات الإمامية، ولقد جربها المؤمنين أكثر من مرة ونجحت مقاصدهم.

٦ - إدارة الإمام المهدي عليه السلام للبشرية والأمة الإسلامية من الخفاء:

المقصود من الخفاء هنا أنه عليه السلام يقوم ببعض أعماله بصفة أنه شخص عادي من المجتمع، فحيث أن الإمام المهدي عليه السلام موجود بين الناس ويلتقي بهم ويساعدهم ويصلح شئونهم وهم لا يعرفونه، فهو إذاً لا يعيش مكتوف الأيدي بل يقوم بمهامه الموكلة إليه في زمن الغيبة ويدير الأمة في صراعها ضد قوى الشر .ويذكر السيد محمد صادق الصدر (قدس) في كتابه (تاريخ الغيبة الكبرى) بعض من مهام الإمام المهدي عليه السلام في حال الغيبة وهي كالتالي[1]:

- القيام بواجب الدعوة الإسلامية وهداية الناس للإسلام والعقيدة الصحيحة.

- الدفاع عن الإسلام وعن قواعده عليه السلام الشعبية ومواليه ضد الأعداء.

- الحفاظ على المجتمع المسلم ضد الانحراف ومحاربة الفساد والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر المستطاع .

(١) تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٥ .

- إغاثة الملهوف وإعانة المضطر والمشاركة الفعالة في الأعمال الخيرية أو أية اطروحات فكرية تصب في صالح المجتمعات الإيمانية.
- قيادة الأمة الإسلامية جمعاء وإدارة البشرية وولاية الكون أيضاً (وهذا ما يسمى بالولاية التكوينية)(١).

حيث أن للإمام المهدي عليه السلام ولاية عامة على الناس والكون أيضاً كما كان ذلك للأنبياء والأئمة عليهم السلام من قبل، فنحن نرى أن الحديد كان ليناً بيد نبي الله داوود عليه السلام والجبال والطير كانت تسبح معه كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٢) والريح كانت تجري للنبي سليمان عليه السلام بأمره غدوها شهر ورواحها شهر كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾(٣) وانشقاق القمر للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشهادة الحجر الأسود للإمام علي بن الحسين عليه السلام بالإمامة، .. وغير ذلك من الأمور.

كما أن للإمام المهدي عليه السلام ولاية مطلقة على هذه الأمة، فكما كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الولاية المطلقة على المسلمين وكذلك كان ذلك للإمام علي والأئمة من بعده عليهم السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٤)، فكذلك تكون الولاية مطلقة للإمام المهدي عليه السلام.

فمن المعروف أن هذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام وذلك حينما

(١) هذه النقطة لم يذكرها السيد الصدر في كتابه .
(٢) سورة الأنبياء: آية ٧٩ .
(٣) سورة سبأ: آية ١٢ .
(٤) سورة المائدة: آية ٥٥ .

تصدق بالخاتم وهو راكع في الصلاة، ونلاحظ هنا أن هذه الآية جاءت بصيغة الجمع مع أن الإمام علي عليه السلام كان شخص واحد فقط..!

حيث يقول بعض المفسرين إنما جاءت الآية بصيغة الجمع لوجود باقي الأئمة الإثني عشر في صلب الإمام علي عليه السلام فكانت لهم الولاية جميعاً. وبالتالي فهذه الولاية المطلقة أو العامة للإمام المهدي عليه السلام لا تسقط بغيبته كما يتوهم البعض، ويقول الشهيد مرتضى المطهري (رح) في كتابه (الإمامة) بهذا الشأن أن للإمامة مراتب ثلاثة وهي[1]:

١- الإمامة بمعنى المرجعية الدينية.

٢- الإمامة بمعنى قيادة المجتمع (الرئاسة أو السلطة).

٣- الإمامة بمعنى الولاية العامة (ولهذه مراتب أيضاً).

وأدنى مرتبة من مراتب الولاية العامة هذه - وهو ما يعتقده غالبية الشيعة الإمامية - أن الإمام عليه السلام هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وله السلطة المطلقة عليهم كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول الله تعالى في كتابه ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[2].

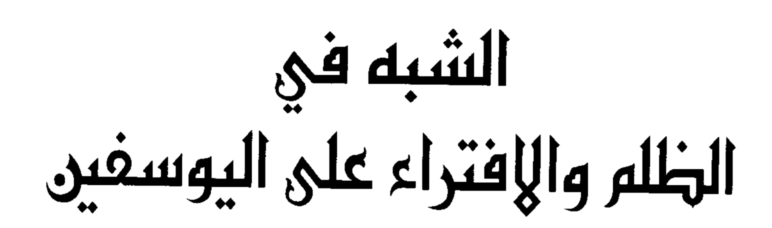
ومن بعد النبي صلى الله عليه وآله كان ذلك للإمام علي والأئمة الهداة من ولده عليهم السلام، حيث قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله للمسلمين يوم غدير خم وهو آخذ بيد علي عليه السلام: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: اللهم بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه**»[3].

---

(١) الإمامة للشهيد مرتضى المطهري ص (٤٣- ٥٣).
(٢) سورة الأحزاب: آية ٦ .
(٣) معاني الأخبار للصدوق ص ٦٧، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١١٩، دلائل الإمامة ص ١٨ .

● وَأعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا:

اللّهُمَّ ما عَرَّفْتَنا من الْحَقِّ فَحَمِّلْناهُ، وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ، اللّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنا، وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا، وَارْتُقْ بِهِ فَتْقَنا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا، وَأَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنا، وَاَغْنِ بِهِ عائِلَنا، وَاَقْضِ بِهِ عَنْ مَغْرَمِنا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا، وَفُكَّ بِهِ أَسْرَنا، وَأَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَواعِيدَنا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا، وَأَعْطِنا بِهِ سُؤْلَنا، وَبَلِّغْنا بِهِ مِنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ آمالَنا، وَأَعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا، يا خَيْرَ الْمَسْؤولينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطينَ، اشْفِ بِهِ صُدُورَنا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنا، وَاهْدِنا بِهِ لِما اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدي مَنْ تَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيم، وَانْصُرْنا بِهِ عَلى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا إلهَ الْحَقِّ آمينَ، اللّهُمَّ إنّا نَشْكُو إلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنا، وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنّا عَلى ذلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تَجَلِّلُناها وَعافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُناها، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ .



﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

(يوسف: ٧٧)

الشبه في الظلم والافتراء على اليوسفين

قال الله تبارك وتعالى: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**» ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ ويقول: ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ ويقول: ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمَاً لِلْعِبَادِ**﴾ ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾.

الظلم وما أدراك ما الظلم؟! خلق ذميم، وذنب جسيم، وأذى عظيم، ووصف لئيم، يحلق الدين، ويأكل الحسنات، ويجلب الويلات والنكبات،ويورث البغضاء والمشاحنات، ويسبب الأحقاد والعداوات.

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً في كتابه الكريم لنبي من الأنبياء ظُلم أشد الظلم إنه نبي الله يوسف عليه السلام فقد ظُلم من إخوته حين عزموا على قتله ظلماً وعدواناً وألقوه في غيابت الجب ظلماً وعدواناً ثم باعه المسافرون بثمن بخس دراهم معدودة ثم انتقل من ظلم الجب إلى ظلم الحب حيث اتهمته امرأة العزيز ظلماً وعدواناً بأنه كان يراودها عن نفسها ثم صدر القرار الظالم بسجنه حتى حين فلبث في السجن بضع سنين ثم ظلمه إخوته مرة أخرى فقالوا«**قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ**» لقد أُتهم في عرضه وهو العفيف، وسُجن وهو البريء، وبِيعَ في سوق النخاسة وهو الحر الكريم بن الكريم

لقد عانى نبي الله يوسف عليه السلام من شتى أنواع الظلم وكذلك الإمام المهدي (عجل فرجه الشريف) سوف يتعرض لأشد من ذلك كله ويفترى عليه ويتهم بالفسق والكفر والخروج عن الدين.

● لماذا عاش نبي الله يوسف عليه السلام كل أنواع الظلم؟

سجن في مصر كان تحت الأرض بسبع طبقات وفيه تعذيب شديد ومع ذلك قال «**السجن أحب إلي مما يدعونني إليه**». وكان كل ما رأوه منه هو غاية في توحيد الله وفي عبادته مع أنه لم يتكلم عن توحيد الله، لأن البلاد كلها بلاد شرك هو لم يتحدث لأن الأمة لم تتضج بعد ولم يصلوا إلى مرحلة أن يعلن عن نفسه.

يوسف عليه السلام إذا أعلن عن نفسه مبكراً وظهر هل سيؤمنون به ولن ينقلبوا عليه!! فهو إذن يجب أن يصبر وينتظر كي ينضج المجتمع من حوله.

يوسف عليه السلام كان يعرف أين مكان يعقوب عليه السلام ويعرف العذاب لفراقه، لكن لم يرسل له. يعقوب كان يخرج إلى الصحراء يسمع مناجاة يوسف عليه السلام لذلك كان يشتد شوقه، لكن مع ذلك كان يسلم أن الإعلان عن نفسه ليس من المصلحة، لأن الأمة لم تصل إلى مرحلة تسلم لولي الله.

عاش نبي الله يوسف عليه السلام كل أنحاء الظلم لأن مسؤليته ستكون هي إزالة الظلم. والذي لا يذوق أنواع ظلم لا يستطيع أن يزيل الظلم، وهو حتى يتمكن من إزالة الظلم في مصر يجب أن يقع عليه كل أشكال الظلم. إذن الذي يزيل الظلم عن وجه العالم يجب أن يقع عليه وعلى أحب الناس إليه كل أنحاء الظلم.

● وظيفة الإمام إزالة الظلم :

وظيفة الإمام عجل الله فرجه الشريف إزالة الظلم عن وجه البسيطة فلابد أن يرى كل أنواع الظلم. هناك ظلم نظري أو ظلم عملي، الظلم العملي لازم على الإنسان أن يعيشه.

• الحديث عن أخوة يوسف الظالمين له:

جاؤوا إخوة يوسف عليه السلام فعرفهم وهم له منكرون. بعض العلماء قالوا كيف لم يعرفوه؟

١- لماذا لم يعرف أبناء يعقوب أخوهم يوسف ؟

٢- لماذا لم يأذن ليوسف عليه السلام للكشف لهم عن نفسه.

ما المانع الذي جعل إخوة يوسف عليه السلام لا يعرفونه؟ أنه الذنب.

أنهم ظلموا يوسف وأبيهم عليهما السلام كان هناك حائل دون أن يروا يوسف عليه السلام. المفروض أن يعرفوا إن نجاتهم ونجاة أبيهم وشفائه بوجدان يوسف عليه السلام مع ذلك رأوا يوسف ولم يعرفوه.

لم يعرفوه لأن الحائل بينهم رؤيته ذنوبهم وإلاّ إلى أي درجة تغير يوسف. لماذا لم يعرفوه؟ لكن هناك مسألة أساسية، وهي أن ولي الله الأعظم لا يجهل أحد وهو يعرف كل الناس لكن الناس لا تعرفه. عند ولي الله رغم أن كل أحوال الناس مكشوفة عند ولي الله لكن الناس لا تعرفه.

ليس فقط لأنه لا يعلن عن نفسه وإنما لأنهم عصاة ومذنبين فلا مصلحة مع وجود هذه الحجب أنه يعلن عن نفسه.

لذلك الله سبحانه يتكلم عن سيرة الأنبياء مع الناس تراهم ينظرون إليك ولكن لا يبصرون ينظرون إليك ولكن لا يبصرون أنك محمد صلى الله عليه وآله وسلم. نحن نقول هؤلاء الذين عاشوا مع المعصومين عليهم السلام ألم يعرفوا فضائلهم وقيمهم؟ أم في الحقيقة هناك حجاب. فالذي يعرف المعصوم لابد أن يصير عنده رؤية ونوع من الطهارة والشفافية وإلا صرف رؤية المعصوم فهو إنسان (تراهم ... يبصرون).

إن الأرواح النجسة غير لائقة للقاء ولي الله الأعظم، والأعين

الخطّاءة لا تستحقّ أن تطلّ على حضرته، والآذان المليئة بالمعاصي غير جديرة بسماع صوته، وأنّى لهذه الشفاه التي صدرت من بينها آلاف المعاصي أن تتشرّف بتقبيل يديه!

وإلاّ فلِمَ لا يسمح لنا الإمام عليه السلام بلقائه وهو أهل الكرم والجود؟ العطوف الحنون.

إن الذنوب هي التي تحول دون لقاء بالإمام عليه السلام، فإنّ الإمام لا ينظر إلى أبداننا بل ينظر إلى قلوبنا وأرواحنا وعقولنا.

كذلك إخوة يوسف دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون، ويوسف أكرمهم. كل ما جرى على إخوة يوسف حتى يعرفوا يوسف عليه السلام. ليس معرفة شخصية وإنما تلمس لطائف صفاته.

أكرمهم يوسف، وهناك فرق بين الكرم في الظروف العادية وفي ظروف القحط. مرة نؤثر وعندنا أموال ولكن مرة نؤثر في زمن القحط. كان في ذلك الزمن كل مقدار مكين يخرجه يوسف من الخزينة فهذا يضعف من دولة يوسف عليه السلام ومع ذلك أكرمهم ﴿**وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٦٢) **فَلَمَّا رَجَعُوا**﴾ أي أموالهم التي أحضروها ليشتروا بها مؤونة (ملابس- أكل- أحذية) فقال لهم يوسف عليه السلام لا ترجعوا لهم أموالهم فهذا ذل لهم، وإنما خذوا كيس كل واحد منهم والذي أحضره معه ثم ضعوه وضعوا المتاع عليه.

عندما جلس يوسف معهم وتعرف عليهم، قالوا له نحن إثني عشر وواحد أكله الذئب وأبونا شيخ كبير فتركنا أخاً لنا معه، فقال يوسف عليه السلام: إذن أنا أعطي أبيكم وأخيكم. فأعطاهم عطاء مستقل وجعل أمتعتهم في رحالهم، أي أرجع كل ما أحضروه. عندما رجعوا ورأوا

متاعهم أنه أرجع والأموال التي أخذت منهم وزادهم كيل بعير لأبيهم فكان بالنسبة لهم كرم كبير فلا يقوم بهذا الفعل إلا ذو نفس رفيعة لأنه عليه السلام عندما أعادها، أعادها ليس بشكل صريح وعندما قصوا له قصة أخيهم قال لهم: هذا الأخ الذي تصفونه بالعلم والمعرفة والجمال أريد أن أراه، احضروه إذا استطعتم في المرة القادمة.

كان يوسف عليه السلام مأمور من عند الله أن يأخذ أخيه بنيامين بأي طريقة ,حتى يصل إخوته إلى المعرفة الكاملة له بأنفسهم. لذلك أحياناً يأتيهم بلسان الترغيب وأحياناً بلسان الترهيب.

طبعاً في ذلك القحط لم يكن هناك مجال للاستغناء عن يوسف عليه السلام أبداً. ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ بلسان القطع حتماً سنعمل ذلك. (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ)، فلما رجعوا لأبيهم صاروا يتكلمون عن هذا الملك (جوده، كرمة، جماله، تعاطيه مع خدمه) كل هذا كان شيء ملفت فهذا تصرف نبي من الأنبياء، وليس تصرف إنسان عادي. لذلك يعقوب عليه السلام لكنه تعجب من هذا الملك، حتى قالوا له أخيراً ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي وعدوا بحفظه. يعقوب عليه السلام رأى ماذا صنعوا بيوسف عليه السلام فلماذا يرسل معهم بنامين؟

فالمسألة حساسة. اخذوا يوسف عليه السلام ليرتع ويلعب لكن بنيامين أخذوه في ظرف مختلف.

هم عائلة نبوية كبيرة وفي ظرف قحط وحاجة، أي منعهم في الحقيقة لم تتجاوب مع عاطفته، لأن المسألة إما يموتون من المجاعة أو يرسل معهم بنيامين ,إذن فلا مجال للمنع. مع إحساس يعقوب عليه السلام في أعماقه إنه أيضاً هناك بلاء جديد وأنه سيقع في بلاء شديد، مع ذلك أخذ منهم موثقاً أن يحافظوا على بنيامين ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ

تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ عادة أبناء الأنبياء والأنبياء يخافون من الحلف والمواثيق. الإنسان المؤمن وقع الحلف عليه عظيم. الإيمان وإعطاء المواثيق مسألة ليست سهلة.

لأن يوسف عليه السلام إذا عاملهم معاملة خاصة حتماً الناس تحسدهم وتتهمهم. الواحد إذا صار مقرب من وجيه يُحسد، لأن الناس تريد أن تفهم الوجيه بأن هذا ليس له خصوصية حتى تقربه. فخاف يعقوب عليه السلام عليهم إذا ذهبوا وعاملهم يوسف عليه السلام هذه المعاملة فيحسدهم الناس ويتهموهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ قال المفسرين الحاجة هي الاطمئنان أي نبي الله يعقوب عليه السلام يجب أن يصل إلى مقام وحال يطمئن فيه على وجود يوسف وبنيامين فإذا دخلوا من أبواب متفرقة فإنه ما كان يحذر منه سوف يقع ولكن في نفس يعقوب سيكون هناك استقرار وأمان.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يوسف عليه السلام أول ما دخلوا قدمهم في جلستهم والحديث معهم وأكلهم ومنامهم وقال كل واحد منكم يختار من يرتاح له بشكل خاص وكل يجلسون مع بعض. فبقي بنيامين وحيداً فقال لهم هذا لوحده فهل أجلسه جنبي؟ فجلس إلى جانب يوسف عليه السلام. الآن عندما أراد النوم أخذ معه بنيامين. في أول الليل قال يوسف لبنيامين أنه عندما رآه لوحده قربه، يوسف عليه السلام أعلن لأول مرة عن اسمه لأخيه بنيامين، فهو حتى خلال وجوده في السجن عندما أعلن

قال أن آباءه إبراهيم ولكن أعلن عن نفسه لأخيه لأنه لم يحتمل كسر قلب بنيامين، إخوته طوال الفترة التي كانوا فيها معه في كنعان كانوا يؤذونه كثيراً ويعادونه، فهذا الموقف كان مؤلما بالنسبة له، ثم بقاؤه لوحده في دار الملك كسر كبير له، فلما رأى يوسف عليه السلام إن قلب بنيامين منكسر أكثر.. لم يحتمل أن لا يعلن عن نفسه لبنيامين فجاءه الإذن الإلهي لأن قلب بنيامين وصل إلى هذه المرحلة من الانكسار ولذلك أعلن عن نفسه له. قال له: ما رأيك أن تبقى معي؟ فقال له: لا شك أريد ذلك ولكن يعقوب سوف يتأذى. فقال الله: الله يكفيك.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ أي جهزهم بكل ما يحتاجون وجعل السقاية ـ وهي كأس مرصع بالأحجار الكريمة- ولأن السنين قحط حتى إن الناس تشعر أن هذه المواد الغذائية غالية جداً والحفاظ عليها أمر لازم فكان يضعها في أواني غالية. حتى إذا رأى الناس أنها تأخذ بصواع الملك فإنها تحافظ على هذه النعمة التي تأخذها، تقرن بين هذا الإناء وبين ما تأخذه وهذا نوع من حكمة يوسف عليه السلام. جعل السقاية في وعاء أخيه حتى يبقى أخيه عنده ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ وهنا لاحظوا أولاً أذن مؤذن وليس يوسف والمؤذن لم يقل ماذا سرقتم وإنما ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ أي سرقتم يوسف من قبل.. فقال لهم: ماذا تفقدون؟ قالوا: نفقد صواع الملك.

لم يحدد ماذا سرقوا ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ الآن بالنسبة لهم وهم أبناء نبي ومحترمين وعاملهم بوجاهة فإنه يعلن لهم إنهم سارقين فهذه كبيرة. لذلك هم رجعوا إلى أخلاقهم السيئة، هم دخلوا مصر نجباء فضلاء ومع الملك، وملك ليس ملك أرضي وإنما سماوي أي ملك التوحيد، أي وجاهة مادية ومعنوية ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾

قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ إلى الآن يوسف يتعامل في غاية من الصدق، لم يقل (سرقتم) بل قال (فقدنا) أي فقدوه ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي نزيده حمل بعير. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ أي لم نأتي لنفسد في الأرض وليس هذا من شأننا. ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي لو تبين إنكم كاذبون فما جزاء من وجدنا عنده صواع الملك؟

هناك حكمين لمن يسرق: في كنعان أي منطقة يعقوب السارق يُسترقّ. وفي مصر السارق يجلد ويسجن. كما عملوا مع يوسف في كنعان إذا كانت السرقة قليلة فإنهم يسترقّون عدة سنوات فقط. الآن في حكم دولته السارق لا يسترقّ ولذلك قال لهم: أنتم عندكم ماذا يحكمون؟ لأنه يريد أن يأخذ أخيه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي الذي ترون صواع الملك في رحله هو الذي يجازى أي يسترقّ هو ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ حتى لا يشكون.. ولا يعلم هل جعل وعاء أخيه في الأخير أم في النصف ليصير إيهام أكثر.. ثم استخرجها من وعاء أخيه، ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، أي في دين ملك مصر لم يكن قادر على أخذه، في نظامه وقانونه لكن بناء على قانونه كان يقدر على أخذه.

﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، الله سبحانه يؤكد على ترقي نبي الله وأن علمه سيبرز وأول من يلتفت إلى علمه وكمالاته هم إخوانه ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي أن هذا الشخص (يوسف) الذي كانوا يدافعون عنه ومدحوه وأخلاقه مما جعله يطلب منهم مجيء أخيهم، الآن عندما اتُهم تبرؤا منه، وهذه

طبيعة الناس الذين لا يصل ولائهم لحد الذوبان. الناس إذا لم يصلوا في ولائهم إلى حد الذوبان فإن هذا الإنسان الذي يحبونه إذا وقع في مشكلة هم أول من يتبرأ منه.

• ما زالوا مصرين على ظلمهم:

لم يقولوا إن يسرق فقد سرق أخ لنا من قبل، وإنما ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل أي نفوه عنهم وحتى نسبه نفوه عنهم. أي هو وأخيه شأنهم السرقة ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

الحالة الطبيعية هنا أن يصفي حسابه معهم وهم في ورطة، لكن يوسف عليه السلام أسرّها في نفسه ولم يبدها، لماذا؟ يريدهم أن يصلوا إلى أن يقولوا ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فإنهم ما لم يروا هذه النفس الواسعة عند يوسف عليه السلام وهذا العلم الواسع وهذه الفضائل والكمالات وتصير حاجاتهم كلها متعلقة بيوسف عليه السلام، وما لم يصلوا إلى حد الذلة وتسوء سمعتهم ويحتاجون يوسف فإنهم لا يأتون ويقولون ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾. ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي شر إخوة أنتم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ أي هذا القانون جاري عندهم فأدانهم بما يعتقدون.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ

عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي يئسوا من يوسف أن يترك لهم بنيامين. في المرة الأولى رجعوا إلى بلدهم بالزاد والمتاع، الآن لن ينفعهم زاد أو متاع لأنهم وقعوا في مشكلة لا يعوض عنها المأكل والمشرب. سمعتهم ساءت عند الملك فقد انتهت وجاهتهم واسمهم فكيف يدخلون على أبيهم؟ إخفاء يوسف كانت مسألة، لكن هذه اكبر، لأنهم حتى لو كانوا بريئين ولكنهم اخطئوا خطأ كبيراً مرة أخرى، وعادة الخطأ الثاني وان كان المتهم بريء منه ولكنه سيشمله وسيلتصق به، **﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾** اختصار لواقعهم أي تخلصوا من الجو الذي فيه يوسف عليه السلام وجماعته فتحدثوا بصوت منخفض.

قال كبيرهم العاقل فيهم الذي منعهم من قتل يوسف وهو الذي أعطى قميص يوسف ليعقوب عليه السلام، ولذلك طلب يوسف منه أن يأخذ الآن القميص وهذا كرامة له وإكرام. ويقال أن هذا من ظرافة يوسف عليه السلام حتى يمحو الشعور بالخطيئة عن قلب أبيه.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ أي لو رجعوا كلهم دون بنيامين ليئس من بنيامين، لذلك أنا أبقى فإن بقائي يبقي أمل عند يعقوب إني لن أترك بنيامين، **﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾**، الشيخ جوادي يقول لماذا قال (اسأل القرية)؟ فهل القرية تسأل؟ فهي جدران وحيطان، البعض يقول أي أهل القرية. ولكن الشيخ يقول: إن حيطان القرية تعرف أن يوسف عليه السلام صديق وتراب القرية

يعرف ذلك أيضاً، لأنهم يعرفون إن النبي يعرف لغة الموجودات وعلمنا منطق الطير أي من شأن يعقوب أن يسأل ومن شأن العير أن تجيب.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ الصبر الجميل هو الاحتمال بدون شكوى ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ لأنه هو الولي الذي يبحث عنه والذي يعلم إنه سوف يأتيه الله الحكمة وتأويل الأحاديث، فكل مصيبة تصيبه تذكره بالأصل وهو فقد يوسف عليه السلام. الإنسان كل مصيبة تصيبه يعلم إنها تفرعات لمصيبة أساسية فتهيج عنده مشاعره، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لم ينقطع فيك الأمل عن ذكر يوسف؟ (لا تفتأ) أي دائماً ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾.

المتحدث بقلب محترق يصير كأنه يبث قطع من قلبه وكأنه يخرج من شظايا قلبه. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعلم بوجود يوسف وأنه يوماً من الأيام سيعلن عن نفسه، لكن هذه الآلام والهموم لابد أن تقع، ويعرف أن الله سبحانه لابدّ سيظهر يوسف عليه السلام لكن متى هذا الظهور لا يعلم. وكذلك امامنا غاب عنا ولا ندري متى الفرج والظهور.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

• فتحسسوا من يوسف:

ما هو التحسس؟ التحسس في فعل الخير وهو البحث عن الناس الخيرين ,والتحسس في فعل الشر هو البحث عن الأخبار.

ويبدءون في الحال البحث عن يوسف عليه السلام، والذي يتحسس يذهب في الحال عندما يرى القرائن. كم الفرق بين الغافل والذي يتحسس؟

الذي يتحسس يكشف له، لذلك عندما دخلوا هذه المرة دخلوا وقد هيئوا أنفسهم للبحث عن يوسف عليه السلام وصلاحه وريحه وجماله. هذا هو إذكاء الحس الباطني وهذا التهيؤ المعرفي لإدراك الخارج. إدراك الوضع الخارجي لا يعتمد على البعد النظري فقط وإنما البعد الروحي.

الذي يدخل ليتحسس يكون قد أشعل في نفسه جذوة البحث عن يوسف عليه السلام **﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** لو نظرتم إلى الروايات في الثقة بروح الله ورجاء الله، فنرى فيها تأكيد على أن الإنسان إذا وقع في أي مشكلة ومهما تكن معضلة فالواقع الخارجي لا يعين على الخلاص منها، وإنما التعلق للخلاص يكون بروح الله والرجاء من الله، فإن روح الله أعظم والرجاء من الله هو الذي يوصل.

الإمام الصادق عليه السلام يقول «**كن لما لا ترجوه أرجى منك لما ترجوه**»، أي بعض الأشياء نحن نرجوها هناك مظاهر خارجية تساعد عليها، لكن الأشياء التي لا توجد لها مظاهر خارجية تساعد عليها فهذه أرجوها وأتوقعها أكثر من الأمور التي لها مظاهر تساعد عليها لأن لطف الله عميق. الإنسان إذا انصرف للظاهر فقط فهذا الإنسان يغيب عن عالم الغيب وما فوق الظاهر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾في أي حال دخلوا؟ دخلوا يتحسسون وفي أعماقهم يرون أن كل بلاء يعقوب عليه السلام بسببهم. حاولوا أن ينسوا يوسف ولكن عندما امسك بنيامين وأحتجز، لم يكن هناك في فكر يعقوب إلا يوسف، فهيج فيهم حالة الشعور بالإنكار والإثم والذلة.

قالوا لم يبق لهم قدرة على الحفاظ على صلابتهم لأنهم كلما رأوا ما يجري على يعقوب اشتعل في ضمائرهم ظلمهم ليوسف، وقد كان سبب هذه المشاكل حسدهم ليوسف عليه السلام. عندما رأوا أنهم لابد يزيلون حجاب الحسد ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ أول مرة جاءوا بأموال كثيرة، لكن هذه المرة جاءوا وهم منصرفون عن كل شيء إلا ولي الله «أخوهم يوسف عليه السلام».

وهذا كان تمحيص لهم فقد جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «**والله لَيَغيبَنَّ إمامُكم سنيناً من دَهركُمْ، وَلَتُمَحَّصُنَّ حتى يُقال: مَاتَ أو هَلَكَ بِأيِّ وادٍ سَلَكَ، وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيهِ عُيونُ المُؤمِنِينَ**».

بلى والله، وقد دمعت عيون الكثير من المؤمنين: «**ليت شعري أين استقرت بك النوى، أم أيّ أرض تُقلّك أو ثرى، أبرضوى أم غيرها أم ذي طُوى؟ عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلق ولا تُرَى، ولا أسمعُ لك حسيساً ولا نجوى**»(١).

عندما نتعمَّق في فلسفة بعث الرسل وإنزال الكتب وهي التمهيد لتطبيق الشريعة الإسلامية على الأرض كلها حتى «**يملأ الله به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً**» نعرف أنَّ جميع مواقف الأنبياء

(١) مقطع من دعاء الندبة انظر إقبال الأعمال ١ / ٥٠٤ - ٥١٠، بحار الأنوار ٨٧/٩٩.

وأئمتنا عليهم السلام تنصب في تلك الغاية المتوقعة وذلك الهدف المنتظَر فلا ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

فكل الظلم الذي وقع على الأنبياء أو أهل البيت وحتى ظلم الإمام المهدي، فالإمام الحسين عليه السلام لم يُحقِّق الثورة الكربلائيَّة إلا لأجل أن يُحقق ذلك الهدف وليست ثورته عليه السلام إلاّ مفردة من المفردات التِّي تنصبُّ في ذلك الهدف النهائي (يوم ظهور الإمام المهدي عج).

جاء في قصيدة دعبل التائية في أهل البيت التي عبّر عن المآسي الكبيرة التي تعرّض لها أهل البيت (عليهم السلام) بما يتفجّر له الصمّ الجماد ويتكسّر له قلب العدو.

قال دعبل: في سنة ١٩٨ هـ، دخلت على سيدي الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا بخراسان، فقلت له: يا بن رسول الله، إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك وأحب أن تسمعها مني. فقال لي: هاتها .... فأنشدته:

لما بلغت قولي:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال لي: صدقت يا خزاعي فواصلت إنشادي.. حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم ... أكفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى الإمام الرضا حتى أغمي عليه.. فأومأ إليّ خادم كان على رأسه: أن أسكت يا دعبل فسكتّ!!. فمكث ساعة ثم قال لي: أعد..

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٣.

فأعدت القصيدة ثانية. حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى. وأومأ الخادم إليّ مجدداً: أن أسكت.. فسكت!! فمكث الإمام الرضا ساعة أخرى ثم قال لي: أعد.. فأعدت القصيدة.. فجعل يقلب كفيه ويقول: أجل والله (منقبضات). فتابعت إنشادي:

وآل رسول الله نحف جسومهم — وآل زياد أغلظ القصرات

سأبكيهم ما ذرّ في الأفق شارق — ونادى منادي الخير بالصلوات

وما طلعت شمس وحان غروبها — وبالليل أبكيهم وبالغدوات

ديار رسول الله أصبحن بلقعاً — وآل زياد تسكن الحجرات

وآل زياد في القصور مصونة — وآل رسول الله في الفلوات

وحين ذكرت الحجة القائم عجل الله فرجه بقولي:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو — غد تقطع نفسي إثرهم حسراتي

خروج إمام لا محالة خارج — يقوم على اسم الله بالبركات

يميّز فينا كلّ حقّ وباطل — ويجزي عن النعماء والنقمات

فيا نفسي طيبي ثم يا نفسي — فاصبري فغير بعيد كل ما هو آت

فوضع الرضا يده على رأسه وتواضع قائماً ودعى له بالفرج. ثم رفع رأسه إليّ وقال: يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام؟! أو متى يقوم؟ فقلت: لا يا سيدي؟ إلا أني سمعت عن آبائي بخروج إمام منكم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فقال: إن الإمام بعدي ابني محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلما،

وأما متى يقوم فإخبار عن الوقت، لقد حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: «**مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة**».

يا صاحب العصر أدركنا فليس لنا ... وردٌ هنيءٌ ولا عيشٌ لنا رغدُ
طالت علينا ليالي الانتظار فهل ... يا ابن الزكّي لليل الانتظار غدُ
فاكحل بطلعتك الغرّاء لنا مُقلاً ... يكادُ يأتي على إنسانها الرمدُ

يا بقية الله، متى نراك وأنت تؤمّ الملأ، تزور بهم كربلاء، وتقف على وادي الطفوف ؛ لترى وتطوف يا مولاي:

شعبي

اشلون حالك من تصل وادي الطفوف ... وللمصارع ذيج بعيونك تشوف
أوشفت عباس مقطوع الجفوف ... على النهر مطروح ويعينه السهم
عمّك العباس يا راعي الشيم ... أوحاله يالمهدي يذوّب مهجتك
اجفوفه يمّه امقطّعه أو يمّه العلم ... والعمود ابراس أبو فاضل فتك
هاي صوره اتشوفها أو صوره بعد ... أكثر أو أكثر يبو صالح واشد
فوق صدر حسين طفل البالمهد ... اتشوفه مذبوح او يزوّد ونتك
واليزيدك سيدي اهموم وقهر ... من تشوف حسين مقطوع النحر
او جالت الخيل اعلى صدره والظهر ... هالمصيبه اعليها تسجب دمعتك
والمصيبه المنها يلتاع القلب ... من مشت زينب يسيره ويه الغرب
ريت كون اتشوفها بذاك الدرب ... أبولية العدوان راحت عمّتك





أحسن القصص القرآنية
لظاهرة النبي يوسف
وارتباطها بالمصلح الإلهي

أحسن القصص القرآنية

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: ٣).

فقال بعضهم: سميت أحسن القصص؛ لأنها وردت متكاملة من أولها إلى آخرها في نفس السورة، وقال آخرون: إنها وصفت بأنها أحسن القصص لاشتمالها على موضوعات متعددة، وأغراض متنوعة، فقد عالجت مسائل تربوية واجتماعية ودعوية وغير ذلك، ولهذا كانت فيها كما قال الله: ﴿آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف: من الآية٧) وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها وصفت بذلك؛ لأن كل من ورد فيها كان مآله حسناً وعاقبته طيبة، فيعقوب رد عليه بصره، وظفر بفلذتي كبده، ويوسف عليه السلام آتاه الله الملك والحكمة وعلمه من تأويل الأحاديث، وإخوته تاب الله عليهم، وحسن حالهم، بل ذكر بعض أهل العلم أن الله اصطفاهم أنبياء، وما فعلوه لا يتعارض مع عصمة الأنبياء؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك قبل النبوة، وامرأة العزيز ذكروا لها أخباراً تفيد حسن مآلها، وما جاء في السورة يفيد إقرارها بذنبها، وندمها عليه، وذلك خير، وأهل مصر اجتازوا السبع الشداد، بل كان يأتيهم الناس من أقطارها طلباً لمؤنتهم، وصاحبي السجن أما أحدهما فأسلم ونجا وصار من خاصة الملك، وأما الآخر فدعاه يوسف عليه السلام فوافاه أجله وهو مسلم وتلك غنيمة، أما قتله فإن كان بحق فهو كفارة له وإلا فلن يضيع حقه يوم القيامة، وأجره على الله تعالى.

ومن أسباب التسمية أن السورة كسائر سور القرآن لها تأثير في حياة الأمم، من عمل بما فيها من مقومات الفوز والنجاح فاز وسعد وآل أمره إلى خير.

أحسن القصص القرآنية
لظاهرة النبيّ يوسف وارتباطها بالمصلح الإلهي(١)

● **البشارة الإلهية :**

نشاهد في ظاهرة النبيّ يوسف عليه السلام أنَّ هناك بشارة إلهية لتمكينه وظهوره للإصلاح، وهي تُعبّر عن نوع من الظهور والغلبة والتمكين، وقد ذُكر في ذيل هذه سورة يوسف وهو قوله تعالى: **﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** (يوسف: ١٠٠ و١٠١).

وإن كان لها تأويل خاصّ ذُكر في روايات أهل البيت عليهم السلام فعن أبي جعفر عليه السلام، قال: (تأويل هذه الرؤيا أنَّه سيملك مصر ويدخل عليه أبواه وإخوته، أمَّا الشمس فأُمّ يوسف راحيل، والقمر يعقوب، وأمَّا أحد عشر كوكباً فإخوته، فلمَّا دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه وكان ذلك السجود لله). قال علي بن إبراهيم: فحدَّثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: (إنَّه كان من خبر يوسف عليه السلام أنَّه كان له أحد عشر أخ، فكان له من أُمّه أخ واحد يسمّى: بنيامين، وكان يعقوب إسرائيل الله، فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين فقصَّها على أبيه)(٢).

(١) لسماحة الشيخ محمد السند. (٢) تفسير القمي ١: ٣٣٩.

تحمل ظاهرة النبيّ يوسف الكثير من المعالم لظاهرة المصلح المنجي المنقذ، وهنا وقفات تستحقّ وتسترعي التأمّل والتدبّر، قال تعالى ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ (يوسف: ٤).

هذه فاتحة قصَّة النبيّ يوسف وفيها من البشارة الالهية و الفتح الربّاني يُبشّر به الله النبيّ يوسف عليه السلام، وفي البشارة نوع من التمكين والسلطة والقدرة، ووعداً بالفتح، والظهور، ووعداً بالتمكين في الأرض ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ (يوسف: ٥)، يعني هذه النبوءة الإلهية بأنَّ يوسف سوف يظهر، وسوف يمكّن له الله عز وجل في الأرض، هذه البشارة الإلهية بنفسها

وهذه البشارة سوف تكون سببا للحسد والمكيدة من الأقرباء للنبيّ يوسف عليه السلام وكذلك البُعداء من الأصدقاء، فإذا كان هذا حال الإخوة وحال الأصدقاء، فكيف بحال البُعداء والأعداء؟! لأنَّهم أولى لأن يكيدوه وأنَّ هذه البشارة بنفسها تستدعي لأن تتحسَّب القوى لتدبير مكائد للحيلولة دون تحقّق تلك البشارة الإلهية، وللوقوف دون وصوله إلى مثل تلك المكانة وذلك الاجتباء والتمكين في الأرض، ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ**﴾ (يوسف: ٦)، كما هو الحال فيما ورد في الإمام المهدي عليه السلام أنّه يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً وايضا هذه بشارة سوف تسبب العداء لأهل البيت وبالأخص إمامنا المهدي عجل الله فرجه الشريف.

● **بشارة للنبيّ محمّد :**

كما كانت ليوسف عليه السلام، بشارة كذلك كانت هناك بشارة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بشّره الله عز وجل بها، أنّه مهما تقدَّم الزمن وطال فسيُظهر الله هذا الدين على يدي رجل من ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله وهو الإمام المهدي عليه السلام، ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾، للأرجاء كافّة، هذا الوعد وهو خاتمة الدين الإسلامي سوف يطبَّق على أرجاء الكرة الأرضية، ولم يتحقَّق إلى الآن، ولم يتسنَّ لأحد أن يحقّقه على يديه. وفي الواقع إنَّ أهل البيت عليهم السلام بهم فتح الله وبهم يختم[1].

● **بشارة خالدة :**

وفي القرآن الكريم أيضاً هناك بشارة خالدة ذكرها في ثلاث سور هي سورة (الفتح: ٢٨)، وسورة (التوبة: ٣٣)، وسورة (الصفّ: ٩): ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾، نعم هذه البشارة الإلهية قد أنبأ القرآن الكريم به، وأنَّها ستتحقَّق لنبيّ الإسلام ولدين الإسلام على يد رجل من ذرّية هذا النبيّ يدعى المهدي عليه السلام وهو أنَّ هذا الدين بدءاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبنصرة علي بن أبي طالب

---

(١) في الرواية عن الحارث بن نوفل، قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: (يا رسول الله أمنّا الهداة أم من غيرنا؟)، قال: (بل منّا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالة الشرك، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة، وبنا يُصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك، وبنا يختم الله كما بنا فتح الله). (كمال الدين: ٢٣٠/ باب ٢٢/ ح ٣١).
وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (نحن جنب الله، ونحن حبل الله، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم الله، نحن أئمّة الهدى ومصابيح الدجى، ونحن الهدى، ونحن العلم المرفوع لأهل الدني، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، من تمسَّك بنا لحق ومن تخلّف عنّا غرق...). (مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٦).

عليه السلام للنبيّ، فقد قام الدين بسيف علي ونصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وسيختم له في الانتشار في الأرض والتمكين في الأرض على يد أهل البيت، فبهم بُدئ الدين وبهم سيُختَم في أرجاء الكرة الأرضية، هذه بشارة قرآنية عظيمة أكّدها القرآن الكريم، وفي الواقع تتناغم مع كثير من السور القرآنية، كقوله تعالى: **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾** (القصص: ٥)، فإنَّ هذه آيات تنادي بأعلى صوتها خفّاقة وترنّ في أُذن البشرية وأُذن القارئ للقرآن الكريم أنَّ هناك بشارة وعد بها سيّد الأنبياء، ووعد بها المسلمون، أنَّ هناك ظهوراً لهذا الدين على يد رجل من ذرّية سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، فهذه إشارة إلى ظاهرة النبيّ يوسف وتشابهها مع ظاهرة الإمام المهدي عليه السلام.

● اجتباء واختيار للتمكين في الأرض:

إذن هناك اجتباء للظهور والتمكين في الأرض، وكما اجتُبي النبيّ يوسف لذلك. فكذلك اجتُبي الإمام المهدي بنصّ حديث النبيّ المتواتر، وقال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾** (يوسف: ٧)، يعني هناك عِظات وعبر تمرُّ عليكم في ظاهرة النبيّ يوسف يجب أن لا تعبروها بغفلةٍ.

إنَّها ظاهرة تستدعي الإمعان والتدبّر بعمق، وفي الحقيقة إنَّ هذه التوصية من القرآن الكريم بأن نقف مليّاً متدبّرين ظاهرة النبيّ يوسف، ليس ذلك إلاَّ لظاهرة الغيبة فيها، فالنبيّ يوسف الذي وُعد بالظهور والتمكين في الأرض يطالعنا القرآن الكريم أنَّ له غيبة ابتدأت من الجبّ كما ستأتي بقيّة الآيات، وفيها إجابات للأسئلة التي لديهم، وعلامات يهتدون بها، وتشفي غليل صدورهم.

أيضاً ما في قوله الله تعالى في هذه السورة: **﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ**

اطْرَحُوهُ﴾ (يوسف: ٩)، هذه ظاهرة موجودة في حياة النبيّ يوسف، حيث أنَّه عليه السلام وعد بأنَّه سيُقلَّد مسؤولية في الأرض، وظهوراً وإصلاحاً وتمكيناً، فبدأ الخصم يتربَّص به ومن حواليه كما مرَّ بنا في النبيّ موسى عليه السلام.

من الطبيعي أنَّ قوى البشرية سواء أكانت معتدلة أم غاشمة ظالمة يؤرقها في الواقع بروز قوّة جديدة ستسيطر وتقتدر وتتمكَّن في الأرض، وقد طالعنا التاريخ أنَّ آباء النبيّ تعرَّضوا لمحاولات غيلة واغتيال من اليهود الذين هاجروا من الشام إلى خيبر، إلى المدينة إلى أطراف مكّة مرَّات وكرَّات من الكهنة، أو حتَّى ربَّما من قريش، نعم حاولوا الغيلة والاغتيال والتصفية لآباء النبيّ لعلمهم - بتوسط الكهنة والبشائر الإلهية في الديانات السابقة في الإنجيل والتوراة- أنَّ هناك سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وسيظهر ويمكّن له الله في الأرض، ومن طبيعي يكون هناك من يتطلَّع إلى ظهوره، إلى غلبته، إلى مقام التمكين له في القدرة والسيطرة لإصلاح شؤون البشر في الأرض، فتحدق به حينئذٍ القوى المنافسة أو القوى المعادية لتصفيته وإبادته، وهذا في الواقع أوّل طالع ينبّهنا ويذكّرنا به القرآن الكريم في شخصية النبيّ يوسف عليه السلام.

• مواقف يوسفية لها صلة مهدوية:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ (يوسف: ١٥)، هنا نوع من المؤامرة، أرادوا أن يدبّروها وينفذوها لإبادة النبيّ يوسف.

• لماذا غاب النبي يوسف؟

قد يسأل السائل: لماذا يستعرض القرآن الكريم هنا بدء غيبة النبيّ يوسف عن ذويه وأهله، بل غيبته حتَّى عن أبيه النبيّ يعقوب عليه السلام، الذي

هو نبيّ من الأنبياء وإمام من الأئمّة كما ذكر ذلك القرآن الكريم: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾** (الأنبياء: ٧٣)، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فيعقوب مع كونه نبيّاً من أنبياء الله غُيّب عنه ابنه النبيّ يوسف، إذن الغيبة حجّة من حجج الله قد تحصل حتّى عن الخاصّة فضلاً عن عامّة الناس.

الجواب : إذا تأكّد الخطر المحدق بوليّ الله الذي وُعد أن يكون مصلحاً متمكّناً في الأرض يدبّر ويدير الإصلاح في الأرض، هذا الوليّ والحجّة لله قد يُغيّب استتاراً أمنياً من الله حراسة له وضمانة له، حتّى عن خاصّته وذويه، فضلاً عن العامّة، ولا تكون غيبته مبطلة لحجّته ولا تبطل تلك البشارة التي وعدَ بها لتُنفّذ على يديه من قِبَل الله عز وجل.

هناك نوع من التشابه في تغييب يوسف عليه السلام في الجُبّ مع غيبة الإمام المهدي عليه السلام في سرداب الغيبة.

كثير من الأقلام الرخيصة والألسن الخفيفة تستهزئ بغيبة الإمام المهدي في السرداب (سرداب الغيبة)، في الواقع هذا السؤال كأنّما يسأله نفس السائل القارئ للقرآن فيقول: ما صلة غيبة النبيّ يوسف عن أبيه وذويه إلى أن ظهر للإصلاح في الأرض، بالجُبّ والبئر؟

وهل النبيّ يوسف عليه السلام عندما غاب عن ذويه بقي في الجُبّ والبئر؟

كلا، بل هي في الواقع حدث تاريخي حدث للنبيّ يوسف في الجُبّ والبئر، وقد بدأت غيبته من محاولة التخلص منه في الجُبّ، ومن ثَمَّ ذكرها القرآن الكريم كأوّل محطّة لبدء الغيبة.

وهكذا الحال جرى في شأن الإمام المهدي عليه السلام، حيث إنَّ بيت أبيه وجدّه كان في سامراء وكانت تُبنى السراديب للبرودة في الصيف، ولا زال في كثير من البلدان كالعراق وإيران وبلدان كثيرة تُبنى السراديب

تحت البيوت وقاية من الحرّ الشديد ولأجل البرودة، فجلاوزة النظام العبّاسي وصلت إليهم الأنباء أنَّ ولد الإمام الحسن العسكري وهو المهدي في سرداب بيت أبيه، فكبسوا ذلك السرداب لقتل الإمام المهدي عليه السلام كما صنع أولئك الظالمون للنبيّ يوسف، إلاَّ أنَّ الله عز وجل كما أحبط مخطَّط إخوة يوسف في يوسف وجعل كيدهم هباءً منثوراً، كذلك جعل الله عز وجل كيد جلاوزة النظام العبّاسي في مداهمة الإمام المهدي في سرداب بيت أبيه، حيث أعمى الله وأغشى أبصارهم كما في خروج النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة عندما أرادت قريش أن تداهم النبيّ وتقتله في بدء الهجرة من مكّة إلى المدينة، فخرج النبيّ من بين أيديهم بغشاوة من الله على أبصارهم فلم يبصروه، كذلك خروج الإمام المهدي في ذلك الوقت عندما كبسوا السرداب في بيت أبيه وكان هو فيه، فأغشى الله أبصارهم، فخرج وبدأت غيبته، ففي الحقيقة هذه محطّة أخرى بارزة ظاهرة ناصعة في حياة النبيّ يوسف، أنَّ بدء غيبته بدأت من الجُبّ.

• ظاهرة النبيّ يوسف عليه السلام وشبهها بغيبة الإمام المهدي عليه السلام:

للنبيّ يوسف غيبة مع كونه حجّة من الله مبعوثاً للإصلاح في الأرض، له غيبة يستعرضها لنا القرآن الكريم، وقد اشتدَّت وتوغَّلت في الخفاء إلى درجة أن يخفى النبيّ يوسف عليه السلام حتَّى عن أبيه وعن ذويه وإخوته وأهله، فهذه شدّة المحنة، فالغيبة من وليّ الله وحجّته تتناول وتشمل حتَّى الخاصّة فضلاً عن العامّة، لِمَ؟

ذلك لأنَّ هذا المصلح يُعدّ لدور مهمّ خطير، فمن ثَمَّ يكون البرنامج الأمني الإلهي في حراسة له وضمانة خاصّة، لكي لا تصل إليه يد الطامعين ويد الأعداء، فيستهلُّ القرآن الكريم في بدء غيبة النبيّ عن

أبيه وذويه وأهله وخاصّته بذكر المؤامرة التي دُبّرت وكيدت له من قِبَل إخوته الطامعين في إبادته وتصفيته، بما سوَّلت لهم أنفسهم في المخطَّط الذي دبَّروه، وهو جعله في البئر وغيابت الجُبّ. فلا يأتي آتٍ ويقول: ما صلة الجُبّ وغيابت الجُبّ ووضع يوسف فيه والتآمر عليه وهو في الجُبّ بعقيدة الإمام المهدي عليه السلام، ويروق لهم استرخاصاً لذهنيتهم التشنيع والهَرْج بالسرداب.

بدأت غيبة النبيّ يوسف عن ذويه بالجُبّ كمشهد تاريخي عندما حصلت المؤامرة والتواطؤ لتصفيته وإبادته، لذلك يذكرها القرآن كمشهد، هي مؤامرة كابدت النبيّ يوسف وبدأت في تلك الحقبة وفي ذلك المشهد. وقد ذكرها القرآن، هكذا الحال فيما يشاهد في سرداب الغيبة روى الراوندي في (الخرائج والجرائح ٢: ٩٤٢ و٩٤٣): أنَّ صاحب الأمر عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام ودفنه، خرج جعفر الكذّاب إلى بني العبّاس وأوصل خبره إليهم، فبعثوا عسكراً إلى سُرَّ من رأى ليهجموا داره ويقتلوا من يجدونه فيها، ويأتوه برأسه، فلمَّا دخلوها وجدوه عليه السلام في آخر السرداب قائماً يصلّي على حصير على الماء، وقدامهم أيضاً كأنَّه بحر لكثرة الماء في السرداب، فلمَّا رأوا ذلك يئسوا من الوصول إليه، وانصرفوا مدهوشين إلى الخليفة، فأمرهم بكتمان ذلك. ثمّ بعث بعد ذلك عسكراً أكثر من الأوّل، فلمَّا دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه حتَّى لا يصعد، فخرج من حيث الآن عليه شبكة، وخرج وأميرهم قائم. فلمَّا غاب قال: أنزلوا وخذوه. فقالوا: إنَّه مرَّ عليك وما أمرت بأخذه. فقال: ما رأيته. فانصرفوا خائبين. وخرج إليه العسكر مرَّة أخرى، فوجدوه في آخر السرداب، فوضع يده عليه السلام على الجدار وشقّه، وخرج منه، وأثر الشقّ بعد ظاهر فيه.

● بدأ التدبير الإلهي لانقاذ ولي الله المصلح:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يا بُشْرى هذا غُلامٌ﴾ (يوسف: ١٩)، تدبير الله عز وجل، يُدبّر حينئذٍ وليّه المصلح الموعود كما يحدّثنا القرآن الكريم: **﴿وَقالَ الَّذِي اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾** (يوسف: ٢١)، إذن هذا نوع من الفرج الإلهي التدريجي من الله تعالى، ليكيد الله كيد الكائدين ومكر الماكرين.

ومؤامرة المتواطئين هي بنفسها حلقات متدرّجة لتدبير الله عز وجل كما يقول: **﴿وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** (يوسف: ٢١)، يعني هذه المكائد وهذه المؤامرات وهذه التواطؤات للتخلص من وليّ الله المصلح المنقذ تبوء بالفشل، بل تصبّ في مسيرة وبرنامج دبّره الله عز وجل لوصول وليه إلى منصّة الظهور ومنصّة الإستخلاف في الأرض، فوضعه في الجُبّ كان محطّة إنطلاق لغيبته، وكذلك كان السرداب في بيت الإمام الحسن العسكري في سامراء وهي أكبر قاعدة عسكرية في العالم آنذاك، حيث حصلت تعبئة عسكرية واستنفار من الدولة العبّاسية العظمى تخوّفاً وتحسّباً من ظهور الإمام المهدي واستيلائه على مقدّرات الأمور فكبست ذلك السرداب، هذا هو المراد من سرداب الغيبة للإمام المهدي عليه السلام.

● الغيبة بمعنى عدم الشعور بالغائب:

هناك من التشابه بين ظاهرة النبيّ يوسف والإمام المهدي حتّى في بدء الغيبة، فقد بدأت غيبة النبيّ يوسف عليه السلام عندما **﴿ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الجُبِّ وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾** (يوسف: ١٥)، هنا إلتفاتة جميلة **﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ﴾**

إلى النبيّ يوسف: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ماذا يعني؟ يعني هذه الغيبة التي ستبدأ للنبيّ يوسف من البئر، ويغيب عن إخوته وعن أبيه، ليست انطماراً في الأرض، وإنَّما يخفى على شعورهم، فالغيبة ليست غيبة وجود ولا غيبة حضور، إنَّما غيبة شعور، يعني الأطراف الأخرى لا يشعرون به، غيبة هوية، غيبة خفاء، واستتار وسرّية، لذلك رُكّز أيضاً في غيبة النبيّ يوسف التي فيها تشابه مع غيبة الإمام المهدي، بقوله: ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾، كما مرَّ في غيبة النبيّ موسى عليه السلام: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾ (القصص: ٨)، ثمّ بعد ذلك تواصل الآية وتقول: ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٩).

فإذن الغيبة في المصطلح القرآني والمفهوم القرآني وفي الحقيقة القرآنية التي تتكرّر في ظواهر القرآن المتّصلة بالعقيدة بالإمام المهدي هي أنَّ الغيبة بمعنى عدم الشعور بالغائب، لا عدم وجود الغائب، عدم الشعور بوليّ الله المصلح، عدم المعرفة بوليّ الله المنقذ المنجي مع كونه حاضراً في ساحة الحدث، إذن الغيبة يتابعها القرآن بإمعان وعمق ودقّة ليُفهمها المسلمين ويفهمها القرّاء للقرآن الكريم، أنَّ معنى الغيبة لأولياء الله والحجج بمعنى عدم شعوركم بهم، عدم معرفتكم بهويتهم، لا عدم وجودهم، لا مزايلتهم لساحة الحدث، لا مزايلتهم لتدبير الأمور، هم حاضرون، لكن أنتم لا تشعرون بهم، لا تشعرون بهويتهم.

• **إشاعة الخبر الكاذب :**

﴿وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ (١٦) قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ (١٧) وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف: ١٦-١٨)، يعني أنَّهم أشاعوا الخبر أنَّ يوسف قد مات أو قُتل، أي ليس له وجود كما قد أشيع الخبر في

الدولة العبّاسية آنذاك، هذا الخبر ان المهدي مات وهذا يعني أن لا خلف للإمام الحسن العسكري عليه السلام، أو أنَّ السلطة العبّاسية كبست على السرداب وصفّته وقتلته، ولم يستطع أن يخرج من بين أيديهم ولم يغشَ الله عز وجل أبصارهم بغشاوة، فهنا إذن وقفة تأمّل جيّدة وهي أنّه أشيع الخبر في غيبة النبيّ يوسف أنّه قد أُبيدَ وقُتِل.

• كيفية تعامل البشر مع المصلح:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف: ١٩ و٢٠)، لا يدرون من هو هذا الغلام أنظر تعامل البشر مع النبيّ يوسف، وهذا هو المصلح لهم، لكن لا يدرون ولا يشعرون كما مرَّ بنا في عامل الخفاء، **﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾** (يوسف: ٢١)، تمكين من الله ليوسف في الأرض، يفتح له السبل للتدرج في نفوذ القدرة، وفي أن يتبوَّأ مقاماً ومكانة في البشر ليصير نافذ اليد مبسوط القدرة، فهذا برنامج في الواقع تدريجي، تمكين تدريجي من الله عز وجل لقدرة يوسف في الأرض بشكل خفي ومستتر، وهذه سُنّة الله، إنَّه غالب على أمر يوسف ليسوسه (ليوصله إلى سياسة البلد) وليدبّره وليحيطه، **﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾**، أي تأويل الرؤيا[1] أو الإخبار عن حوادث الزمان التي تؤدّي إلى العلم بما يحتاج إليه[2]، **﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾**، أي تدبير الله قضاءه وقدره يمضي بلا عائق رغم كيد الكائدين ورغم مكر الماكرين.

---

(١) أنظر: تفسير مجمع البيان ٥: ٣٦٠ و٤٦٠ .
(٢) أنظر: تفسير التبيان ٦: ١٩٩ .

نعم، ما يقدّره الله للمصلح وللمنقذ هو كائن ولن يعوقه شيء ولن يقف أمامه حائل بتاتاً، ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك التدبير الإلهي.

● غيبة يوسف في صغره:

ويوسف حصلت له الغيبة وهو في صغره، قبل أن يبلغ أشدّه، وهي كما مرَّت بنا في النبيّ موسى عليه السلام أيضاً فقد حصل له الخفاء والغيبة في صغره، وهذا ما حصل للإمام المهدي عليه السلام، وهذا تدبير الله لوليّه المصلح المنقذ الذي يريد أن يظهره الله على الدين كلّه ولو كره المشركون.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٢٢)، و(المحسن) مقام عالٍ يأتي من الإحسان فوق مقام التقوى والورع وقريب من الاصطفاء في حجج الله، يأتيهم الله عز وجل بالعلم والحكمة وهو غير وحي النبوّة ووحي الشريعة والرسالة، فإذن هناك قناة غير النبوّة وغير قناة الرسالة، قناة أخرى يؤكّدها القرآن الكريم في فقرات ومحطّات عديدة وتسمّى بـ (العلم اللدنّي) العلم الإيتائي من الله عز وجل إنها الحكمة التي يؤتيها الله عز وجل كما آتاها لقمان، إذ لم يكن نبيّاً ولا رسولاً ولا إماماً، وإنَّما كان حجّة من الحجج آتاه الله الحكمة، هذه المفردات وهي المقامات الاعتقادية لا تجد لها تفسيراً في غير مدرسة أهل البيت من بين المدارس الإسلاميّة، مدرسة أهل البيت تقول: إنَّ لله حججاً أنبياء كانوا أو رسلاً أو أئمّة، أو قد يكون النبيّ رسولاً وإماماً أيضاً، أو حجّة من حجج الله وليس بإمام ولا رسول ولا نبيّ، وإن كانت الحجّية ثابتة أيضاً للمقامات الثلاثة الأُوَل أيضاً كما كان الحال في مريم، وكما مرَّ بنا في ظاهرة أُمّ النبيّ موسى، حيث أُوحي إليها ولم يكن وحياً نبوياً ولا وحي رسالة، وإنَّما هو الوحي اللدنّي والإيعاز لهذا البرنامج الخاصّ.

● **معنى الغيبة:**

بعد ذلك يطالعنا القرآن الكريم بمجمل قصة أحداث للنبيّ يوسف تجري عليه في غيبته، غيبة خفاء وسرّية، غيبة عدم معرفة البشر بهويته، وعدم معرفة بشخصيته، عدم الشعور بنسبه وحسبه، رغم أنهم يتعاملون معه. فيحدّثنا القرآن الكريم بأحداث أخرى تجري على النبيّ يوسف، إلى أن تصل إلى هذا الموضع في القرآن الكريم أنَّه قال: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ (يوسف: ٣٣)، وهنا تعاطي وتفاعل مع الأحداث للنبيّ يوسف في ظلّ غيبته، لا أنَّه ناءٍ، وهذه النقطة لها صلة بالعقيدة بالإمام المهدي وغيبته، غيبة خفاء هيأة وعدم الشعور بوليّ الله المصلح المنقذ الموعود المنتظر، لا أنَّه نائي، لا أنَّه مقصي، بل هو موجود يتفاعل مع الأحداث من دون شعور البشر به، ومن دون شعور بكيفية التدبير الإلهي الذي يوصله درجة فدرجة، محطّة فمحطّة إلى منصّة الظهور، إلاَّ أن يُكذّب الناس بذلك، أو يُكذّبوا النبيّ يعقوب الذي بشّر بظهور إبنه يوسف في الأرض وبالتمكين له، أو يُكذّبوا بغيبة النبيّ يوسف ويقولون: لن يكون هناك يوسف موعود سيظهر ويمكَّن له في الأرض ويتغلَّب على الفساد، لكن ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾، يكذّبون بما لا يعلمون، فهنا يؤكّد القرآن الكريم على أنَّ الغيبة والخفاء لا تنافي مقتضى قضاء الله وقدره للوصول إلى ظهور موعوده المبشّر به لإصلاح الأرض.

● **محنة الأولياء في مسرح الحياة:**

﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف: ٣٦)، إذن تفاعل وليّ الله الموعود في تلك

الحقبة أن يجري عليه ما يجري على البقيّة حتّى من دخول السجن، مع أنَّ وليّ الله موعود بالظفر والتمكين في الأرض تصل به حياته إلى أن يقبع في أرض السجن لكن هذا لا ينافي تدبير الله عز وجل، بل هذا يصبُّ في مسلسل تدبير الله النافذ الغالب على أمره ؟

فهذه إذن محطّات شاهدة تدلّل على أنَّ وليّ الله في غيبته وخفائه لا ينافي وجوده في مسرح الحياة وتفاعله مع مجريات الحياة.

النبيّ يوسف عليه السلام هو الذي ينقذ البشرية في منعطفات حادّة يمرُّ بها النظام البشري وهو خفي عنهم، وهم لا يشعرون به، وهم لا يشعرون بأنَّ هذا التدبير الصالح إنَّما انبثق من هذا النبيّ، من هذا الموعود بظهوره وبتمكينه.

﴿نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أنظر بثّه للعلوم أيضاً: **﴿قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ﴾** (يوسف: ٣٦ و٣٧). الآن يطالعنا القرآن الكريم أيضاً فيما سيجري للملك، **﴿وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ﴾** (يوسف: ٤٣)، إذن أزمة اقتصادية ستحلُّ بالبشرية يُراد لها تدبير نافذ، يُراد لها نظام اقتصادي صارم، يُراد لها نوع من البرمجة والتقشف الاقتصادي كي يواجهوا الأزمة الاقتصادية الحادّة التي ستعصف بهم، من الذي سينجي البشرية من هذه الأزمة؟ من الذي أعدَّه الله عز وجل للحيلولة دون وقوع هذه الأزمة التي ستجتاح البلاد؟

● البشر لا يستطيعون تدبير الأمور :

﴿قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعالِمِينَ﴾ (يوسف: ٤٤)، أنظر إلى تدبير البشر الذي لم يكن بالمستوى المطلوب أمام هذه الأزمة التي تواجههم لولا وجود وليّ الله الذي يدبّر الأمور وهو في حالة خفاء.

وهذا هو الذي نعتقده بالإمام المهدي عليه السلام في غيبته، وهي غيبة خفاء هوية، لا بُعد عن ساحة الحدث كما مرَّ، فهو يدبّر وينجي البشرية في حقبة تمتلئ بالأزمات الحادّة التي تعصف بها.

كما حصل الحال كذلك في الإمام المهدي عليه السلام، فقد ذكر الذهبي في (تاريخ الإسلام) في ترجمة الإمام الحسن العسكري ولادة الإمام المهدي محمّد بن الحسن، ولكنَّه عقَّب بعد ذلك وقال: إنَّه عُدم [1] (يعني الإمام المهدي تم إعدامه) أو كأنَّما تخلصت منه الدولة العبّاسية، ولكن الحقيقة ليست كذلك، بل هو محروس بضمانة وحراسة إلهية كما حرس الله النبيّ يوسف وحرس النبيّ موسى، وهو الموعود المبشَّر به بإظهار الدين على أرجاء الكرة الأرضية كافّة، وهو من نسل الرسول ومن ذرّية فاطمة في نصّ الفريقين المتواتر.

وتواصل الآيات سرد تعاطي النبيّ يوسف التفاعل مع الحياة العامّة، وأبرز ذلك ما تُبيّنه لنا السورة نفسها أنَّه في تلك الأزمة العصيبة التي عصفت بمصر وكانت هي مركزاً لتموين ما حواليها من البلدان في التموين الغذائي والأزمة الاقتصادية الحادّة التي مرَّت به، كان من النبيّ يوسف حينذاك ذلك التدبير المهمّ المبني على أُسس علمية بتوسّط ما للنبيّ يوسف من علم لدنّي، حيث ذكر برنامجاً مهمّاً لتفاديهم تلك الأزمة، فقال: **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾** (يوسف: ٤٧)، لاحظ البرنامج الوقائي والتدبير الاقتصادي، ثمّ كيفية الحفاظ على بقاء التموين الغذائي، **﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾**، فلا بدَّ أن تكون هناك سياسة

---

(١) قال الذهبي في (تاريخ الإسلام ١٩: ١١٣) أمالي الطوسي: ١٥٦/ المجلس ٢٦/ ح (١/١٥٠)؛ مسند أحمد ١: ١٨٤ .

تقشّف، برمجة وتدبير واضح لتفادي الأزمة المحدقة الحادّة التي سيواجهها المجتمع البشري آنذاك، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾(يوسف: ٤٨)، إنَّ للأولياء الحجج المبعوثين لإصلاح البشرية علماً قديماً، وعلوم الأئمّة المنصوبين من قبل الله تعالى ليست علوماً نسبية، وليست وليدة التجربة لتتأثَّر حينئذٍ زيادةً ونقصاناً أو صواباً وخطئاً أو تردّداً وحيرة بالمعلومات المكتسبة التي قد تكون محيطة وقد لا تكون محيطة في زوايا عديدة، بل هو علم لدنّي بما يؤتيهم الله عز وجل من ذلك العلم، فيه تدبير لا يخطئ الواقع.

الآن البشرية تتطلَّع إلى نظام اقتصادي عادل، بعد أن طُرحت عدّة نُظم، كالنظام الشيوعي، والنظام الرأسمالي، فوجدت أنَّها لا تتكفّل ولا توجِد العدالة، في النظام الاقتصادي، أو النظام القضائي، أو النظام الاجتماعي، أو النظام السياسي، بل رأت أنَّ غاية ما وصلت إليه تلك النظم إنَّما هو إلى حرّية نسبية أو عدالة نسبية أو حقوق نسبية، أمَّا الحقوق الكاملة والعدالة الكاملة والحرّية الكاملة -بالمعنى الصحيح للحرّية- فإلى الآن تتطلَّع البشرية إلى ذلك.

• التدبير الإلهي فقط لأولياء الله:

البشرية في أزمة وتلك إذن مرحلة دهياء مدلهمة فيها ما فيها من عدم الأمانة وعدم الكفاءة، بينما النظم الإلهية والتدبير الإلهي لمن يبعثهم الله أولياء تكفل حماية البشرية عمَّا ينتابها من عواصف، وهذا معنى ضرورة لزوم الإمامة بعد النبوّة، نعم إنَّه لا بدَّ من تدبير إلهي للبشر يكفل لهم الحياة ويحوطهم عن الوقوع في الهاوية والأخطار وما يحيط بهم من مآزق وأزمات ومنعطفات حادّة جدّاً.

• الإمام المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً:

في الحقيقة هذا معنى أنَّ المهدي عليه السلام عندما يظهر (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً)، وكما أنبأ بذلك القرآن الكريم في سورة الحشر: ﴿**مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّه**﴾، تدبيرها بيد الله ثمّ بعد ذلك ولاية ذوي القربى من أهل البيت، ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾، يستعرض القرآن الكريم مصرف هذه الثروات في الأرض بتدبير الله والرسول وذوي القربى أوّل، ثمّ يقول تعالى: ﴿**وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ (الحشر: ٧)، وهي الطبقات المحرومة، فبسط الثروات بشكل عادل على الطبقات المحرومة إنَّما يتمّ بتدبير الله وإدارة رسوله ثمّ ذوي القربى.

وفي قصَّة يوسف نشاهد هذا التدبير الاقتصادي الذي يؤمّن البشرية من الفساد ومن الظلم، في الحقيقة إنَّ هناك نارين نار الفساد ونار الظلم، الفساد قد يكون عن سبب الجهل في التنظيم، والجهل بالموضوع أو التطبيق، أمَّا صاحب العلم اللدنّي الوليّ من أولياء الله الذي يُبعث حجّة من قِبَل الله عز وجل بما يؤتى من علم لدنّي يتفادى ذلك الخطر، ولا يستدعي أزمة في التنظيم ولا أزمة في التطبيق ولا في العلم والإحاطة بالبيئة الموضوعية وتداعياتها، أنظر ماذا يقول النبيّ يوسف كما في الآية الكريمة: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ**﴾ (يوسف: ٤٧)، أي السبع سنين الأولى، ثمّ يعطي برنامجاً للسبع سنين الثانية، وبرنامجاً للسنة الخامسة عشرة، بملاحظة تداعيات كلّ تدبير، وهذه من خصائص التدبير الإلهي، وليس صلاحية الحكم في جنب التشريع. التشريع فقط لله، بل صلاحية الحكم في كلّ مدياته السياسية والنظمية والتدبيرية بيد الله عز وجل، وهذا هو المفهوم الذي

تتبناه المدرسة الوحيدة مدرسة أهل البيت، إذ لديها لون من التوحيد لا يُلمس بهذه الكثافة وبهذه الشمولية وبهذا التركيز في غيرها كما هو فيها، التوحيد في الحكم أيضاً فلا يقصرون على التشريع بأن يقال: إنَّ التشريع لله وأمَّا التطبيق والتدبير فهو بيد البشر، أي إنَّ يد الله معزولة عن ذلك، حاشا لله والعياذ بالله أن تقصر الربّانية عن التدبير، بل التدبير ليس في جانبه الكوني والقضاء والقدر فقط، بل حتَّى في جانبه التشريعي، وفي الدرجة الأولى أنَّ الحكم لله بما ينزل على أوليائه من أوامر.

● **إني جاعل في الأرض خليفة:**

نعم هذا موقف ونقطة مهمّة في ظاهرة النبيّ يوسف يستعرضها لنا القرآن الكريم في سورة يوسف، من أنَّ وليّ الله والإمام على البشر الخليفة لله في الأرض ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (البقرة: ٣٠)، ولم يُعبّر القرآن الكريم بالقول: إنّي جاعل في الأرض نبيّاً، أو إنّي جاعل في الأرض رسولاً، أو إنّي جاعل آدم خليفة، بل قال ما له عمومية وشمولية لكلّ الأزمان من بدء خليقة البشر إلى منتهاها: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾، الخليفة استخلاف قدرة وتدبير وإمامة، وهو عنوان من عناوين الإمامة، فالإمامة سُنّة دائمة من الله تعالى، سواء أكان الإمام نبيّاً أم رسولاً، كما في سنن الرسل فهو نبيّ ورسول وإمام، وإمام الأئمّة رسول الله ﷺ، وكما في إبراهيم فهو نبيّ ورسول وإمام، قال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾ (البقرة: ١٢٤)، وكذلك في إسحاق ويعقوب: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (السجدة: ٢٤)، فالإمام موقع ومنصب قد يشغله ويحتلّه النبيّ والإمام، وقد يقوم به غير

النبيّ والرسول، لكن هذا الموقع لا يمكن أن يكون شاغراً، لا يمكن أن يكون غير مُفعَّل في زمن الأزمان، وهذه نكته مهمّة في حياة الرسل، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ (المؤمنون: ٤٤)، يعني متعاضدة يعضد بعضها البعض، وبينها أزمنة وفترات، وبعد رسول الله «**لا نبيّ بعدي**»، أي لا رسول بعدي، ولم يقل سيّد الرسل: لا إمام بعدي، ولم يقل: لا خليفة لله بعدي، بل قال رسول الله ﷺ أنَّ بعده (اثنا عشر خليفة -أو أميراً- كلّهم من قريش)، وفي بعض الروايات: (من هذا البطن بني هاشم)، والمقصود هنا أنَّ ما تقدَّم من الآيات أنَّ النبيّ يوسف الموعود بكونه المصلح والمبشّر بالتمكين في الأرض، يزاول دوره في إنقاذ البشرية وإصلاح المجتمع البشري قبل ظهوره، وقبل وعي الناس ومعرفتهم وشعورهم بهويته، وقبل إعلان شخصيته، لكنَّه موجود في ساحة الحدث، موجود في مركز تدبير الأمور، ينتشل البشرية من تلك الأزمات، ويرتفع بها إلى قُلل الكمال من دون أن يشعروا بأنَّ هذا التدبير من خليفة الله تعالى، هذا التدبير من وليّ الله وحجّته، هذا التدبير من الموعود المُبشّر به بأنّه رأى ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (يوسف: ٤)، نعم مبشّر بأنَّه يظهر ويمكّن في الأرض، لكن مع ذلك لم يشعر به ذووه ولم يشعر به إخوته ولم يشعر به النظام الذي كان سائداً، لكن مع ذلك هو يقوم بدوره.

● إصلاح النبي يوسف وهو في غيبته:

القيام بالدور الحساس المصيري من قِبَل خليفة الله، من قِبَل الإمام الذي يستخلف في تدبير الأمور، على أنَّه خليفة الله، وقيام الإمام قيام من هو غائب في هويته وليس غائباً في وجوده، وحضوره، وتدبيره، وتصدّيه للأمور، إذ أنَّ قيامه بهذا الدور لا يستلزم شعور البشر بهويته

إذ أنَّهم كـانوا يرونه ولا يعـرفـونه، يدبّـر لهم، يتـعـاطى مـعـهم، يؤثّر في مـصيـر الـبشـرية، يـحفظهـا من المنزلقات من دون أن تشعـر البشـرية به، ومن دون أن تنسب البشـرية هذا الإنجاز الإصـلاحي لوليّ الله ولخليفـة الله، ربَّمـا نعـرفه بأسمـاء أخرى ولا نعـرفه باسم يوسف بن يعقوب بن إسحـاق بن إبراهيم الخليل مثـلاً، المهمّ أنَّه أخذ يد البشـرية عن الوقوع في مجـاعـات، أو الوقـوع في الموت، أو الوقوع في قطع النسل البـشـري والأزمـات الكثيـرة، وربَّمـا يتفشّى نتيجـة لذلك الفسـاد والقتل وعـواصف ومـفـاسـد تفتّ بـالنظام الاجـتمـاعي والسـيـاسـي والأسـري وكـثيـر من تداعـيـاته، لكن بعـد أن قـام بهـذا الدور المصـيـري في تلك الحلقـات المركزية في النظام الاجـتمـاعي السياسي، وكمـا في النبيّ موسى الذي قـام بأدوار كـثيـرة من ربط الأمل والجـأش على قلوب بني إسـرائيل دون أن يشـعـروا به أنَّه موسى قبل ظهوره، وكـان على صلة بأخيـه هـارون، بل ولم يشعروا حتَّى بنبوّة هارون.

● الفرق بين اصلاح الولي في غيبته واصلاحه بعد ظهوره :

أنَّ الإصـلاح الذي قـام به يوسف عليه السلام هو إصـلاح نسـبي في غـيـبـة أوليـاء الله، بخـلاف ما كـان بعـد ظهور يوسف وبعـد مـعرفتهم وشعـورهم به، **﴿أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾** (يوسف: ٩٠)، نعم إنَّه لمَّـا ظهـر أفـشى فـيـهم التـوحـيـد، وأفـشى فـيـهم ديانة الإسـلام، ولكن قـبل الظهـور كـانت تلك الإصـلاحـات نسـبيـة مـصـيـرية في حـفظ النظام البـشـري يقـوم بهـا وليّ الله، وإن كـان في سـتـار وسـرّية وخـفـاء في حـركـتـه، لذلك يُلفـت القـرآن الكريم إلى ذلك في قـوله تعـالى: **﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** (البقـرة: ٣٠)، وأوّل مـفـاد قـرآني له صلة بمعنى الخليفـة، بطرح القرآن الكريم تساؤل الملائكة: **﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: ٣٠)، وكأنَّما أراد الله عز وجل أن يبيّن لنا أهمّ دور يقوم به الخليفة، وأنَّه لولا وجوده لوقع المحذور الذي ذكرته الملائكة وهو الفساد في الأرض، أو سفك الدماء وقطع النسل البشري، فالذي يكون ضمانة إلهية يحول دون وقوع سفك الدماء أي قطع النسل البشري هو الخليفة، عَلِم به البشر أو لم يعلموا به، خفيت هويته عليهم أو علموا بها، استجابوا له أو لم يستجيبوا له، فإنَّه قادر على أن ينفذ في نظمهم ويؤثّر فيها وإن لم يستجيبوا له باسمه وبمعرفة هويته، فهذه إذن محطّة ووقفة قرآنية عظيمة جدّاً يجب أن ننتهل منها نهلاً نميراً عميقاً عذباً سائغاً، ويجب أن نلتفت إليها بجدّ.

وبعد هذا يصبح من السفه القول: إنَّه كيف جعله الله إماماً على البشر والبشر لا يعرفه؟ فنقول: من قال: إنَّ المقامات الإلهية والمناصب الإلهية تستدعي أن يعرف البشر صاحب المقام والمنصب بنعت المقام والمنصب؟ هاهنا النبيّ يوسف عليه السلام قد عاش وترعرع وجرى ما جرى وغاب عن ذويه وأهله قبل أن يبلغ، بدءاً من الجُبّ حيث رموه فيه، ثمّ ترعرع ونما، ومن ثَمَّ كان نبيّاً مرسلاً موعوداً ومنقذاً ومصلحاً ومنجي، وُعد في نعومة أظفاره وبداية حياته بالبشارة بالتمكين في الأرض، وقام بهذه الأدوار.

فهذه حقيقة قرآنية لا يستطيع أحد من المدارس الإسلاميّة الأخرى غير مدرسة أهل البيت أن تفسّر هذه الظاهرة وهذه الحقيقة القرآنية، أنظر كيف أنَّ ثوابت العقيدة الاعتقادية في مدرسة أهل البيت كلّها ذات شواهد، وتشاهد مع حقائق القرآن كلَّما ذكر حجج الله السابقين من الأنبياء والرسل والأئمّة، هي في الواقع عِظات وعِبر اعتقادية للأمّة الإسلاميّة في حقبة زمانها ولأئمّة زمانها وللخلفاء المنصوبين من قِبَل

الله ورسوله على المسلمين في زمنهم، فهذه محطّة عظيمة جداً ينبئنا بها القرآن الكريم وهي: أنَّ الغيبة لا تتنافى مع القيام بدور النبوّة ومسؤولياتها، ويضطلع بمسؤولياتها وبمهامها ووظائفها النبيّ مع كون الناس يجهلون نعته، بل يجهلون اسمه، ويعرفونه ربَّما باسم آخر، ومع ذلك يقوم بدوره.

أوَلم يقل النبيّ يوسف لصاحبيه في السجن: **﴿يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾** (يوسف: ٣٩ و٤٠)؟

أنظر إلى هذه الدروس التوحيدية الثبوتية، فليس الحكم في التشريع فقط، بل حتَّى في التدبير، حتَّى في التنفيذ، حتَّى في القضاء، هذا اللون من التوحيد وما مرَّ بنا ليس له وجود إلاَّ في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنَّهم يقودوننا إلى مؤدّيات وثوابت العقيدة الاعتقادية لمدرسة أهل البيت، إنَّ التدبير في الحكم القضائي صلاحيته أوّلاً لله حيث يشرف عليه الله تعالى، لا أنَّ الله عز وجل معزول عن الإشراف في القضاء التشريعي وفي نظام القضاء وفصل الخصومات وفي نظام التنفيذ والقوّة والسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية.

حاشا لله أن يكون معزولاً عن الإشراف والهيمنة، فالحكم لله حتَّى في حكومة الرسول والحاكم الثاني هو الرسول، هذه هي الدروس العقائدية لمدرسة أهل البيت، وهكذا في حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام فإنَّ الحاكم الأوّل في سلطة التشريع وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ هو الله عز وجل، والحاكم الثاني هو الرسول صلى الله عليه وآله، وإن انتقل إلى الدار الآخرة فإنَّه يشرف ويُطاع ممَّن بعده وهو أمير المؤمنين بما يتَّصل

بالعلم اللدنّي بالله ورسوله، وكذلك الحاكم الثالث في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام هو أمير المؤمنين.

فالحاكم الأوّل هو الله، ليس فقط على صعيد التشريع، بل حتّى على صعيد التنفيذ، ففي السلطة القضائية، وسلطة العسكر، وسلطة الثقافة، وسلطة الاقتصاد، وكذلك الإشراف والهيمنة على جميع التفاصيل الجزئية الخطيرة هي لله عز وجل، ويبلغ الله إرادته ومشيئته حتّى الجزئية التنفيذية التطبيقية لوليّه وخليفته في الأرض، وهذه الصلاحية التي هي لله في قولهم كما حكاه عنهم الله عز وجل بقوله: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا**﴾ (المائدة: ٦٤)، هيهاتَ، بل تنبسط وتشمل جميع السلطات، وكما يُحدّثنا القرآن الكريم في حكومة الرسول، أوَليست سيرة حكومة الرسول في القرآن مسطورة في منعطفات السياسة والحرب والسلم والقضاء، أوَلم يكن ينزل أمر إلهي خاصّ، وإن كان تشريعاً عامّاً أيضاً ولكنّه أيضاً تطبيق خاصّ، في موارد النزول إعمال الولاية من الله، وإرادة من الله لا من رسوله في تلك الموارد، هاهنا مثلاً ابدأوا حرباً مع المعتدين، وهاهنا اعقدوا صلحاً، وهكذا في موارد عديدة يتعرَّض لها القرآن الكريم حتّى في إقامة الحدود والعقوبات الجنائية. صحيح إنَّ مفاد تلك الآيات تشريع عامّ، لكن تطبيقه من الله عبارة عن تنفيذ خاصّ.

أنظر إلى هذا التوحيد الذي هو بلون مركّز وشديد وشمولي والذي لا يوجد إلاَّ في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، والذي يُنبئ عنه النبيّ يوسف في قوله تعالى على لسانه: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ (يوسف: ٤٠)، ليس فقط في التشريع، بل في كلّ مجالات الحكم.

وإذا نظرنا إلى مدارس بقيّة المسلمين نجد حاكمية الله تُزوى، لماذا؟

ذلك لأنَّهم لا يعتقدون أنَّ الإمام منصوب من الله عز وجل، ولا أنَّ هناك ارتباطاً بين فرد بشري معصوم وبين الله تتنزّل عليه الحكمة الإلهية والتدبير الإلهي.

● حجّية الإمام مع غيبة شخصه:

مرَّ بنا أنَّ القرآن الكريم في سورة يوسف يذكّر المسلمين والمؤمنين بأنَّ جهل البشرية بوجود النبيّ يوسف لم يزعزع ولم يزلزل عنوان نبوّته، ولم يبعده عن التصرف بمسؤولية الرسالة وبمسؤولية الإمامة، وأنَّه معدّ مصلحاً ومنقذاً بشرياً في تلك الحقبة.

وكلّ هذه المقامات كان يزاولها النبيّ يوسف في غيبته، ويقوم بتلك الأدوار الخطيرة في مسار البشرية التي تعصف بالنظام البشري، والتي ربَّما تؤدّي به إلى سحيق الهاوية، وهو ينتشلها ويقوم بهذا الدور الإلهي من دون أن يعرفوا نبوّته ولا رسالته ولا حجّيته، ولا كونه الموعود المُبشّر من قبل الله، ولا إمامته ولا كونه خليفة لله في أرضه، لكن ذلك لم يُبطل حجّيته ولا إمامته ولا نبوّته ولا رسالته كما أسلفن، ولم يكن هناك أيّ شرطية وأيّ توقّف بين معرفة الناس له بنعت الحجّة ونعت النبيّ ونعت الرسول بالنبوّة والرسالة والحجّية والإمامة والخلافة، وقيامه بتلك الأدوار من قبل الله تعالى.

● يوسف لا أحد يعرفه إلا أهله وذويه:

فالأمر هنا واضح، ففي حالة النبيّ يوسف نرى أنَّه لم يكن معروفاً إلاَّ لذويه وإخوته وأبيه النبيّ يعقوب، وإلاَّ فإنَّ أهل مصر وعزيزها وملكها، والبلدان المجاورة لم يعرفوا شخصاً بهذا الاسم، وبعبارة أخرى هناك الخفاء في النبيّ يوسف أشدّ ممَّا هو عليه الحال في الإمام المهدي،

الإمام المهدي يُعرف بشخصه الذي هو الثاني عشر من ذرّية النبيّ ﷺ من ولد علي وفاطمة (عليهم السلام)، وهو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام)، واعترف كثير من علماء المسلمين بولادته، ومنهم الذهبي في (تاريخ الإسلام) كما تقدَّم، وغيره من علماء الجمهور ممَّن اعترفوا وسلَّموا بولادته عليه السلام[1].

ويعرفونه باسمه وشخصه، وأنَّه المرشّح لأن يكون مصلحاً إلهي، وأنَّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهو الذي على يديه يظهر الدين على الأرجاء كافّة، والموعود ببشارة سيّد الأنبياء، يعرفون هذه المواصفات، ولكن لا يعرفونه بتشخّص وجوده، ولا يميّزون من هو المنعوت بهذه المواصفات، لذا كانت حال الإمام المهدي أهون في الخفاء، أمَّا في النبيّ يوسف كما يحدّثنا القرآن الكريم فإنَّ أهل مصر وكثيراً من البشر آنذاك كانوا يتعاطون مع النبيّ يوسف ومرتبطين به لكن لا يشعرون به، لا يعرفون الاسم حتَّى على مستوى النظرية، فضلاً على مستوى التطبيق، يعني ليس على مستوى الفكرة فضلاً عن مستوى تشخيص الفكرة على وجود خارجي، فالخفاء في ظاهرة النبيّ يوسف أشدّ، ومع ذلك لم تبطل نبوّة النبيّ يوسف وحجّيته وإمامته وخلافته ومُصلحيته.

فهذا درس اعتقادي عظيم يسطّره لنا القرآن الكريم في سورة يوسف، وليس لغواً ولا ثرثرة، بل عظَة وعبرة عقدية واعتقادية قبل أن تكون عبرة أخلاقية أو أدبية، ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى﴾ (يوسف: ١١١)، ليست هذه مفتريات، بل يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، هو قول الله عز وجل، فإنَّ هذا درس عقائدي عظيم يجابه به القرآن الكريم ويصدّ أُكذوبة المكذّبين بالإمام المهدي ودعواهم في المنافات بعدم شعور البشر بالارتباط وبالتالي تبطل حجّيته، فأيّ معنى لمثل هذه المقولة الزائفة؟

---

(١) الغيبة للطوسي: ٤٥٩/ ح٤٧١.

● عصمة الأنبياء والأولياء:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٤ و٥٥).

أنظر بماذا علَّل النبيّ يوسف إمامته في التدبير لذلك النظام، قال: **﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾**، يعني الأمانة العامّة التي هي بدرجة العصمة، والتي تعني العصمة العملية في درجاتها العالية، والعلم يعني العصمة العلمية، وهذا الذي تذهب إليه مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في أنَّ الإمام يجب أن يتوفَّر فيه شرطا العصمة العلمية والعصمة العملية.

البشرية تعيش الآن أزمة التنظير وتطبيق التنظير في العصمة العلمية، أزمة في تنظير النظام الاقتصادي العادل وأيّ نظام من النظم سواء النظام الرأسمالي أو النظام الشيوعي أو النظام الاشتراكي لم يؤمّن العدالة الكاملة، ولا زال التفاوت والفارق الطبقي الفاحش المجحف للبشرية موجوداً ومتمثّلاً بالفقر البشري، والنظام المصرفي الربوي لا زال يقصم ظهر البشرية، فالبشرية تحتاج إلى تزويدها علماً من السماء على مستوى التنظير، أي العصمة العلمية، والأمانة في التطبيق، وهي العصمة العملية.

وهنا النبيّ يوسف عليه السلام عندما يقول: **﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾**، تُثار حول قوله عدّة تساؤلات: فهل أنَّ علِم النبيّ يوسف هو تجريبي كسبي، أم علمه لدنّي؟ هل حفظ النبيّ يوسف عليه السلام للأمانة في التطبيق حفظ كسبه من رياضة، أم هو حفظ نابع من عصمته في العمل؟ قال تعالى: **﴿لَوْ لا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾**(يوسف: ٢٤)، إذن هو مخلص من قبل الله تعالى توجد

فيه العصمة العلمية والعملية، وهذا التعليم للنبيّ يوسف والتدبير في الأرض بماذا يُعبّر عنه النبيّ يوسف؟ يقول: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾، يعني بما هو عليه من مستوى درجة الحفظ والعلم، وهي العصمة العملية والعصمة العلمية، هذا الحفظ الخاص وهذا العلم الخاصّ في النبيّ يوسف هو الذي يؤهّله لإمامة الأرض ولإمامة البشر.

- **فرج بعد طول المحنة:**

﴿وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١)، هذا بيان وافٍ من القرآن الكريم حيث مكَّنه الله من القدرة، أنظر كيف يتدرَّج القرآن في تهيئة الأرضية له مهما طال الزمن: مكرهم بيوسف، وإلقاؤه في غيابت الجُبّ، ذلك المكر يجعله الله عز وجل تدبيراً في وصوله إلى البشارة الموعودة من كونه مصلحاً ومنجياً والذي بشَّر بها الله عز وجل النبيّ يوسف في رؤياه: **﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً...﴾**، فرغم كيد الكائدين وحسد الحاسدين ومكر الماكرين يجعل الله مكرهم تدبيراً له ويوصله إلى الوعد الموعود، وهذه عبرة من القرآن، لأن لا يفقد المؤمن والمسلم أمله بما وعد به القرآن، **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**(التوبة: ٣٣)، فنحن نشاهد قوى عظمى متسلّطة فنقول: أيّ إمام وعد به رسول الله، وأيّ وعد وعدنا به القرآن الكريم بقوله عز وجل: **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾** ونحن مغلوبون على أمرنا؟! كل، لا بدَّ من بقاء هذا الأمر؛ لأنَّ الله غالب على أمره، كما يبشّرنا بهذا الإمام الذي يقوم بإفشاء الصلح وإنشاء العدل والقسط (ليملأها قسطاً وعدلاً)، ويظهر دين جدّه.

نعم، يُمكّن الله له كما مكَّن ليوسف، وقد ضرب لنا القرآن مثلاً وعظة ودرساً ليتّعظ بها المسلمون، **﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾** (يوسف: ٥٧ و٥٨)، أنظر هذه المحطّة من سورة يوسف، يوسف عرف إخوته، لكنَّهم لا يعرفونه! أخوهم في الصغر لا يعرفونه في الكبر، إذا كان الحال في إخوة يوسف هكذا إذ تعاطوا مع يوسف ودبَّر شؤونهم وتأثّروا به وأثَّر فيهم، وقام بدوره ومسؤوليته فلم يشعروا به، فهل هذا يعدم وجوده؟ كل، فالقرآن الكريم ضرب لنا مثلاً عظيماً يريد به أن يبيّن لنا أنَّ أقرب المقرَّبين لذلك الحجّة الوليّ الغائب وهم إخوته قد رأوه في صغره ولكنَّهم لم يعرفوه في كبره، مثل عظيم جدَّاً يعرضه لنا القرآن الكريم، يقول: إنَّ إخوة يوسف كانوا عقلاء، كما جاء في لسان صادق آل محمّد لبيان هذه العبرة في السورة، قال عليه السلام:

«إنَّ في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف... إنَّ إخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلَّموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا إخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتَّى عرَّفهم نفسه، وقال لهم: (أَنَا يُوسُفُ)، فعرفوه حينئذٍ، فما تنكر هذه الأمّة المتحيّرة أن يكون الله عز وجل يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجّته عنهم، لقد كان يوسف النبيّ ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بَدْوِهِمْ إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحبَ هذا الأمر يتردَّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتَّى يأذن الله له أن يعرّفهم نفسه كما أذن

ليوسف حين قال له إخوته: ﴿أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾» (يوسف: ٩٠)[1].

إذن المهدي عليه السلام يتردَّد فيما بين الناس ويتصدّى للأحداث ولمصير البشرية ولا نعرفه حتَّى يأذن الله له أن يُعرِّف نفسه لنا، كما أذن ليوسف أن يعرِّف نفسه لإخوته.

تلك عِبَر، كلّ لقطة في هذه الآيات القرآنية تقول: إنَّ هناك عِظة وعبرة بالدرجة الأولى عقائدية واعتقادية، فتدبَّروا فيها.

● **الجهل بغياب الولي:**

إنَّ النبيّ يوسف رغم نبوّته ورسالته وإمامته وخلافته لله في الأرض، وكونه الموعود المصلح المنقذ المنجي، إلاَّ أنَّ من كان يحيط به لم يكن يعرفه لا بنعت النبوّة ولا بنعت الرسالة، ولا بنعت الإمامة ولا بنعت الخلافة، ولا بنعت الموعود والمصلح والمنقذ والمنجي للبشرية في تلك الحقبة، حتَّى أنَّهم كانوا يجهلون تلك النعوت على مستوى النظرية ويجهلونها على مستوى التطبيق، يعني لا يعرفون أنَّ هناك نبيّاً باسم يوسف، فضلاً عن أن يعرفوا أنَّ هذا الشخص الذي يتعاطى معهم ويدبّر عصب الحياة في النظام البشري آنذاك هو النبيّ يوسف، مع ذلك لم تبطل نبوّة النبيّ يوسف ولم تبطل حجّيته ولم يبطل دوره المضطلع به من المسؤولية الإلهية، وكان يتعاطى مع الأحداث المصيرية في تاريخ النظام البشري آنذاك ويتصدّى لها.

هذه وقفة قرآنية تستحقّ النظر جلياً وإمعان الفكر كثير، ولا نتابع هذه القصة وهذه الأحداث إلاَّ بعبر، يجب على قارئ القرآن الكريم أن

(١) كمال الدين: ٦٤٤. باب ٥٥/ ح٣.

يستشف من عدسة ومجهر القرآن الكريم بأنَّه حينما يُسلّط الضوء على زاوية من زوايا حياة النبيّ يوسف يجد أنَّه قد يكون غائب، ومع ذلك يقوم بدوره في غيبته ولا تعرفه الناس لا على مستوى النظرية ولا على مستوى التطبيق، يعني لا يعرفونه على مستوى الفكرة ولا يعرفونه على مستوى التعاطي الخارجي، ومع ذلك لا تبطل مناصبه ولا يبطل دوره ولا تبطل حجّيته، ولا ينحسر الناس عن ثمار دوره، بل ينفعهم من حيث لا يشعرون، لذلك نرى القرآن الكريم في بدء ظاهرة النبيّ يوسف عند بدء غيبته عبَّر بهذا التعبير وذلك عندما جعلوه في غيابت الجُبّ: **﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الجُبِّ وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾** (يوسف: ١٥)، يعني هو يشعر بهم ولا يشعرون به.

• حجاب ظلماني بين يوسف وإخوته:

﴿وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (يوسف: ٥٨)، هو إذن يعرف الناس لكنَّهم لا يعرفونه، لكن هذا لا يوجب عدم التعاطي مع دور النبيّ يوسف، فقد كان في صلب الحدث والتصدّي الفعلي وكان يتعاطى مع الناس ويرتبط بهم من دون أن يشعروا بهوية الذي يرتبطون به.

فلا انقطاع بين الناس وبين النبيّ يوسف في غيبته، لأنَّها غيبة شعور به، غيبة معرفة به، لا غيبة وجود، ولا غيبة دور، ولا غيبة التعاطي والارتباط معه، هذا هو المعنى الصحيح لغيبة الحجج وأولياء الله تعالى، وهذا هو من أوّليات البرنامج الأمني الإلهي، وقد أصبح ذلك متّبعاً أيضاً حتَّى في البرامج الأمنية لنظم الدول الحديثة.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (يوسف: ٥٩)، أنظر كيف هو يعرف أمورهم وأحوالهم ومع ذلك هم لا يفطنون لذلك، هذا الحجاب من الله عز وجل حجاب العلم لا حجاب الوجود، الحجاب الذي يُضرب على وليّ الله الغائب، سواء النبيّ يوسف في غيبته أو النبيّ موسى في غيبته، ليس حجاب عدم رؤية جسمه ووجوده ودوره، بل هو حجاب عن معرفته، وحجاب عن هويته، فهو حجاب العلم (الحجاب الذي يمنعهم من العلم به ويمنعهم عن معرفته أو الشعور به) لا الاحتجاب عن أصل وجوده.

● **اللقاء بين يوسف عليه السلام وأخيه:**

﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، فانظر كم بلغ من الرتبة وموقعية التأثير وهو في مقام من الفضل والرفعة البشرية ومع ذلك لا يعرفوه بهويته، ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾، بعد ذلك يحدّثنا القرآن الكريم فيقول: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾ (يوسف: ٥٩-٦٢)، أنظر إلى ذلك التدبير، فإنّه يوصل الخير للبشر من دون أن يشعروا به، من دون أن يعرفوا ممَّن وصلهم، كما قيل: (أبى الله أن يجري الأمور إلاَّ بأسبابها)، و(إذا أراد الله شيئاً هيَّأ أسبابه)، فوصول الخيرات للناس له أسباب، وسُنّة الله اقتضت بأن تجري هذه الخيرات عبر الأسباب التي وضعها الله، ومن ضمن تلك الأسباب شبكة وليّ الله في غيبته، حيث يوصل الخيرات للناس عبرها من دون أن يشعروا ممَّن وصلهم هذا الخير، مع أنَّ الرزق والخير كلّه من الله، لكن الله جعل لتلك الخيرات ووصولها قنوات وأسباب، كما جعل المطر والماء لإحياء الأرض، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠)، فأصل الخير كلّه من الله عز وجل، ولكن الله يجري الخير على أيدي أوليائه.

ثمّ يأتي قوله تعالى: **﴿اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِي رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾** (يوسف: ٦٢ و٦٣)، إلى أن جاذبوا أباهم يعقوب لأخذ شقيق يوسف من أُمّه، بعد ذلك توصية النبيّ يعقوب بأن لا يدخلوا من باب واحد: **﴿وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**(يوسف: ٦٧)، ثمّ تواصل الآيات: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(يوسف: ٦٩)، قد يكون هنا نوع من رفع لستار الغيبة النسبي، يعني قد يتشرَّف بعض المؤمنين بمن هو غائب، فالنبيّ يوسف كان غائباً عن أبيه وعن إخوته وعن كلّ أهل مصر وعن كلّ من يحيط به، وممَّن يأتمر بتدبيره وقيادته، ولكنَّه رفع ستار الغيبة فقط عن أخيه، فتشرّف أخوه بعد رفع الستار عنه، وهذا ممَّا قد وقع طبعاً لجملة من علمائنا الأعلام والأبرار والأخيار الصالحين[1]، فتشرفوا بلقاء ولي الله الأعظم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

• معنى التشرّف برؤية الإمام الغائب عليه السلام:

تتعرَّض الآية القرآنية في سورة يوسف إلى ستار الغيبة للنبيّ يوسف باعتبار أنَّ موقعية الموعود المصلح ومقامه فرض عليه أن يغيب حتَّى عن

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٨.

أبيه، ويختفي عنه اختفاء علم في تلك البرهة من الغيبة، وقد أذن الله للنبيّ يوسف أن يشرّف أخاه بمعرفته فقط، ممَّا يدلُّ على أنَّ في السُنّة الإلهية يمكن أن يؤذن لوليّ الله وللإمام ولحجّة الله الغائب في تعريف شخصه إلى البعض، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ**﴾، وهذا الإعلام بأنَّه يوسف الغائب الموعود وكونه المصلح المنجي المنقذ الذي كان من قِبَل النبيّ يوسف، إنَّما هو ممَّا أذن الله له، ولم يكن بمعرفة سابقة، وإنَّما تشرّف، ﴿**قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (يوسف: ٦٩). وهذا التشرّف حصل لأخيه من دون بقيّة الناس، حتَّى من دون النبيّ يعقوب عليه السلام.

• لا وسائط بين الولي الغائب وبقية البشر:

من الواضح التشرّف لبعض المؤمنين أو لبعض العلماء والصالحين لا يدوم، وإنَّما يكون مقدار لقاء وفترة وجيزة، فهل هذا بالنسبة إلى بقيّة الناس له مؤدّى اعتبار وحجّية كأن يقوم بدعوى الوساطة مثلاً بين وليّ الله الغائب وبين بقيّة الناس؟

كلا، فهذا الأمر منفي، يعني لا حجّية ولا موقعية وساطة بين وليّ الله الغائب وبين بقيّة البشر لأنَّ سُنّة الله جرت، -كما حدَّثتنا الآيات القرآنية عن غيبة حجج الله وأكَّدت عليها روايات أهل البيت حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام- من نفي أيّ صلاحية سفارة أو وساطة أو تمثيل أو نيابة خاصّة، لأنَّ هذه الغيبة ستارها الأمني مستفحل، وهذه الوساطة من وإلى الحجّة لا يدّعيها إلاَّ مفترٍ كذّاب، لأنَّه لا يُخوّل لتلك الموقعية أحد، لاسيّما بعد تصرّم الغيبة الصغرى ودخولنا في الغيبة الكبرى إلى أن يأذن الله بالظهور، والآيات القرآنية في تجويز هذا التشرّف ليس نطاقها إلاَّ إمكان حصول التشرّف، أمَّا أن يكون للمتشرّف برؤية الغائب

دور الوساطة فهذا ممَّا لا تثبته الآيات القرآنية، بل وينفيه متواتر روايات أهل البيت عليهم السلام في أنَّ من ادّعى الرؤية في زمن الغيبة الكبرى فهو كذّاب مفتر[1]، والمقصود من الرؤية ليس أصل التشرّف المقصود لكن الذي يدّعي الرؤية يريد أن يدّعي الوساطة، ويريد أن يدّعي أنَّه جسر، أو أنَّه سفير، أو أنَّه نائب خاصّ، وما شابه ذلك. فهذه كلّها دعاوى وأكاذيب ليس أمامها إلاَّ الأدلّة المبطلة لها.

﴿**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ**﴾ (يوسف: ٧٠)، وهنا محطّة لطيفة أخرى أيضاً: ﴿**ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ (يوسف: ٧٠ -٧٦).

● التدبير الإلهي للولي الغائب:

أنظر كيف يكرّر القرآن المرّة بعد الأخرى الإشارة إلى التدبير الأمني الذي يودعه الله لوليّه الغائب والذي هو أرقى من تدبير نظم البشر، فقد تكون تلك النظم فائقة القدرة أمنياً وتدبيرياً وإدارياً وإحاطة بالمعلومات وبالأحداث وبتداعياته، إلاَّ أنَّها تبقى دون مستوى التدبير الإلهي، هذا ما يؤكّده القرآن، حيث يسدّد الله عز وجل وليّه الغائب في

(١) راجع ما ورد من حديث الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر، بطوله في: مختصر بصائر الدرجات: ١٧٩-١٨٣، بحار الأنوار ٥٣: ١٤.

تصرفه بالمسؤولية وضمان حراسة تدبيره وأدائه لمسؤولية الحجّة، ليكون مصلحاً ومنقذاً للبشرية في غيبته وفي ظهوره، فالتدبير الإلهي نافذ ثابت لا تصل إليه علمية البشر ولا إحاطتهم، لذلك يُعبّر القرآن الكريم: **﴿كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾**(يوسف: ٧٦).

إذن لا يمكن التساؤل أنّه كيف يقوم إمام غائب بأدواره ونحن لا نلمسها؟ فها هي القوى العظمى مع امتلاكها أحدث التقنيات من أقمار صناعية وأشعة فوق البنفسجية، تحت الحمراء وأجهزة تجسّس وتنصّت وشبكات من الغرف والدوائر الأمنية المافيوية العجيبة الداهية الدهياء لا تعرف أين موطنه ولا تقف على وجوده.

وقوله عز وجل: **﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾** (يوسف: ٧٦)، أي إنَّ الله تعالى يرفعه في درجة التدبير وفي درجة الإدارة وفي درجة الحيطة الأمنية، بحيث لا تصل إليه البشرية، فهي أنظمة فائقة على قدرات وتصوّر وتطوّر البشر.

هنا القرآن الكريم يؤكّد على أنَّ درجات العلم لا تقف عند حدّ، وأنَّ ما لا يعلمه الناس لا يُسوغ لهم إنكاره، كيف والله عز وجل عنده ما لا يتناهى مع درجة العلم والتدبير والنظم، كيف ينكرون ويكذّبون ما يجهلون، شأنهم شأن من كان قبلهم من الأمم السابقة من إنكار أنبيائهم، والحال أنَّ الإنسان يجب عليه أن يتثبَّت عندما لا يعلم بشيء، فهناك نظم وتدبيرات أمنية واقتصادية وإدارية وقيادية لإدارة البشر من دون أن تصل إليها قافلة العلم البشري، لكن مع ذلك يزوّد الله بها أولياءه.

● **عرض الأعمال على وليّ الله:**

قال تعالى: **﴿قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ﴾** (يوسف: ٧٧)، إذن يتفاعل وليّ الله الغائب في غيبته وحجّته ودوره محوري مع الأمور والأحداث فقد يصله ما يحزنه وما يفرحه، ولا يُعتقد أنَّه قاصي متفرّج لا يتفاعل مع الأحداث ولا يتأثّر بها سلباً وإيجاباً، فقد ورد الخبر بأنَّ أعمالنا تُعرض على رسول الله ﷺ فيحزنه إذا رآى اقتراف الطالح منه، ويسرّه إذا رأى الصالح منه، فكيف بوليّ الله الحيّ، أي في دار الدنيا، وإلاَّ رسول الله ﷺ حيّ عند ربّه، فالحال هنا كذلك.

وقوله تعالى: **﴿فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾**، إي إنَّ نبيّ الله ووليّ الله الإمام والخليفة في غيبته يتفاعل مع الأحداث، يتأثّر ويؤثّر، لا أنَّه بعيد غارب عازب عن الأمور، حاشا لوليّ الله أن يكون كذلك.

● **الغيبة والتدبير الإلهي:**

بما أنَّ تدبير الله عز وجل يفوق تدبير البشر، حيث إنَّه تعالى يزوّد البشر بالعلم والإحساس والشعور والإدراك، فخالق الإدراك والإحساس والشعور يحيط بتلك الأمور بما لا تحيطه يد البشر، ومن هذا المنطلق فإنَّ التدبير الإلهي ومن خلال رجال الغيب يقوم بإصلاح وإدارة البشر في ظلّ ستار غيبة الشعور بهم وستار حجاب العلم بهم من دون أن يكون هناك ستار عن أصل وجود الحاضر، فالإمام يتعاطى الحدث وإدارة وتدبير البشر والنظام البشري، وهو معنا من دون علم أو معرفة به لكن بهويته وبكيفية دوره، هذا الأمر يؤكّد عليه القرآن دائماً كما مرَّ بنا في سورة القصص وسور أخرى حول ظاهرة النبيّ موسى، وكذلك في سورة النبيّ يوسف **﴿وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ**

تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١)، فأكثر الناس لا يعلمون بكيفية غلبة الله في تدبير الأمور ويقيسون قدرة الله بقدرتهم، أو قدرتهم بقدرة الله، ومن ثَمَّ يجهلون، ومن ثَمَّ ينكرون، ومن ثَمَّ يكذّبون بآيات الله وبحججه، وهذا أمر يجب أن يتوقَّف عنده المسلمون وأن لا يسارعوا إلى الإنكار بمجرَّد إثارة بعض الجاهلين لقدرات الله وآياته.

بعد ذلك تواصل سورة يوسف قصّ حدث غيبة النبيّ يوسف عندما استخلص أخاه، وأذن في أن يتعرَّف عليه دون بقيّة الناس حتَّى أبيه النبيّ يعقوب، **﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا﴾**، أي إخوة يوسف من أخذ أخيهم الذي كان معهم، الذي هو شقيق يوسف **﴿خَلَصُوا نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** (يوسف: ٧٩ - ٨٣).

- **النبيّ يعقوب لم ييأس من روح الله:**

أنظر هذا المقطع في ظاهرة غيبة النبيّ يوسف الذي يسجّله لنا القرآن الكريم في موقف النبيّ يعقوب، وهو أنَّ النبيّ يعقوب لم ييأس من روح الله، عن ظهور المصلح المنجي المنقذ الموعود وهو ابنه، رغم طول الغيبة، رغم يأس إخوته وذويه وأهله، ويأس الناس ممَّن يعرفونه

فضلاً عمَّن لم يعرفه ويجهل أمره، أنَّه سيظهر ويكون له موقعية الإصلاح في الأرض في تلك الحقبة الزمنية، فهذا درس اعتقادي وعقدي يسطّره لنا القرآن الكريم بأنَّه مهما طالت غيبة وليّ الله المصلح الموعود لإنقاذ البشرية لا يدعو ذلك المؤمن والمسلم لليأس من روح الله **﴿إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾** (يوسف: ٨٧)، **﴿قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ﴾** (يوسف: ٨٣ و٨٤)، بعد ذلك في آية أخرى يقول: **﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾** (يوسف: ٨٧).

• طول الغيبة مدعاة لليأس عند ضعاف القلوب:

في هذه السورة محطّة أخرى مهمّة وهي أنَّ تطاول غيبة وليّ الله الموعود بالبشارة لكونه مصلحاً ومنقذاً للبشرية، هذا التطاول في الغيبة مدعاة لليأس عند ضعاف الإيمان أو ضعاف العقول التي لا تدرك مدى قدرة الله، ولا تستيقن بحقيقة المعرفة والإدراك من أنَّ الله غالب على أمره مهما تطاولت الدهور والعصور، فيحصل لهم اليأس، لذا تؤكّد هذه الآية أنَّه من عظائم الإيمان الانتظار والأمل بمجيء الفرج، لأنَّ اليأس من روح الله جعل في لسان هذه الآية على لسان النبيّ يعقوب في مصاف الكافرين، فإذن تطاول المدّة لا يعني بأنَّ الله عز وجل في تدبيره على يد وليّه الغائب جعل الأمور أو الحبل على الغارب، بل كلَّما كان هنالك تدبير كانت هناك خطوات متناسقة متّسقة لا يطلع الله عباده على تدبيره ولا على تنسيقه، ونحن نشاهد في هذه الأزمنة الآن أنَّ البشرية ترفع وتنادي بشعارات وأدبيات لا تنسجم مع الإنجيل المحرّف،

ولا تنسجم مع التوراة المحرَّفة، ولا تنسجم مع البوذية ولا تنسجم مع الفلسفة المادّية الرأسمالية، وإنَّما تنسجم مع قوانين وعقائد الإسلام، لاسيّما من رؤية مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فالنظام العالمي الواحد يعني أنَّ البشرية تتساوى في الحقوق، وأنَّ العدالة يجب أن تعمّ البشر، وأنَّ الحرّية يجب أن تكون عميمة في سائر أرجاء الأرض، وهذه في الواقع ثوابت العقيدة المهدوية أصلاً، والرؤية والعقيدة بالإمام المهدي أنَّه يؤسّس نظاماً عالمياً واحداً تستوي فيه حقوق الناس لا يحكمه العرق ولا القومية ولا أيّ شيء آخر يكون موجباً للتفريق بين البشر (يملأها قسطاً وعدلاً)، أنظر هذه الأدبية، فهي من أربعة عشر قرناً يردّدها المسلمون في رواياتهم حول المهدي عليه السلام.

لأنَّ انتظار الفرج يحمل في طيّاته تمام الاعتقاد بقدرة الله عز وجل وبغابر تدبيره وثاقب أمره، ونافذ قضائه الذي لا يحيط به البشر، في الحقيقة يعني نوعاً من التعايش التوحيدي لقدرة الله تعالى، أمَّا الذي يكذّب وينكر تدبير وجود وليّ الله عليه السلام وأنَّه في كبد الحدث والتصدّي لهذه الأدوار، وأنَّ الله سيظهره في حلقة نهائية، فهو انقطاع عن الحالة التوحيدية بالدرجة المشبعة التي يتعايش بها قلب الإنسان.

إنَّ الإنسان إذا استطاع أن يتعايش مع جوّ توحيدي مفعم كما تعبّر عنه وتربّينا عليه هذه الآيات الكريمة في ظاهرة غيبة النبيّ يوسف، كقوله تعالى: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** (يوسف: ٨٣)، وقوله: **﴿إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (٨٦) يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾** (يوسف: ٨٦ -٨٧).

فهذه محطّة مهمّة توجب على الأمّة أن لا تيأس ولا يصيبها الهوان إذا غاب عنها وليّها، بل مهما طالت غيبة حجج الله المبشَّرين بأنَّهم سيكونون المصلحين والمنقذين للبشر، لأنَّ غيبتهم غيبة الشعور بهم، غيبة المعرفة بهم، سواء قصرت هذه الغيبة أم طالت فلا بدَّ أن يأتي ذلك اليوم الذي يأخذ به الأولياء المغيَّبون دورهم الطبيعي العلني وبشكل شامل يعمّ البشرية.

هذه وقفة مهمّة في غيبة النبيّ يوسف يعظنا بها القرآن الكريم، وهي غيبة عقائدية وممارسة أخلاقية وأدبية هامّة جدًّا، وأيضاً الآيات الأخرى، يقول تعالى: **﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ﴾** (يوسف: ٨٤ و٨٥)، يخاطبون يعقوب ألا زلت إلى الآن تذكر يوسف الموعود؟ إلى الآن متعلّق قلبك بهذا الغائب المبشّر بأن يكون مصلحاً وموعوداً وممكّناً في الأرض؟ إلى الآن مع طول هذه المدّة؟ هذا أمر مهمّ يجب أن نلتفت إليه، حيث قصَّ لنا القرآن الكريم موقف النبيّ يعقوب: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾**.

• وظيفة المؤمن تجاه حجة الله الغائب:

﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾، كما يعلّمنا النبيّ يعقوب عليه السلام وظيفة المؤمن تجاه حجّة الله الغائب، ووليّ الله الموعود بأنَّه المصلح المنقذ للبشرية، لا بدَّ أن تكون هناك شدّة تعلّق وشدّة تذكّر وشدّة ندبة للحقّ والإيمان لأنَّ هذا الإيمان بوليّ الله الغائب ومعرفتنا به لا يبقى ولا يستمرّ إلاَّ في ظلّ التشديد والتركيز من التعلّق والأمل،

لذلك نرى هنا الآيات الكريمة تركّز على هذه النقطة من مواقف النبيّ يعقوب عليه السلام في ظلّ غيبة النبيّ يوسف، وهنا يعلّمنا القرآن الكريم الموقف تجاه وليّ الله الغائب ومعرفتنا به، الغائب شعورنا به وبهويته، أنَّه لا يدعونَّكم ذلك إلى الانقطاع والفتور عن ذكره والتعلّق به والدعاء له بالفرج، فلا بدَّ من كلّ ذلك، فقد ورد عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام دعاء الندبة الذي يستحبّ قراءته كلّ جمعة، بل كلّ عيد، بل كلّ يوم، لماذا؟ لأنَّ الندبة دعاء وشكوى وتعلّق. وإذا كان لكلّ إمام من الأئمّة عليهم السلام مجلس عزاء لما انتابه من مصائب وقتل وظلم وتشريد وأنواع المصائب، فإنَّ مجلس مصاب الحجّة عليه السلام هو شدّة معاناة الغيبة، فدعاء الندبة يحمل عدّة معانٍ في طيّاته، فهو مجلس عزاء لهذه المصائب التي ابتلي بها إمامنا المهدي الحجّة ابن الحسن عليه السلام، فيجب أن نقيم مثل هذا العزاء في الواقع.

● **نهاية الغيبة وبداية الظهور المعلن:**

بعد ذلك تتواصل ظاهرة النبيّ يوسف، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (يوسف: ٨٨-٩٠)، هذه المحطّة من ظاهرة النبيّ يوسف التي هي نهاية الغيبة وبداية الظهور المعلن واكبت مرفقاً مهمّاً جرى بين النبيّ يوسف وإخوته والملأ العامّ، حيث إنَّ النبيّ يوسف استهلَّ ظهوره وابتدأه بتذكير إخوته بالذي جرى منهم من قبل، هذا التعبير يشابه ما ورد في الروايات عن ظهور المهدي عليه السلام، حيث يذكّر الأمّة بما

قد جرى على سيّد الشهداء وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من ظلامات وجرائم ونهب حقوق وجرأة على مقامهم ودفعهم عن المقامات التي رتَّبها الله لهم، واستعراض لمصائب وظلامات أهل البيت عليهم السلام. كما جاء في دعاء الندبة

«مجتمعةٌ على قطيعةِ رحِمِه وإقصاءِ ولدِهِ إلا القليل ممن وفى لرِعايةِ الحق فيهم ، فقتِل من قتِل، وسبِي من سبِي وقصِي من قصِي وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبةِ، إذ كانتِ الأرض للهِ يورثِها من يشاء مِن عبادِهِ و العاقِبة لِلمتقين، و سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، و لن يخلِف الله وعده و هو العزيز الحكيم.

فعلى الاطائبِ مِن أهلِ بيتِ محمدٍ وعلِي صلى الله عليهما وآلِهما فليبكِ الباكون، وإياهم فليندبِ النادبون، ولِمثلِهم فلتذرِفِ (فلتَدرِ) الدموع، وليصرخِ الصارِخون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون، أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسينِ، صالحٌ بعد صالحٍ، وصادقٌ بعد صادقٍ، أين السبيل بعد السبيلِ، أين الخِيرة بعد الخِيرةِ، أين الشموس الطالِعة، أين الأقمار المنيرة، أين الانجم الزاهِرة، أين أعلام الدينِ وقواعِد العِلمِ، أين بقِية اللهِ التي لا تخلو مِن العِترةِ الهادِيةِ، أين المعد لِقطعِ دابِرِ الظلمةِ، أين المنتظر لإقامةِ الامتِ ولعِوجِ، أين المرتجى لإزالةِ الجورِ والعدوانِ، أين المدخر لِتجديدِ الفرآئِضِ والسننِ، أين المتخير لإعادةِ المِلةِ والشريعةِ، أين المؤمل لاحياءِ الكِتابِ وحدودِهِ ، أين محيي معالِمِ الدينِ وأهلِهِ، أين قاصِم شوكةِ المعتدين، أين هادِم أبنِيةِ الشركِ والنفاقِ، أين مبيد أهلِ الفسوقِ والعِصيانِ والطغيانِ، أين حاصِد فروعِ الغي والشقاقِ (النِفاقِ)، أين طامِس آثارِ الزيغِ والأهواءِ، أين قاطِع حبائِلِ الكِذبِ (الكذِبِ) والافتِراءِ، أين مبيد العتاةِ والمردةِ».

هذا الواقع يسطّره لنا القرآن الكريم عن يوسف وعن الإمام المهدي، وما ورد في الروايات هو نوع من بيان أنَّ الاستحقاقات تستوفى في ظلّ ظهور المصلح المنجي المنقذ.

﴿قالُوا أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾، فهم لم يكونوا ليعرفوا أنَّه يوسف، رغم تعاطيهم معه ومداولة الحديث معه وتأثّرهم بتدبيره ودوره العصيب الخطير المهمّ، ومع ذلك لم يكونوا ليعرفوه لولا أن عرَّفهم هو بنفسه وبشخصيته وهويته، فكانت غيبة ظهور لشخصيته، غيبة ظهور لهويته، بالنسبة إليهم هو حاضر بين أيديهم يمارس دوره، لكنَّهم لم يكونوا يعرفونه، فهويته لهم كانت غائبة.

نلاحظ أنَّهم ابتدأوا: **﴿أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ﴾**، فإنَّ بداهة حضور النبيّ يوسف الغائب عليهم أكثر بياناً ووضوحاً وبداهة لهم ممَّا يحملونه من مرتكزات سابقة، ممَّا يدلّل على أنَّ مثل هذه الغيبة في الحضور هي بنحو واضح بيّن فاعل مع كلّ الأمور، غاية الأمر تطبيقهم لمن هو حاضر لهم ومتفاعل معهم وهم متفاعلون مع ما يحملونه من اعتقاد نظري، هذا الانفراج بالمعرفة لا يحصل إلاَّ عند الظهور، فهنا وصل المطاف إلى إعلان ظهور النبيّ يوسف عليه السلام، وظهوره كما نشاهده تدريجي، حيث إنَّ أوّل ما بدأ ظهور النبيّ يوسف كان في دائرة إخوته الحاضرين من الملأ من البشر عنده في مصر، ثمّ بعد ذلك توسع هذا الظهور وتسامع به الناس ومن ثَمَّ أبوه النبيّ يعقوب، وهذا يدلُّ على أنَّ الغيبة كما كانت في النبيّ يوسف تدريجية كذلك يكون ظهوره تدريجي، وهنا جاء تعبير النبيّ يوسف عليه السلام في الصبر على طول مدّة الاضطهاد فإنَّ أجره عند الله تعالى لن يضيع، **﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا**

لخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٠-٩٢)، وهذا ما قد قاله سيّد الرسل عندما فتح مكّة، نعم كان منه الصفح والعفو، وهذا ما سيكون عليه الإمام المهدي عليه السلام إذ يسير بسيرة جدّه المصطفى في العفو، ومن أصرَّ من الأعداء المعاندين في اللجاج والخصومة فتكون سيرته معهم بشكل آخر، وإلاَّ فالأصل في سيرة المهدي عليه السلام أنَّه يسير بسيرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان قد ورد أنَّ المصطفى بُعث رحمة والمهدي بُعث نقمة[1]، فالمقصود من ذلك أنَّه يسير بسيرة جدّه يعفو ويصفح، لكن من يركب رأسه اللجاج والعناد ينتقم منه ولا يكون له مهلة كما قد كان في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- **الأسباب الملكوتية:**

قال تعالى: **﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (يوسف: ٩٣)، يبيّن القرآن الكريم هنا أيضاً أنَّ النبيّ يوسف وأولياء الله يقومون بتدبير أدوارهم في جملة من المواقع بالأسباب الطبيعية، لكنَّه بتدبير نظمي ربّاني يفوق وعي البشر وعلمهم، ولكنَّه بأسباب طبيعية وبأسباب مجريات كما قيل: (أبى الله أن يجري الأمور إلاَّ بأسبابها)، ولكن لهم أيضاً في جملة تدبيرهم من الأسباب الخفية أو ربَّما يطلق عليها بأسباب الملكوت، فهنا ليست بمقام الإعجاز أو في مقام الاحتجاج، بل هي كرامة، لكنَّها كرامة تدبيرية في أدوار النبيّ يوسف خارجة عن ظاهر الأسباب الطبيعية.

---

(١) من ذلك ما ورد في الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إذا تمنى أحدكم فليتمنه في عافية، فإن الله بعث محمداً (ص) رحمة، ويبعث القائم نقمة». (الكافي ٨: ٢٣٣/ ح٣٠٦.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف: ٩٤)، يستعظم أكثر من يعتمد على الحسّ والمادة مثل هذه الظواهر أو يتنكَّر لمثل هذه الموارد، وربَّما يصعب عليه الإذعان به، **﴿قالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جاءَ﴾** (يوسف: ٩٥ و٩٦)، لاحظ أنَّه لا زال الذين يستهزئون بالانتظار للفرج في خصومتهم ومشادتهم ومواجهتهم لعقيدة الانتظار للفرج التي كان رسَّخها وسنَّها النبيّ يعقوب، عقيدة الانتظار والأمل بوليّ الله المصلح الغائب ظهوراً وليس الغائب حضور، فهم يعتبرونه ضلالاً، وهذه دروس قرآنية عظيمة تعطى للمؤمنين. مفادها أنَّ رغم استهزاء وتهريج المكذّبين والمنكرين لآيات الله ولحقائق القرآن في وجود المصلح المنقذ المنجي للبشرية الذي **﴿يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾**، هذا الوعد الإلهي والإيمان به لا يزلزله ذلك التهريج وذلك الاستنكار وتلك الخصومة وتلك المعاداة عن هذه العقيدة القرآنية بظهور المصلح المنجي المنقذ الموعود الذي يملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

• تذكير المنتظرين للفرج:

﴿فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٩٦)، هذا تذكير المنتظرين للفرج بظهور الوليّ المصلح الحجّة لأولئك الناكرين الجاحدين المستهزئين، **﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾**، هنا يأتي دور إخفاق المكذّبين، **﴿قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ (٩٧) قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ﴾** التي هي البشارة بالتمكين

والظهور بعد الغيبة والتمكين لإصلاح الأرض من الفساد الذي كان ربَّما يعصف بالبشرية لولا تدبير النبيّ يوسف عليه السلام، **﴿مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** (يوسف: ٩٧ -١٠١).

الآيات الكريمة تواصل أخذ العبر من ظاهرة النبيّ يوسف وتأتي إلى هذا المقطع: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** (يوسف: ١٠٩)، تطرح آخر الآيات من سورة النبيّ يوسف مقطعاً مهمّاً جدّاً وهو: **﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾**، أنظر السُنّة الإلهية أنَّه قد يطول الأمد في تحقيق الأمل الإلهي الموعود، ولكن لا يوجب ذلك الأياس ولا اليأس من روح الله، لماذا؟ لأنَّه في النهاية **﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ﴾** إذا انقطعت القدرة البشرية يكون هناك رحمة من الله عز وجل.

• الأمل الموعود من عند الله:

مجمل سيرة النبيّ يوسف وظاهرة المصلح المنجي الذي غاب في بدء حياته وترعرع إلى أن ظهر للتمكّن في الأرض، تريد أن تعطي هذا الدرس، وهو أنَّ الأمل الموعود من قِبَل الله في بشائره، كما هو بشارة لهذه الأمّة الإسلاميّة أن يظهر هذا الدين على الكرة الأرضية كافّة، ولن يتحقَّق هذا الوعد على يد أحدٍ غير أهل البيت، حيث إنَّ الدين بدأ بأهل البيت عليهم السلام بالنبيّ ونصرة علي، وتدبير النبيّ وابن عمّه

علي، بهم بدأ الإسلام وبهم يختم، هذا الوعد الإلهي لأن يظهر دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون مهما طال الأمد، هذه سُنّة يريد أن يركّز مفهومَها القرآن الكريم في مجمل سيرة النبيّ يوسف، من ظاهرة غيبة المصلح وظهوره بعد ذلك، ثمّ بعد ذلك عند الظهور يأتي كلّ البأس الإلهي على المجرمين المعاندين المكابرين المكذّبين المفسدين الظالمين، يأتي البأس الإلهي ويطهّر الأرض من بأسهم ويعمّ ربوعها الإصلاحُ العدل والقسط، فهذه سُنّة إلهية إذن، وما دام الإنسان يؤمن بالله لا ييأس من روح الله، وأنَّ الإيمان بالفرج وبالأمل الموعود وبالبشارة الإلهية هو من الإيمان بالله تعالى، وبالإيمان بصدق قول الله وصدق وعده، فهذه سُنّة مهمّة يؤكّدها القرآن الكريم في غياب المصلحين الموعود بظهورهم، والمبشّر بإصلاحهم للأرض وإنقاذهم البشرية، أن يكون الإيمان بهم في امتداد الإيمان بقول الله ووعده ونصره، فهذا إذن من ثوابت وأركان الإيمان بما كان يؤكّده القرآن الكريم.

• لقد كان في قصصهم عبرة :

إنَّ هذه الآية الأخيرة في هذه السورة ليست مخصوصة بهذه السورة، بل هي من الآيات المحكمات كقاعدة عامّة وكأصل عامّ قرآني في كلّ القرآن في قصص وسنن الله في أنبيائه: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾** (يوسف: ١١١)، لا ثرثرة ولا دعابة ولا أساطير، وإنَّما عبرة وعبر عقائدية في الأصول وليست عبر في الفروع لأنَّ الشرائع ينسخ بعضها البعض، ولكن ليس ذلك في العقائد، ومجمل ما ذكر من الإيمان بالمصلح وغيبته ثمّ ظهوره محطّات عقائدية، **﴿لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾**، هذه العقيدة عقيدة المصلح والبشارة الإلهية بإظهار الدين على الدين كلّه على أرجاء الكرة الأرضية كافّة، هذه

العقيدة التي بشَّركم بها القرآن الكريم اتَّعظوا بها ممَّا قد جرى من البشارة الإلهية للنبيّ يوسف، لأنَّه غاب وظهر وحقَّق ذلك الأمل والبشارة الإلهية، ففيها تفصيل: ﴿**لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ (يوسف: ٧)، وهذا التعبير أيضاً: ﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (يوسف: ١١١).

• الظواهر القرآنية وسنن الله عز وجل في الغيبة:

هنا ظواهر قرآنية أخرى دالّة على ظاهرة غياب حجج الله، وهي كما أكَّدنا سابقاً غياب ظهور لا غياب حضور، وهم يظهرون بعد مضي أمد مقدَّر من الله عز وجل، إنَّ ما استعرضه القرآن من ظواهر عديدة، ركَّز على جانب من جوانب الحجج الموعودين بالظهور وإنقاذ البشرية، وإحدى الزوايا المهمّة التي تركّز عليها العدسة القرآنية هي ظاهرة غيبتهم وقيامهم بالأدوار في ظلّ الغيبة، الأدوار الخطيرة العصيبة المهمّة في مصير البشرية، رغم عدم معرفة البشرية بهويتهم، وبعد ذلك يصل قدر الله المقدور حين أوان ظهورهم.

• غيبة المهدي من السنن الإلهية :

نعم هذه الظواهر التي يستعرضها القرآن ما يزال يركّز عليها، ممَّا يدلّل على أنَّ الظاهرة المهدوية والغيبة -غيبة المهدي في هذه الأمّة- من السنن الإلهية المهمّة التي تحدث في هذه الأمّة على نسق ووتيرة ما حدث من هذه السُنّة الإلهية في الأمم السابقة، فحينئذٍ ليس من المصادفة وليس من عدم الحسبان في التقدير الإلهي أن يكرّر ويركّز في السور القرآنية العديدة على هذه الظاهرة - ظاهرة غيبة الحجج- لاسيّما المبشّرين الموعودين بالظهور، وأنَّهم في ظلّ هذه الغيبة يقومون بأدوار ثمّ يظهرون، هذا التركيز من القرآن الكريم ليس مصادفة، بل

عبرة كما مرَّ بنا في قوله تعالى في آخر سورة يوسف عندما استعرض القرآن الكريم ظاهرة البشارة للنبيّ يوسف بأنَّه يظهره الله في الأرض ويمكّن له ليكون مصلحاً وقد غاب غيبة طويلة الأمد إلى أن ظهر.

فهو تقدير ضمن محاسبات إلهية مقدّرة محسوبة، **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾** (النساء: ٢٦)، السنن السابقة يبيّنها الباري تعالى لأنَّها ستقع في هذه الأمّة، **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا﴾**، تلك السنن، **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** (آل عمران: ١٣٧)، فهذه وغيرها من الآيات العديدة الدالّة على أنَّ سنن الله تتكرَّر أيضاً، هذه حقيقة من الحقائق القرآنية نعهدها في السور القرآنية، مضافاً إلى ذلك ما مرَّ بنا في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾**.

وهي عبرة أيضاً ووعد لنا على نفاذ هذا الأمر: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾** قد ذكر ذلك القرآن الكريم -الوعد الإلهي- في ثلاثة سور في سورة الفتح، وسورة التوبة، وسورة الصفّ، وهذه بشارة محتّمة من الله عز وجل لهذه الأمّة، بأن يظهر الدين دين سيّد الأنبياء على أرجاء الكرة الأرضية كافّة، وقد ورد في روايات متواترة عند الفريقين أنَّ ذلك على يد رجل يواطئ اسمه اسم النبيّ من ذرّية فاطمة وعلي وذرّية النبيّ ﷺ.

نعم، هذا الوعد الإلهي محتم في القرآني الكريم، وهذا أيضاً لسان رابع في الآية القرآنية، وهو الذي مرَّ بنا أيضاً في بداية سورة القصص: **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾** (القصص: ٥ و٦).

• سُنّة إلهية دائمة تتكرَّر في الأمم:

إذن هناك سُنّة إلهية دائمة تتكرَّر في الأمم هي: أنَّ المستضعفين الصالحين يستخلفهم الله ويجعلهم الوارثين، هذا لسان رابع نجده في القرآن الكريم يدلّل على الظاهرة المهدوية، وأيضاً من الآيات الأخرى التي نشاهدها لسان خامس، وهو: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ**﴾، وهو بيان للسنن الألهية الدائمة في الإصلاح في الأرض، وأنَّ هناك مصلحين منقذين للبشرية من الظلم والفساد، في سورة (الأنبياء: ١٠٥): ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾، وهذه كتابة ثانية دائمة حتمية، كالتعبير الذي مرَّ في اللسان الرابع، إرادة إلهية وكتابة لا معدل لها ولا محوَ لها، أوَليست هي كتابة الله، وقد فسّر ذلك المفسّرون أنَّ الزبور ليس المراد منه زبور داود، بل زبر الأنبياء أجمع، وهذه الآية تدل على أنَّ المهدي مبشّر في لسان جميع الأنبياء، كما أنَّ المصطفى ﷺ بشّر به لإفشاء العدل والقسط في الكرة الأرضية، وقرن اسمه باسمه في البشارة به، ﴿**إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ**﴾(الأنبياء: ١٠٦).

وبيان سادس في القرآن الكريم متكرّر أيضاً بكثرة بأنَّ العاقبة للمتّقين، وليس المراد منها فقط العاقبة الأخروية، بل المراد منها العاقبة في الدنيا أيضاً، فقد جاء في سورة الأعراف: ﴿**إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(الأعراف: ١٢٨)، ونفس وراثة الأرض والتمكين فيها لإقامة الإصلاح والعدل والقسط فيها سُنّة إلهية، كذلك في سورة الأعراف: ﴿**وَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (الأعراف: ٨٦)، أي إنَّ المفسدين والمجرمين والظالمين مقطوع دابرهم بظهور المصلح المنقذ المنجي، هذه سنن إلهية.

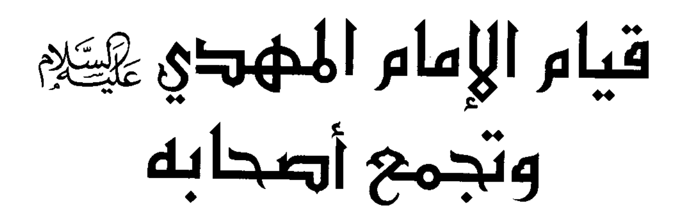
كذلك في سورة (يونس: ٣٩)، وسورة (القصص: ٤٠): ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾.

● النهاية هي الصلاح والصلاح :

قد كتب الله أنَّ الظلم والفساد لا يدوم، بأمد ظهور المصلح المنجي، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (يونس: ٧٣)، والملفت أنَّ في هذه السنن الإلهية تبيانَ نكتة مهمّة جدًّاً فيها، وهي أنَّ النهاية هي الصلاح والإصلاح في الأرض، وحتمية الصلاح والقسط وتفشّي العدل، وأنَّ من السنن الإلهية أنَّ المراحل المتوسّطة من عهود وأزمنة الأمم دوماً يكون المتغلّب فيها كفّة الظالمين والمفسدين، ولكن العقبى تكون للمصلح المنجي، وهذه سُنّة فيها بصائر قرآنية جمّة، على أنَّ العهود الوسطى المتخلّلة تكون فترات الظلم والفساد وغلبة الظالمين والمفسدين، إلاّ أنَّ العاقبة تكون بظهور المصلح المنجي، إذن هذه سُنّة دائمة إلهية، بدء الأمم بأنبيائها وهدايتها بالرسل، وتتلوها الفترات المتوسّطة والطويلة الأمد بيد الظالمين المفسدين ومكابدة المستضعفين الصالحين، ولكن العقبى بظهور المصلح المنقذ المنجي، إذن هذه سُنّة إلهية دائمة موجودة، فتأكيد القرآن الكريم على عدم الاغترار بالمرحلة المتوسّطة الآنية الحاضرة، بل لا بدَّ من الاعتقاد بالعاقبة والمآل لظهور الحقّ، وعاقبة المتّقين بظهور المصلح المنجي.

وهذه آيات عديدة من نفس هذه الحقيقة السادسة التي كرَّرها القرآن الكريم في سورة (آل عمران: ١٣٧)، وأيضاً في سورة (النحل: ٣٦): ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. ولا استمرار ولا دوام للمكذّب بالحقائق الإلهية وبالغيب الإلهي وبالوعد الإلهي

بظهور الصلاح والإصلاح، وإن طالت مدّته، فإنَّ الله يمهل ولا يهمل، **﴿وَالْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى﴾** (طه: ١٣٢)، **﴿وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** (الأعراف: ١٢٨)، وكذلك: **﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ﴾** (القصص: ٣٧).



﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ﴾

(سورة يوسف: ٩٠)

قيام الإمام المهدي عليه السلام وتجمع أصحابه

ماذا كانت النهاية بعد هذه المظالم المتتالية، والابتلاءات المتنوعة، لقد مكَّن الله ليوسف في الأرض، وجعل له العاقبة في الدنيا والآخرة، وآثره على كل من آذاه وظلمه. ولما اندهش إخوته من مكانته وقالوا **﴿أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**

مكنّ الله ليوسف عليه السلام في أرضه وجعله حاكماً **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾**(يوسف:٥٦).

وكذلك الإمام المهدي يُمكن الله له في الأرض ويجعله حاكماً ويملؤها قسطاً وعدلاً. قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾** (سورة الأنبياء).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**لتتبعَن سنن الذين قبلكم شبراً بشبر**».

القيام المقدس للإمام المهدي عليه السلام

● معنى قيام الإمام المهدي:

أما معنى قيامه عليه السلام فنكتفي بقول الإمام الصادق عليه السلام : إنه يقوم بأمر عظيم لهذا هو صاحب الزمان، ولي العصر، وصاحب الأمر، وقطب الوجود، وقوس العالم !

وهذا يعني: أن كل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام من آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، وكل ما حمله وتحمله الأوصياء من شيث إلى أبي محمد الحسن العسكري عليهم السلام، فإنما تتحقق فعليتها ويتجلى ظهورها علمياً وعملياً بظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه.

● مبدأ قيام الإمام المهدي :

مبدأ قيام الإمام المهدي عليه السلام ونهضته المباركة يكون من بيت الله العتيق، بعد أن يحضر في المسجد الحرام في يوم عاشوراء[1]، ويصلّي ركعات عند مقام إبراهيم عليه السلام.

فإنه بعد ظهوره يجمع الله تعالى له أصحابه، ويسند ظهره إلى الكعبة المعظمة، مستجيراً برب العظمة، فيلقي خطبته العصماء، ثمّ تتم له البيعة الكريمة، بيعة جنود الرحمن لصاحب الزمان، ثمّ يكون القيام بالسيف، بالقوة الإلهية القاهرة لاستئصال شأفة المعاندين والمنافقين والمستكبرين الضالّين.

فلنشرح هذه المراحل التمهيدية الهامة في سبيل تحقق الدولة المؤملة، والحكومة العالمية المفضلة.

● تجمع الأصحاب:

أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ثلة طيبة، وصفوة مهذبة، من خيرة الخلق ذوي الكفاءة التامة، واللياقة الكاملة، لصحبة الإمام، وتدبير المهام، وإدارة الكرة الأرضية، والدولة العالمية.

وقد وردت أحاديث متظافرة من الفريقين في بيان مدحهم وعظيم مقامهم.

وتفيد أنهم تطوى لهم الأرض، ويذلل لهم كل صعب، وأنهم جيش الغضب لله تعالى. وأنهم خيار الأمّة مع أبرار العترة، والفقهاء القضاة،

(١) كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام في البحار ٥٢ : ٢٩٠/ باب ٢٦/ ح ٣٠، وسمي يوم قيامه عليه السلام بيوم الخلاص كما في حديث رسول الله ف وسلم في البحار ٥١ : ٨١/ باب ١/ ح ٣٧ .

وأنهم أفضل من أصحاب الأنبياء. وأنهم أولوا البأس الشديد الذين وعد الله تعالى أن يسلّطهم على اليهود في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[1].

وأنهم الأمّة المعدودة الموعودة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾[2].[3]

وفي الحديث: (**ينهض عليه السلام في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد**)[4].

وقد سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله بإخوانه مصابيح الدجى[5].

● **وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام:**

(ويكون قيامه مع عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه، وسيف ذي الفقار، مع أصحابه الذين هم رجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شكّ في ذات الله أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلاّ خربوها، كأن على خيولهم العقبان، يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، ويحفّون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم.

رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون

---

(١) الإسراء: ٥ .
(٢) عصر الظهور: ٢١٠ .
(٣) هود: ٨ .
(٤) الإرشاد ١: ٣٨٠ .
(٥) بصائر الدرجات: ١٠٤ .

قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمّة لسيدها، كالمصابيح كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين)[1].

● **وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام في جيش الغضب:**

(أولئك قوم يأتون في آخر الزمان، قزع كقزع الخريف، والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتّى يبلغ تسعة، أما والله إني لأعرف أميرهم واسمه، ومناخ ركابهم)[2].

● **وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام:**

(إِذَا أُذِنَ الإِمَامُ دَعَا اللَّهَ باسْمِهِ الْعِبْرَانِيّ، فَأُتِيحَتْ لَهُ صَحَابَتُهُ الثَّلاثُمائَةِ وَثَلاثَةَ عَشَرَ، قَزَعٌ كَقَزَعِ الْخَرِيفِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الأَلْوِيَةِ. مِنْهُمْ مَنْ يُفْقَدُ عَنْ فِرَاشِهِ لَيْلاً فَيُصْبِحُ بمَكَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَى يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَاراً يُعْرَفُ باسْمِهِ وَاسْمِ أبيهِ وَحِلْيَتِهِ وَنَسَبِهِ).

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَيُّهُمْ أَعْظَمُ إيمَاناً؟

قَالَ: الَّذِي يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَاراً، وَهُمُ الْمَفْقُودُونَ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً**[3]﴾[4].

وقد جاء مدحهم وذكر عددهم وأسمائهم في خطبة البيان الشريفة التي ورد فيها: (ألا وإن المهدي أحسن الناس خلقاً وخلقةً، ثمّ إذا قام

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨/ باب ٢٦/ ح ٨١ و٨٢ .
(٢) غيبة النعماني: ٣١٢/ باب ٢٠/ ح ١ .
(٣) غيبة النعماني: ٣١٣/ باب ٢٠/ ح ٣ .
(٤) البقرة: ١٤٨ .

يجتمع إليه أصحابه على عدّة أهل بدر وأصحاب طالوت، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. كلهم ليوث قد خرجوا من غاباتهم، مثل زبر الحديد، لو أنهم همّوا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها. فهم الذين وحّدوا الله تعالى حقّ توحيده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل حزناً من خشية الله تعالى. قوّام الليل، صوّام النهار، كأنما ربّاهم أب واحد وأُمّ واحدة، قلوبهم مجتمعة بالمحبة والنصيحة. ألا وإني لأعرف أسماءهم وأمصارهم).

فقال إليه جماعة من الأصحاب، وقالوا: نسألك بالله وبابن عمّك رسول الله ﷺ وسلم أن تسميهم بأسمائهم وأمصارهم، فلقد ذابت قلوبنا من كلامك؟

فقال عليه السلام: (اسمعوا أبيّن لكم أسماء أنصار القائم، إن أوّلهم من أهل البصرة، وآخرهم من الأبدال...). ثمّ عدّهم، وذكر بلادهم ثمّ قال عليه السلام: (هؤلاء يجتمعون كلهم من مطلع الشمس ومغربها، وسهلها وجبلها. يجمعهم الله تعالى في أقل من نصف الليلة، فيأتون إلى مكّة).

ولقد أجاد في ترتيب ذكر هؤلاء الأصحاب الطيبين مع ذكر بلادهم وقبائلهم وتوضيح ذلك في كتاب الإمام المهدي من المهد إلى الظهور في الجدول التالي:

- بيّن فيه عدد الأفراد من كل بلد أو قبيلة.
- مع أسماء البلاد أو القبائل.
- مع أسماء أولئك الأصحاب.

● الخطبة العصماء:

ومما يمتاز به حجة الله، أن يكون قيامه من بيت الله، ويبدأ في نطقه بكلام الله فيلقي خطبته الموجهة إلى أهل مكّة، وإلى المسلمين، وإلى الخلق جميعاً. وفي البداية يورد عليه السلام خطبته البليغة التي يستنصر الله تعالى فيها، ويبيّن للناس مقامه الأسمى بها.

وأوّل ما ينطق به قوله تعالى: **﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**(1) (2).

وفي حديث جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام في بيان الخطبة:

(يَا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّا نَسْتَنْصِرُ اللَّهَ، وَمَنْ أجَابَنَا مِنَ النَّاس وَإِنَّا أهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ، وَنَحْنُ أوْلَى النَّاس بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

فَمَنْ حَاجَّنِي فِي آدَمَ فَأنَا أوْلَى النَّاس بِآدَمَ، وَمَنْ حَاجَّنِي فِي نُوح فَأنَا أوْلَى النَّاس بِنُوح، وَمَنْ حَاجَّنِي فِي إبْرَاهِيمَ فَأنَا أوْلَى النَّاس بِإبْرَاهِيمَ، وَمَنْ حَاجَّنِي فِي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فَأنَا أوْلَى النَّاس بِمُحَمَّدٍ، وَمَنْ حَاجَّنِي فِي النَّبِيِّينَ فَأنَا أوْلَى النَّاس بِالنَّبِيِّينَ.

ألَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ فِي مُحْكَم كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(3).

فَأنَا بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ، وَذَخِيرَةٌ مِنْ نُوح، وَمُصْطَفىً مِنْ إبْرَاهِيمَ، وَصَفْوَةٌ مِن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) هود: ٨٦.
(2) بحار الأنوار ٥٢: ١٩٢/ باب ٢٥/ ح ٢٤.
(3) آل عمران: ٣٤.

أَلا وَمَنْ حَاجَّنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ، أَلا وَمَنْ حَاجَّنِي فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ.

فَأَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ سَمِعَ كَلامِي الْيَوْمَ لَمَّا بَلَّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، وَأَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِحَقِّي فَإِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقَّ الْقُرْبَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْنَتُمُونَا[1] وَمَنَعْتُمُونَا مِمَّنْ يَظْلِمُنَا؛ فَقَدْ أُخِفْنَا وَظُلِمْنَا، وَطُرِدْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا، وَبُغِيَ عَلَيْنَا وَدُفِعْنَا عَنْ حَقِّنَا فَافْتَرَى أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَيْنَا. فَاللَّهَ اللَّهَ فِينَا لا تَخْذُلُونَا وَانْصُرُونَا يَنْصُرْكُمُ اللَّه)[2].

في حديث المفضل في البحار[3]: «وَسَيِّدُنَا الْقَائِمُ عليه السلام مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْخَلائِقِ، أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ وَشَيْثٍ فَهَا أَنَا ذَا آدَمُ وَشَيْثٌ. أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُوحٍ وَوَلَدِهِ سَام فَهَا أَنَا ذَا نُوحٌ وَسَامٌ.

أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فَهَا أَنَا ذَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ. أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُوسَى وَيُوشَعَ فَهَا أَنَا ذَا مُوسَى وَيُوشَعُ. أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِيسَى وَشَمْعُونَ فَهَا أَنَا ذَا عِيسَى وَشَمْعُونُ. أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَهَا أَنَا ذَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام فَهَا أَنَا ذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ. أَلا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام فَهَا أَنَا ذَا الأَئِمَّةُ عليهم السلام.

---

(١) في بعض النسخ لمّا أعنتمونا.
(٢) غيبة النعماني: ٢٨١/ باب ١٤/ ح ٦٧.
(٣) بحار الأنوار ٥٣: ٩/ باب ٢٥/ ح ١.

أجِيبُوا إِلَى مَسْأَلَتِي فَإِنّي أُنَبِّئُكُمْ بِمَا نُبِّئْتُمْ بِهِ وَمَا لَمْ تُنَبَّئُوا بِهِ، وَمَنْ كَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ وَالصُّحُفَ فَلْيَسْمَعْ مِنّي.

ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِالصُّحُفِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى آدَمَ وَشَيْث عليهما السلام وَيَقُولُ أُمَّةُ آدَمَ وَشَيْثٍ هِبَةِ اللَّهِ: هَذِهِ وَاللَّهِ هِيَ الصُّحُفُ حَقّاً وَلَقَدْ أَرَانَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُهُ فِيهَا وَمَا كَانَ خَفِيَ عَلَيْنَا وَمَا كَانَ أُسْقِطَ مِنْهَا وَبُدِّلَ وَحُرِّفَ.

ثُمَّ يَقْرَأُ صُحُفَ نُوح وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ، فَيَقُولُ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيل وَالزَّبُور: هَذِهِ وَاللَّهِ صُحُفُ نُوح وَإِبْرَاهِيمَ عليهما السلام حَقّاً وَمَا أُسْقِطَ مِنْهَا وَبُدِّلَ وَحُرِّفَ مِنْهَا هَذِهِ وَاللَّهِ التَّوْرَاةُ الْجَامِعَةُ، وَالزَّبُورُ التَّامُّ، وَالإِنْجِيلُ الْكَامِلُ، وَإِنَّهَا أَضْعَافُ مَا قَرَأْنَا مِنْهَا.

ثُمَّ يَتْلُو الْقُرْآنَ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: هَذَا وَاللَّهِ الْقُرْآنُ حَقّاً الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)[١].

وفي الحديث الشريف: (**يدعو الناس إلى كتاب الله، وسُنّة نبيه، والولاية لعلي بن أبي طالب والبراءة من عدوه**)[٢].

وهكذا يلقي خطبته، ويتم حجته، فيبايعونه بين الركن والمقام ومعه عهد من رسول الله ﷺ، قد توارثته الأبناء عن الآباء[٣].

● البيعة الكريمة:

بعد خطبته عليه السلام تتم البيعة معه، بيعة أهل السماء والأرض؛ بيعةٌ يبدءها أمين وحي الله جبرئيل عليه السلام، ثمّ المؤمنون الكرام.

(١) بحار الأنوار ٥٣: ٩، وتلاحظ خطبته في حديث الإمام الباقر عليه السلام في تفسير العياشي ٢: ٥٦ .
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٤٣/ باب ٢٧/ ح ٩١ .
(٣) بحار الأنوار ٥٣: ٢٣٨ .

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام: (**إن أوّل من يبايع القائم عليه السلام جبرئيل عليه السلام...**)[1].

وفي الحديث الآخر: (فيبعث الله جل جلاله جبرئيل عليه السلام يأتيه فينزل على الحطيم، ثمّ يقول له: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل عليه السلام: أنا أوّل من يبايعك، ابسط يدك.

فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيبايعونه، ويقيم بمكّة حتّى يتم أصحابه عشرة آلاف أنفس، ثمّ يسير منها إلى المدينة)[2].

وفي الحديث الآخر: (يا مفضّل، كل بيعة قبل ظهور القائم عليه السلام فبيعته كفر ونفاق وخديعة لعن الله المبايع لها والمبايع له. يا مفضّل يسند القائم عليه السلام ظهره إلى الحرم ويمدّ يده، فترى بيضاء من غير سوء ويقول: هذه يد الله، وعن أمر الله، وبأمر الله.

ثمّ يتلو هذه الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾**[3] الآية.

فيكون أوّل من يقبّل يده جبرئيل عليه السلام، ثمّ يبايعه، وتبايعه الملائكة ونجباء الجن، ثمّ النقباء)[4].

فتتم البيعة والمعاهدة معه على الطاعة، ويكون السلام عليه بنحو: (**السلام عليك يا بقية الله**)، كما في الحديث[5].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٥/ باب ٢٦/ ح ١٨ .
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٧/ باب ٢٧/ ح ٧٨ .
(٣) الفتح: ١٠ .
(٤) بحار الأنوار ٥٣: ٨/ باب ٢٥/ ح ١ .
(٥) وسائل الشيعة ١٠: ٤٧٠/ باب ١٠٦/ ح ٢ .

● **وتكون بيعة أنصاره معه على الأمور التالية:**

على أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يسبّوا مسلماً، ولا يقتلوا محرّماً ولا يهتكوا حريماً محرماً، ولا يهجموا منزلاً، ولا يضربوا أحداً إلاّ بالحق، ولا يكنزوا ذهباً ولا فضّة ولا برّاً وشعيراً، ولا يأكلوا مال اليتيم، ولا يشهدوا بما لا يعلمون، ولا يخرّبوا مسجداً، ولا يشربوا مسكراً، ولا يلبسوا الخزّ ولا الحرير، ولا يتمنطقوا بالذهب، ولا يقطعوا طريقاً، ولا يخيفوا سبيلاً، ولا يفسقوا بغلام، ولا يحبسوا طعاماً من برّ أو شعير، ويرضون بالقليل، ولا يشتمون، ويكرهون النجاسة، ويأمرون بالمعروف ويجاهدون في الله حق جهاده، ويشترط على نفسه لهم أن يمشي حيث يمشون، ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون، ويرضى بالقليل، ويملأ الأرض بعون الله عدلاً كما ملئت جوراً يعبد الله حق عبادته، ولا يتخذ حاجباً ولا بوّاب(١).

وبالرغم مما يتمتع به أصحابه الكرام من الدرجات العالية، والعدالة الروحية، تكون هذه الشروط توثيقاً للحكم، وتأكيداً في الأمر، وتعليماً للحياة المثالية التي تخصهم لقيادة الكرة الأرضية وهي بيعة ميمونة يشمل خيرها جميع الموجودات في مسيرة الحياة.

● **القوة الإلهية:**

هناك سؤال يطرح كثيرا في أنه كيف يغلب الإمام المهدي عليه السلام ويستولي على العالم، وكيف تخضع له الحكومات مع امتلاكهم هذه الأسلحة الفتاكة، والأجهزة الحديثة؟

وسرعان ما يتجلى الجواب إذا عرفنا بأنه عليه السلام مقرون بلا فصل مع

---

(١) منتخب الأثر: ٤٦٩ .

الإرادة الربانية التي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون. وهو عليه السلام ممتلك لما فوق السلاح البشري، وما هو أعظم من المصنوع الإنساني.

وهو عليه السلام مزوّدٌ بالقوة الإلهية القاهرة، والمدد السماوي المظفّر، والميراث النبوي الباهر، وبها يخضع له الكل، ويهيمن على الجميع، ويغلب على العالم.

١- فله الاسم الأعظم الإلهي الذي هو معدن القدرات، اثنان وسبعون منه[١].

٢- وله الاسم الإلهي الخاص الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جعله بين المسلمين والمشركين، لم تصل من المشركين إلى المسلمين نشابةٌ قط[٢].

٣- وله عصى موسى عليه السلام التي تأتي بالعجب العجاب[٣].

٤- وله خاتم سليمان الذي كان إذا لبسه سخر الله تعالى له الملائكة، والإنس والجن، والطير، والريح[٤].

٥ - وله تابوت بني إسرائيل التي فيها السكينة والعلم والحكمة، ويدور معها العلم والنبوة والمُلك[٥].

٦- وله امتلاك الرعب في قلوب الأعداء، يسير معه وأمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله. ولا يخفى شدة تأثير هذا الرعب في دهشة العدو، وعدم تسلطه على استعمال السلاح أساساً[٦].

(١) أصول الكافي ١: ٢٣٠ .
(٢) الإرشاد ٢: ١٨٨ .
(٣) الكافي ١: ٢٣١ .
(٤) الكافي ١: ٢٣١ .
(٥) بحار الأنوار ٢٦: ٢٠٣ .
(٦) غيبة النعماني: ٣٠٧ .

٧- وله نصرة الله تعالى التي لا يفوقها شيء: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾[(١)]، فإن الله تعالى ينصره حتّى بزلزال الأرض، وصواعق السماء.

٨ - وله الولاية الإلهية العظمى التي جعلها الله تعالى لهم تكويناً وتشريعاً، كما ثبت بالأدلة المتواترة[(٢)].

٩- وله الاحتجاجات والحجج الكاملة، التي يحتج بها بأوصافه وعلائمه الموجودة في التوراة والألواح، التي تقدمت الإشارة إليها. ثمّ اقتداء النبي عيسى عليه السلام به في الصلاة التي توجب خضوع كثير من اليهود والنصارى له[(٣)].

١٠ - وأخيراً وليس بآخر إرادة الله تعالى القادر القهّار الذي إذا أراد شيئاً لم يتخلف ما أراده طرفة عين، ولم يحل بينهما شيء في البين.

وقد أراد ذلك بصريح قوله تعالى: **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**[(٤)].

وبهذا تعرف أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بالقوة الإلهية التي لا تقاومها القوة البشريّة مهما بلغت وتطوّرت.

بل لا قدرة للبشرية أمام قدرة الله الغالبة، حتّى يتردد أحدٌ بأنه كيف يتغلب الإمام المهدي عليه السلام على الأسلحة العصريّة.

---

(١) آل عمران: ١٦٠ .
(٢) لاحظ لبيان الأدلة كتابنا في رحاب الزيارة الجامعة: ٥٩٥ .
(٣) راجع أحاديثه المتظافرة من الفريقين في منتخب الأثر: ٢٠٦ .
(٤) القصص: ٥ .

وهل في الكون قدرة تقف أمام إله الكون؟!

وهل للمخلوق قدرة تقوم أمام قدرة الخالق؟!

فبمثل هذه القوى الإلهية يقوم الإمام المنتظر عليه السلام بأمر الله، ويقيم دولة الله، فيرث الأرض عباده الصالحون.

وهو من المحتومات الإلهية التي لا تبديل لها عند الله تعالى، كما صرّحت به أحاديثنا الشريفة، مثل حديث أبي حمزة الثمالي:

قال: كنت عند أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام ذات يوم، فلمّا تفرق من كان عنده قال لي: (يا أبا حمزة من المحتوم الذي لا تبديل له عند الله قيام قائمنا، فمن شكّ فيما أقول لقى الله وهو به كافر وله جاحد... يا أبا حمزة من أدركه فلم يسلّم له فما سلّم لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام، وقد حرّم الله عليه الجنّة، ومأواه النار وبأس مثوى الظالمين)[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: (لو خرج قائم آل محمّد عليه السلام لنصره الله بالملائكة المسوّمين، والمردفين، والمنزلين، والكروبيين. يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه، وخلفه، وعن يمينه، وعن شماله، والملائكة المقربون حذاه)[٢].

وبعد هذه القوة الإلهية القاهرة، ما هو الظن بالقوى البشرية، هل تعمل أم تتعطّل؟! نعم بالقدرة الإلهية الغالبة على كل شيء يقوم الإمام المنتظر عليه السلام بالحق، ويبسط الحق، ويسير بالحق، وهي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام [٣].

(١) بحار الأنوار ٣٦: ٣٦٣/ باب ٤٥/ ح ٩ .
(٢) غيبة النعماني: ٢٤٣ .
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٤ .

● المسيرة الإصلاحية:

ينبغي أن نشير هنا إلى خريطة مسيره المبارك في قيامه الأغرّ الذي يمكن تخطيطه بالأحاديث الشريفة من البدء إلى استقرار دولته الكريمة، في المراحل الثلاث التالية:

١ - إصلاحاته في مكّة المكرّمة.

٢ - التوجّه إلى المدينة المنوّرة.

٣ - الكوفة عاصمته المباركة.

المرحلة الأولى: مكّة المكرّمة:

المستفاد من بعض الأحاديث، أن مكّة تستسلم له عليه السلام ويسيطر الإمام على البلدة بكاملها. ويستفاد هذا من قوله عليه السلام في النصّ الذي عبّر بالإطاعة بعد سؤال الراوي: فما يصنع بأهل مكّة؟

قال: «**يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة فيطيعونه، ويستخلف فيهم رجلاً من أهل بيته**»[١].

ويدلُّ الحديث الصادقي على أنه عليه السلام يردّ المسجد الحرام إلى أساسه الذي حدّه النبي إبراهيم عليه السلام، وهو الحَزْوَرَة[٢]. ويرد المقام إلى الموضع الذي كان فيه بجوار الكعبة[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٥٣: ١١/ باب ٢٥/ ح ١.
(٢) الحزورة: اسم الموضع المعلوم بين الصفا والمروة، ويستفاد من بعض الأحاديث الشريفة أن الذي خطه النبي إبراهيم عليه السلام للمسجد الحرام هو ما بين الحزورة إلى المسعى، فلاحظ لذلك: الكافي ٤: ٥٢٧/ ح ١٠.
(٣) الإرشاد: ٣٨٣.

كما ينادي مناديه أن يسلّم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الأسود والطواف كما في الحديث الشريف[1].

فيفسح صاحب الطواف المستحب المجال لصاحب الطواف الواجب، ويتقدم ذلك لطوافه واستلام الحجر في سبيل راحة الطواف، وعدم الازدحام، وسهولة إنجاز مناسك الحج.

ثمّ بعد إنجازاته الموفّقة في مكّة المكرّمة ونصب والٍ من قبله هناك يتوجّه إلى مدينة جدّه الرسول الأكرم ﷺ [2].

المرحلة الثانية: المدينة المنورة:

للإمام المهدي عليه السلام شأن عظيم في المدينة المنورة، نشير إليه بحديث المفضّل الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام الذي يبيّن سرور المؤمنين، وخزي الكافرين، وأخذ الثأر من الظالمين، في مقامه عليه السلام هناك.

واعلم أنه قد جاء هذا الحديث مضافاً إلى البحار في كتاب الرجعة للأسترآبادي (ص ١٠٠) مسنداً عن الحسين بن حمدان، عن محمّد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيين، عن أبي شعيب محمّد بن نصير، عن عمر بن الفرات، عن محمّد بن المفضل، عن المفضل بن عمر.

وحكاه في هامشه عن حلية الأبرار (ج ٢/ ص ٦٥٢)، وإثبات الهداة (ج ٣/ ص ٥٢٣)، والإيقاظ من الهجعة (ص ٢٨٦).

وذكر أيضاً في الهداية الكبرى للحضيني (ص ٧٤) من النسخة المخطوطة. وجاء ذكر قطعة منه في الصراط المستقيم (ص ٢٥٧).

---

(١) الكافي ٤: ٤٢٧/ ح ١ .
(٢) بحار الأنوار ٥٣: ١١/ باب ٢٥/ ح ١ .

المرحلة الثالثة: الكوفة العاصمة:

بعد مُقام المدينة، يخرج الإمام المهدي عليه السلام إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد أن يستعمل عليها رجلاً من أصحابه، كما في الحديث[1].

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام: (... **ويسير نحو الكوفة، وينزل على سرير النبي سليمان** عليه السلام، **وبيمينه عصا موسى، وجليسه الروح الأمين، وعيسى بن مريم، متّشحاً ببرد النبي** صلى الله عليه وآله متقلّدا بذي الفقار، ووجهه كدائرة القمر في ليالي كماله، يخرج من بين ثناياه نورٌ كالبرق الساطع، على رأسه تاجٌ من نور)[2].

وللكوفة يومئذٍ شأن عظيم ومجد كريم، حيث تكون عاصمة حكومته ودار خلافته ومركز شيعته. فيتجلى فيها السموّ والرفعة، وتصير مهد الحياة الزاهرة في دولة العترة الطاهرة، ببركة الإمام المهدي أرواحنا فداه.

ففي حديث المفضل: قلت: يا سيدي، فأين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين؟ قال: (دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريّين). قال المفضّل: يا مولاي كل المؤمنين يكونون بالكوفة؟

قال: (إي والله، لا يبقى مؤمن إلاّ كان بها أو حواليها، وليبلغنّ مجالة فرس منها ألفي درهم... ولتصيّرنّ الكوفة أربعة وخمسين ميلا [3]، ويجاوزن قصورها كربلاء.

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨/ ح ٨٢ .
(٢) يوم الخلاص/ المترجم ١: ٤٩٥ .
(٣) الميل يساوي (١٨٦٠) متر، كما في الأوزان والمقادير: ١٣٢ .
وعليه يكون مقدار امتداد الكوفة آنذاك (٥٤) ميل، ويساوي (١٠٠٤٤٠) متر.

وليصيّرنّ الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف فيه الملائكة والمؤمنون، وليكونن لها شأن من الشأن، وليكونن فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربه بدعوة لأعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا ألف مرّة)[١].

● **وفي الحديث العلوي الشريف:**

(ثمّ يقبل إلى الكوفة، فيكون منزله بها. فلا يترك عبداً مسلماً إلاّ اشتراه وأعتقه، ولا غارماً إلاّ قضى دينه، ولا مظلمة لأحد من الناس إلاّ ردّها، ولا يقتل منهم عبد إلاّ أدى ثمنه دية مسلمة إلى أهله، ولا يقتل قتيل إلاّ قضى عنه دينه، وألحق عياله في العطاء، حتّى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً.

ويسكن هو وأهل بيت الرحبة، إنما كانت مسكن نوح وهي أرض طيبة ولا يسكن رجل من آل محمّد ﷺ ولا يقتل إلاّ بأرض طيبة زاكية، فهم الأوصياء الطيبون)[٢].

وأنه ليكثر فيها الخيرات والبركات حتّى تمطر السماء فيها ذهبا، كما تلاحظه في الحديث الصادقي: (**وتمطر السماء بها جراداً من ذهب**)[٣].

هذا، مضافاً إلى مرغوبية نفس الكوفة في حدّ ذاتها، كما تلاحظها في أحاديث فضلها وعظيم منزلته[٤].

(١) بحار الأنوار ٥٣: ١١/ باب ٢٥/ ح ١ .
(٢) تفسير العياشي ١: ٦٦, والرحبة بضم الراء وسكون الحاء: موضع بالكوفة كما في مجمع البحرين، مادة رحب.
(٣) بحار الأنوار ٥٣: ٣٤/ باب ٢٥/ ح ١ .
(٤) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٩٦/ باب ٦/ ح ٣٣ .

وأنه يكون مسجدها أكبر مسجد في العالم، حتّى يبنى مسجدها الأعظم ويكون له ألف باب[1].

ولا بأس بالمناسبة بيان ما لهذا المسجد من فضل عظيم وشرف كبير:

١ - ففي حديث أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (مسجد كوفان روضة من رياض الجنّة، صلى فيه ألف نبي وسبعون نبياً وميمنته رحمة، وميسرته مكرمة. فيه عصا موسى، وشجرة يقطين، وخاتم سليمان، ومنه فار التنّور ونجرت السفينة، وهي صرة بابل[2] ومجمع الأنبياء)[3].

٢- وفي حديث الأصبغ بن نباتة، قال: بينا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة، إذ قال: (يا أهل الكوفة! لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب به أحداً. ففضّل مصلاكم وهو بيت آدم، وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلى أخي الخضر عليهم السلام، ومصلاي.

وإن مسجدكم هذا أحد الأربع المساجد التي اختارها الله عز وجل لأهلها، وكأني به يوم القيامة في ثوبين أبيضين شبيه بالمحرم، يشفع لأهله ولمن صلى فيه، فلا ترد شفاعته، ولا تذهب الأيام حتّى ينصب الحجر الأسود فيه[4].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٠/ باب ٢٧/ ح ٧٦ .

(٢) في بيان البحار: صرة بابل: أشرف أجزاءها.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٨٩/ باب ٦/ ح ١٣ .

(٤) في بيان البحار هنا: أن نصب الحجر الأسود في مسجد الكوفة كان في زمن القرامطة، حيث خرّبوا الكعبة المعظمة، ونقلوا الحجر الأسود إلى مسجد الكوفة، ثمّ ردّوه إلى موضعه، ونصبه الإمام القائم عليه السلام بحيث لم يعرفه الناس كما مرَّ ذكره في كتاب الغيبة.

وليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدي من ولدي، ومصلى كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلاّ كان به أو حنَّ قلبه إليه.

فلا تهجرن، وتقربوا إلى الله عز وجل بالصلاة فيه، وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم. فلو يعلم الناس ما فيه من البركة، لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج)[1].

٣ - وفي حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: (يا ابن مسعود، لما أُسري بي إلى السماء الدنيا، أراني مسجد كوفان، فقلت: يا جبرئيل، ما هذا؟

إنّ من المتعارف عند أهل البيت (صلوات الله عليهم) أن دولة الإمام المهدي عليه السلام تشمل الدنيا بأسرها، فلا يبقى معبود غير الله سبحانه وتعالى، ولا دين غير الإسلام.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي، وهذا هو المطلب الأول المتعلق بالله تعالى، والذي يخشع عنده الفهم والعقل! فإن المعارف الإلهية عدة كلمات تتلخص بـ (سبوح، قدوس، لا إله إلا الله، الله أكبر).

المطلب الأول: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً:

عندما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أخبر الملائكة: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**(سورة البقرة:٣٠). أما السر الذي قال عنه تعالى: **﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا**

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٨٩/ باب ٦/ ح١٤.

لا تَعْلَمُونَ﴾، فقد بينه لمن يفهم أسراره فقال لنبيه ﷺ في معراجه: وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي. وبذلك تعرف مقام ذلك الشخص العظيم الذي به عَمّر الله أرضه بذكره! هذا هو المطلب المرتبط بالإمام المهدي عليه السلام مما يتعلق بالله تعالى وتقديسه.

والمطلب الثاني: وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي.

ففي عالم الخلق خطان صعودي ونزولي، أولياء الله وأعداؤه. وغرض الله تعالى من خلق الإمام المهدي عليه السلام هذا الجوهر الفريد في مخلوقاته، إعمار الأرض بتنزيهه وتقديسه، هذا ما يتعلق بذاته المقدسة، وأن يطهرها به من أعدائه، وأن يورثها به لأوليائه!

والمطلب الثالث: وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا.

سبحان الله، من هو الإمام المهدي؟ وماذا أودع في شخصيته من قدرة وأسرار حتى صار تحقق علو كلمته العليا به؟! وتحقق سفول كلمة الكفر السفلى به؟!

والمطلب الرابع: وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي.

إنها كل الذخائر المعنوية والمادية، ذخائر عالم الملك والملكوت، وكنوزهما ومكنوناتهما، يظهرها الله لوليه وحجته المهدي عليه السلام!

فمنها ذخائر الأكاسرة والقياصرة والفراعنة، وملوك الأرض وأغنياؤها؟! إنها ذخائر الأنبياء والأوصياء ودفائن السفراء عليهم السلام، يجمعها الله ويظهرها له!

وكما قال تعالى «**وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي**» والسر

والواحد منها لا ينهض بتحمله العالم كله، فكيف بجمعها؟! فأي قلب قلب الإمام المهدي عليه السلام الذي يتحمل أسرار رب العالمين عز وجل؟! نعم هذا هو إمام الزمان أرواحنا فداه!

وقال تعالى «**وأمده بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني**». وإنفاذ أمر الله تعالى يعني به قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾. (سورة يس: ٨٢) فخزانة ذلك الأمر قلب صاحب الزمان عليه السلام.

١ - قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾[(١)].

عن أبي جعفر عليه السلام -في حديث طويل- : «ولا تبقى أرض إلاّ نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً رسول الله»، وهو قوله: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾.

٢ - قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[(٢)].

٣ - قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[(٣)].

عن الباقر والصادق (عليهما السلام) قالا: «**هم القائم وأصحابه**»[(٤)].

٤ - قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٣ .
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣ .
(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥ .
(٤) ينابيع المودة: ص٤٢٥ .
(٥) سورة الحج: الآية ٤١ .



دولة الجمال الإلهي والبهجة الإلهية

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾

(سورة يوسف: ٥٦)

دولة الجمال الإلهي والبهجة الإلهية

• التمكين في الأرض:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء﴾(يوسف:٥٦).

وكذلك الإمام المهدي يُمكن الله له في الأرض ويجعله حاكماً ويملؤها قسطاً وعدلاً. قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾** (سورة الأنبياء).

• دولة الإمام المهدي (عَج):

«اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة».

فعبارة «**إلهي وَأَلحَقْني بِنُورِ عِزِّكَ الأبْهَجِ، فَأكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاة**». الموجودة في المناجاة الشعبانية تدل على معاني سامية.

النور والعزة والبهجة ثلاثة كلمات تدل على الوصول إلى عالم يعبد فيه الله وحده وتدل كذلك على وجه الله والكرامة الإلهية أيضا وهذا الوجه هو مولانا وإمام زماننا وقائدنا السيد الغائب الحاضر في الجوهر الوجودي المهدي عليه السلام، ففي دولة المهدي عليه السلام سوف يلتحق المؤمنون بنور الله الأبهج لأن دولته هي دولة الجمال الإلهي والبهجة الإلهية بعدما كنا في الأسباب الإلهية في دنيا الأوهام.

ففي هذه الدولة فقط يجتمع كمال الإيمان بالغيب بالعزة الإلهية المقابلة لهذا الإيمان، وهذا هو اللحوق نفسه.

معرفة الله التي لا تتم إلا به وهو كمال العرفان الإلهي واللحوق لا يكون إلا بهذا النور المعز الأبهج، وكما في دعاء الندبة «**أين معز الأولياء ومذل الأعداء**».

فدولة المهدي المنتظرة والمرتقبة في المشيئة الإلهية الكبرى هي دولة الانسان الكامل الإلهي الذي سوف يرى المؤمنون وجوده الكامل فيها فهي دولة الأسرار والحقائق الحقة الإلهية، فبعدما جاءت الشرائع السماوية متتالية على بني البشر، أبتداءا من آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل النبي العربي الهاشمي صلوات رب العزة عليه وعلى آله في مسيرة تاريخية مليئة بالحيرة والصراع والجهل، تأتي دولة المهدي الانسان الكامل في آخر الزمان لتفتح كل الأفاق الوجودية وتوسع وجود الإنسان وتجعله كوني وجودي بعدما كان أرضيا مليئا بالجهل والحيرة المحاطة بالوهم المعاشي.

مما لاشك فيه أن دولته عليه السلام تعم الدنيا، وأن عدله يعم البشرية، ودين الإسلام يسود الأرض كلها، وقد تواتر الحديث الشريف (**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**) .

● **دولة الإمام المهدي عليه السلام (دولة الحق):**

هي دولة الله تعالى، ودولة أهل البيت عليهم السلام، والدولة الكريمة، والدولة الشريفة، ودولة الحق، كما جاءت تسميتها بها في الأحاديث المباركة.

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام: (**فأين دولة الله؟ أما هو قائم واحد**)[1].

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٥٤/ باب ٥/ ح ٣٨ .

وفي الحديث الآخر عنه عليه السلام: **(ودولتنا في آخر الدهر تظهر)**(١).

وفي دعاء الافتتاح الشريف كما في الحديث أيضاً: **(اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة)**(٢).

وفي الزيارة المباركة للإمام المهدي عليه السلام: **(السلام عليك أيها المؤمل لإحياء الدولة الشريفة)**(٣).

وفي حديث توصيف أصحابه عليه السلام: **(منتظرون لدولة الحق)**(٤).

وبدراستها تعرف أنها دولة السماء في الأرض، وأفضل دول العالم، منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام.

في هذه الدولة يتبدل الخوف إلى الأمن، والفقر إلى الغنى، والحزن إلى السرور، والجحيم إلى النعيم، والظلم إلى العدل، والجهل إلى العلم، والفساد إلى الإصلاح، والضعف إلى القوة، والذبول إلى النضارة، ويكون فيها كل الخيرات، والخيرات كلها.

● وما أجمل ما جاء من وصفها في الحديث:

(وفي أيام دولته تطيب الدنيا وأهلها)(٥). طيباً لا كدر فيه، وصلاحاً لا فساد فيه، وسعداً لا نحس فيه.

فهي الحرية بأنه يكون عصرها أفضل العصور، عصر النور، عصر العلم، عصر القدرة، عصر السعادة، عصر السلامة، عصر المعجزات، عصر الخير، وخير عصر.

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٤٣/ باب ٦/ ح ٣ .
(٢) بحار الأنوار ٩١: ٦/ باب ٢/ ح ٢ .
(٣) بحار الأنوار ١٠٢: ٨٦/ باب ٧/ ح ١ .
(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٦/ باب ٢٢/ ح ٢٠ .
(٥) المهدي: ٢٦٦ .

وفي الحديث: (**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً**)[1].

كل ذلك ببركة دولة الإمام المهدي عليه السلام في قيادته الإلهية الحكمية. تلك القيادة التي يهيمن بها من عاصمته العصماء، على جميع الأماكن والأرجاء؛ هيمنةً تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته.

ففي حديث أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (**إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض، وخفّض له كل مرتفع، حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها**)[2].

وفي حديث آخر: (**ينصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء فيرى فيه أعمال العباد، وأن له علوما مذخورة تحت بلاطة في أهرام مصر، لا يصل إليها أحد قبله**)[3].

وفي الحديث الآخر: (**إن الدنيا تتمثل للإمام مثل فلقة الجوز، فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه يتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء**)[4].

وفي الحديث العلوي قال: (قد أعطانا ربنا عز وجل علمنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقنا السماوات والأرض والجنّة والنار، ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرّب ونشرّق، وننتهي به إلى العرش فنجلس[5] عليه بين يدي الله عز وجل، ويطيعنا كل شيء حتّى

(١) غيبة النعماني: ٢٣٧ .
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٨/ باب ٢٧/ ح ٤٦ .
(٣) كمال الدين: ٥٦٥ .
(٤) الاختصاص: ٢١٧ .
(٥) لا يخفى أن هذا البيان كناية عن شدة قربهم المعنوي، وعظم منزلتهم عند الله تعالى. أو كناية عن إحاطتهم العلمية بأمور السماوات والأرضين بإفاضة الله تعالى لهم. أو بمعنى عظيم قدرتهم على الأمور بواسطة هذه المخلوقات وإطاعتها لهم.

السماوات، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، والبحار، والجنّة، والنار؛ أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به. ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق، ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا، ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[1].

فقيادة هذه الدولة، يمدها رب الأرض والسماء بأفضل ما كان يمدّ به الأولياء في ولايتهم التكوينية وقدرتهم الربانية.

ولا شكّ أن الله تعالى قادر على كل شيء، وتنفذ قدرته في كل شيء. وهب يسيراً من قدرته لسليمان بن داود عليهما السلام، فسخّر بها المخلوقات. وأعطى حرفاً من اسمه الأعظم لآصف بن برخيا، فأتى بعرش بلقيس من سبأ بلمح البصر.

● **دولة الإمام المهدي عليه السلام أعظم الدول:**

وستعرف من خلال الأحاديث الشريفة الآتية أن **دولة الإمام المهدي عليه السلام الربانية العالمية أعظم** وأعظم من دولة نبي الله سليمان عليه السلام، ومن ملك ذي القرنين.

فدولة النبي سليمان عليه السلام شملت فلسطين وبلاد الشام، ولم تشمل مصر وأفريقيا، ولم تتجاوز إلى الهند والصين[2].

بينما دولة الإمام المهدي عليه السلام تشمل جميع مناطق العالم، بل تنفتح على العوالم الأخرى.

كما وأن مدّة دولة النبي سليمان عليه السلام كانت نحو نصف قرن فقط، ثمّ

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٧/ باب ١٣/ ح ١ .
(٢) عصر الظهور: ٢٦٥ .

وقع الانحراف بعد وفاته، وتمزّقت الدولة، ووقعت المعركة بين مملكتي القدس ونابلس[1].

بينما دولة الإمام المهدي عليه السلام مستمرة إلى آخر الدنيا، ولا دولة بعدها أبداً.

وكذا ذو القرنين الذي آتاه الله الملك، وبلغ مطلع الشمس ومغربها من الأرض ولكن لم يتوصل إلى السماء. بينما الإمام المهدي عليه السلام تُسخّر له السماوات والأرضون.

ففي حديث الإمام الباقر عليه السلام: (**أما إن ذا القرنين قد خيّر بين السحابين فاختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب**).

قال: قلت: وما الصعب؟ قال عليه السلام: (ما كان فيه رعد وصاعقة وبرق، فصاحبكم يركبه. أما إنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب، أسباب السماوات السبع والأرضين السبع)[2].

فالإمام المهدي عليه السلام منحه الله تعالى ما فوق ذلك، وخصّه بأعظم ما كان هنالك من الإعجازات الإلهية، والقدرات الربانية التي ما كان ولم يكن لها مثيل ونظير... متّعنا الله تعالى بدولته وأقرَّ عيوننا بطلعته.

وينبغي أن نشير إلى غيضٍ من فيض ملامح تلك الدولة السامية في الصحائف التالية:

١- نظام الدولة:

نظام دولة الإمام المهدي عليه السلام نظام فريد من نوعه، قمة في سموه، موفق في جميع المجالات، متقنٌ في كافة المهمات.

(١) عصر الظهور: ٢٦٦ .
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢١ .

نظام يقوده إمام معصوم، لا زلل فيه ولا خطل، متصلٌ بربّ السماء، وملهم بإصلاح الآراء، يؤيده روح القدس والروح الأمين، ويرافقه ملائكة الله المقربين.

نظام لا مثيل له، بل هو خلافة الله في أرضه، وحكومة الله في خلقه، عظيمٌ كعظمة السماء، وثابت كثبات الأرض، في أتم التقدير وأكمل التدبير.

وذلك لأنه النظام الإلهي الأمثل، الذي نظّمه الله الحكيم الذي أتقن كل شيء صنعه، وعرف ما يصلح خلقه، ورسمه له الله الخبير الذي أحاط بكل شيء علما، ونفذ في كل شيء قدرةً وحُكماً.

ويكفيك دليلاً على إتقان هذا النظام وصدوره من الله العلاّم، أحاديث ربّانيّة علم الإمام وبيان ما رسمه الله له من المهام، وروايات دولته، ونصوص الوصية الواصلة إليه من جدّه.

أما سمعت قول الله عز وجل: **﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾**[1]؟[2].

وهذا كتاب دستوري كامل للإمام المعصوم في أعماله، وأقواله، وأفعاله، وسيرته وفي نظام دولته.

مضافاً إلى عمود النور الإلهي الذي به يسمع الإمام عليه السلام ويرى ما يحتاج إليه من أمور عوالمه، مما تلاحظه في أحاديثه مثل أحاديث البصائر:

---

(١) يس: ١٢ .
(٢) أصول الكافي ١: ٢٨٣/ ح ٤ .

١- عن إسحاق الحريري،[1] قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فسمعته وهو يقول: (**إن لله عموداً من نور، حجبه الله عن جميع الخلائق. طرفه عند الله، وطرفه الآخر في أذن الإمام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أذن الإمام**)[2].

وعليه فالقانون الأساسي والنظام الحكومي لدولة الإمام المهدي عليه السلام، قانون ونظام إلهي حكيم خالص، فيه أمور جميع أرجاء الكون ومجالات الحياة. وقد عرفت من آيات البشائر المتقدمة أنه مبني على عظيم النعم والتمكن الأتم، حيث قال عزَّ اسمه: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ**﴾[3]، والمنة هي النعمة العظيمة.

وقال عزَّ من قائل: ﴿**وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ**﴾[4].

فتكون الحياة في دولته الشريفة هي الحياة الطيبة، حياة الجنّة، وعيشة السعادة، بنظام الله وتدبيره، وببركة قيادة الإمام المهدي عليه السلام الذي وجوده لطفٌ، وتصرفه لطف آخر.

ولا عجب في ذلك فإنّ أهل البيت عليهم السلام (مساكن بركة الله)، كما في الزيارة الجامعة، أي محل استقرار البركة التي هي كثرة النعمة والخير والكرم، وزيادة التشريف والكرامة، والنماء والسعادة.

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: (**نحن أهل بيت الرحمة، وبيت النعمة، وبيت البركة**)[5]. بارك الله تعالى في كل ما يخصهم ويختص بهم، والشواهد ظاهرة باهرة.

---

(١) في البحار: الجريري.
(٢) بصائر الدرجات: ٤٣٩/ باب ١٢/ ح ١ .
(٣) القصص: ٥ .
(٤) النور: ٥٦ .
(٥) بحار الأنوار ٢٦: ٢٥٤/ باب ٤/ ح ٢٧ .

٢ - قضاء الدولة:

قضاء دولة الإمام المهدي عليه السلام، قضاءٌ عادل حق، ومصيبٌ كبد الحقيقة. فإنه عليه السلام يقضي ويحكم بعلم الإمامة، وبما يلهمه الله تعالى، المطلع على الحقائق والضمائر، والمطلع على جميع الأفعال في الظواهر والسرائر.

ومن الثابت أنه عليه السلام يقضي بعلمه الإلهي، فيعطي كل نفس حقها من غير حاجة إلى انتظار شهادة الشهود أو وسائل الإثبات.

ومن الواضح في حكمة الحكم، أنه عليه السلام حيث يريد أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويقضي على كل ظلم وجور، ويأخذ حق المظلوم من الظالم لا يتوقع منه، بل لا يناسبه أن ينتظر حتّى يرفع المظلوم إليه شكواه ويقدم له دعواه، أو يأتي الشهود ليشهدوا بحق مجحود.

ولعلَّ هناك من لا يستطيع إثبات حقه، أو يعجز عن ردّ ظالمه. بل من تمام الحكمة أن يحكم هو بما أراه الله تعالى بإلهامه، ونوّره بعلمه، ليطهر جميع البلاد من لوث الظلم والفساد.

قد أمدّه الله القدير بكفايته، وتولّاه برعايته، وأوضح له الحق الباهر كالصبح الزاهر. بل أوضح ذلك ببركته عليه السلام لولاته، والقضاة المبعوثين من قبله أيضاً، كما يستفاد ذلك من الأحاديث المباركة.

ففي تفسير قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾**[1]، المفسّر بأهل البيت عليهم السلام[2]، قد جاء في أحاديث تفسيره كيفية حكم الإمام المهدي عليه السلام.

---

(١) الحجر: ٧٥ .
(٢) أصول الكافي ١: ٢١٨/ ح ١ .

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام: (إذا قام قائم آل محمّد عليه السلام، حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويخبر كلّ قوم ما استبطوه، ويعرف وليّه من عدوّه بالتوسّم.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[1].

وفي حديثه الآخر: (**إذا قام القائم عليه السلام، لم يقم بين يديه أحد من خلق الرحمن إلاّ عرفه، صالح هو أو**[2] **طالح، و(لأن)**[3] **فيه آية للمتوسمين، وهي السبيل**[4] **المقيم**)[5].

وفي النهج الشريف: (**فيريكم كيف عدل السيرة، ويحي ميت الكتاب والسُنّة**[6])[7].

وفي الحديث الآخر: (**لا تذهب الدنيا حتّى يخرج رجلٌ منّي، يحكم بحكومة آل داود؛ لا يسأل عن بيّنة، يعطي كل نفس حكمها**)[8].

وفي الحديث الآخر: (**وإنما سُمّي المهدي مهدياً لأنه يهدي إلى أمر خفيّ. ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية. ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن. وتجمع إليه أموال الدنيا من**

---

(١) كنز الدقائق ٧: ١٥٠ .
(٢) في المصدر: (أم).
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: (بسبيل).
(٥) كنز الدقائق ٧: ٥ .
(٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨ .
(٧) منهاج البراعة ٨ : ٣٤٦ .
(٨) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٠/ باب ٢٧/ ح ٢٢ .

بطن الأرض وظهرها. فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله عز وجل. فيعطي شيئاً لم يعطه أحدٌ كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً)[1].

٣ - ثقافةُ الدَولة:

من الواضح أن أسمى ازدهار أيّ دولة وأيّ أمّة، إنما يكون بثقافتها وعلمها، وأعظم الحضارات في المجتمعات، هي الحضارة العلمية. فبالعلم حياتها وقوّتها، وبالحكمة ازدهارها ورقيّها.

وهذه الحضارة العلمية، والكيان الثقافي، تبلغ القمة، وتصل إلى أعلى مرتبة في دولة الإمام المهدي عليه السلام، حتّى تكمل عقول العباد، ويُبلغ معالي السداد.

ففي الحديث الباقري عليه السلام: **(إذا قام قائمنا، وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم)**[2].

وفي الحديث الشريف الآخر: **(وتؤتون الحكمة في زمانه، حتّى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله)**[3].

فتمتاز دولة الإمام المهدي عليه السلام على الصعيد الثقافي بمنح فضيلة الحكمة لجميع أفراد الأمّة.

والقرآن الكريم الذي هو مصدر النور والهدى، تعرفه الأمّة الإسلاميّة آنذاك حق المعرفة وبالمعرفة الحقّة.

---

(١) غيبة النعماني: ٢٤٣/ ح ٢٦ .
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٨/ باب ٢٧/ ح ٤٧ .
(٣) غيبة النعماني: ٢٣٩/ ح ٣٠ .

فـفي الحـديث الشـريف عن أمـيـر المؤمنين عليه السلام: **(كـأني أنظـر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة، قد ضربوا الفساطيط، يعلّمون الناس القرآن كما أنزل)**[1].

وفي ظلّ الإمـام المـهدي عليه السلام يسـتـضيء المؤمنون بنور العلم الأكـمل، ويعطون العرفان الأفضل.

فـفي حـديث الإمـام الصـادق عليه السلام: (العـلم سـبـعة وعـشـرون حـرفـاً. فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس، وضمَّ إليها الحرفين. حتّى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً)[2].

وتعرف من هذا الحديث الشريف أن نسبة العلوم التي ظهرت للناس منذ زمن سـيدنـا آدم عليه السلام إلى الرسـول الخـاتم صلى الله عليه وآله وسلم هـي نسـبـة حرفين إلى سبعة وعشرين حرفاً بالرغم من كثرتها ووفُرتها، وتكامل البشر بها.

فما ظنّك بالخمسة والعشرين جزءً الباقية إلى تلك الدولة الزاكية. وهذا أرقى مستوى علم يكون في دولته الكريمة، وقيادته الحكيمة. ولا غرو في ذلك بعد تلك القابلية العقلية والكمال العقلي. فيقذف ويلقي نور العلم في قلوب المؤمنين، كـمـا تلاحظه في خطبـة المخـزون لأمـيـر المؤمنين عليه السلام التي جاء فيها: (ويسير الصديق الأكبر براية الهدى، والسيف ذي الفقار، والمخصرة[3] حتّى ينزل أرض الهجرة مرتين وهي الكوفة. فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطي السماء قطرها، والشجر

(١) غيبة النعماني: ٣١٨/ ح ٣.
(٢) بحار ٥٢: ٣٣٦/ باب ٢٧/ ح ٧٣.
(٣) المخصرة: شيء كالسوط، وما يتوكأ عليه كالعصى.

ثمرها، والأرض نباتها وتتزيّن لأهلها، وتأمن الوحوش حتّى ترتع في طريق الأرض كأنعامهم، ويُقذف في قلوب المؤمنين العلم فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من علم.

فيومئذٍ تأويل هذه الآية: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ﴾[1][2].

ولا عجب في هذا القذف العلمي من أهل البيت عليهم السلام الذين هم مظاهر القدرة الإلهية والكرامة الربانية، كما تلاحظ نظائره في موارده.

مثل القذف والإلقاء، في قضية زاذان أبو عمرو الفارسي في حديث سعد الخفاف، عن زاذان أبي عمرو، قال: قلت له: يا زاذان، إنك لتقرأ القرآن فتحسن قراءته؛ فعلى من قرأت؟

قال: فتبسّم ثمّ قال: إن أمير المؤمنين مرَّ بي وأنا أنشد الشعر، وكان لي خلق حسن، فأعجبه صوتي، فقال: (يا زاذان؟ فهلاّ بالقرآن؟).

قلت: يا أمير المؤمنين، وكيف لي بالقرآن؟ فوالله ما أقرأ منه إلاّ بقدر ما أُصلي به. قال: (فادنُ منّي). فدنوت منه، فتكلّم في أذني بكلام ما عرفته ولا علمت ما يقول.

ثمّ قال: (افتح فاك، فتفل في فيَّ، فوالله ما زالت قدميّ من عنده حتّى حفظت القرآن بإعرابه وهمزه، وما احتجت أن أسأل عنه أحداً بعد موقفي ذلك).

قال سعد: فقصصت قصّة زاذان على أبي جعفر عليه السلام، قال: (صدق

---

(١) النساء: ١٣٠ .

(٢) بحار الأنوار ٥٣: ٨٦/ باب ٢٩/ ح ٨٦ .

زاذان؛ إن أمـيـر المؤمنين عليه السلام دعـا لـزاذان بالاسم الأعظم الذي لا يرد)[1].

فالقرآن الكريم ومعالم أهل البيت عليهم السلام الطيبين تعمّان تلك الدولة الحقّة بالعلم والحكمة.

وتفتحان له الحياة العلمية الزاهرة، في ظلال سليل العترة الطاهرة الإمام المهدي عليه السلام.

فإذا زها العلم وزال الجهل، واقترنت الحياة بهدى كلام الله وأهل البيت كانت السعادة العظمى في الآخرة والدنيا.

٤ - اقتصاد الدولة:

لا شكّ أن من أهم الأمور للتعايش، هو الجانب الاقتصادي بجميع أنحائه، من التجارة، والصناعة، والمصادر المالية.

وهي بمعناها الصحيح، ومستواها الرفيع، ومحتواها الخالي عن المشاكل والمستجمع للفضائل، لا تكون إلاّ في دولة الإمام المهدي عليه السلام، كما تُفصح عنها الأحاديث الشريفة.

ففي حديث أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال: (أبشركم بالمهدي يُبعث في أمّتي على اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض. يقسم المال صحاحاً). فقال له رجل: ما صحاحاً؟

قال: (بالسوية بين الناس)، قال: (ويملأ الله قلوب أمّة محمّد غنى ويسعهم عدله، حتّى يأمر منادياً، فينادي فيقول: من له في المال حاجة؟

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ١٩٥/ باب ١١٠/ ح ٦ .

فما يقوم من الناس إلاّ رجل واحد فيقول: أنا. فيقال له: ائت السادن (يعني الخازن) فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً.

فيقول له: أحث. فيحثي، حتّى إذا جعله في حجره وأبرزه في حجره ندم، فيقول: كنت أجشع أمّة محمّد نفساً، أو عجز عنّي ما وسعهم، فيرده فلا يقبل منه. فيقال له: إنّا لا نأخذ شيئاً أعطيناه).

وفي حديثه الآخر: (ويطاف بالمال في أهل الحواء (أي البيوت المجتمعة من الناس)، فلا يوجد أحد يقبله)[1].

وهذه الأحاديث الشريفة ترشدنا إلى أعظم غناءٍ اقتصادي رشيد في ذلك المجتمع البشري السعيد. غناءٌ في كلا الجانبين الدولة والأمّة.

ثراءٌ في الدولة بحيث تسع خزانتها لحاجات جميع الأمّة. وثراء في الأمّة بحيث لا يحتاج منهم أحدٌ إلى أموال الدولة. وهذا لم يسبق له مثيل ونظير، في جميع الأزمنة والعصور.

٥ - زراعة الدولة:

لا ريب في أن من أعظم أركان الحياة في كل ذي روح وحياة، هي أقواته ومآكله في غذائه ودوائه، في سفره وحضره، وفي صغره وكبره.

ومن المعلوم أنها لا تحصل إلاّ من الحقل الزراعي والنماء الأرضي، الذي يشكّل أعظم جانبٍ من غذاء الإنسان ورخائه، إلى جانب مصادر ماله وثروته.

وهذا الحقل الحياتي إن تحسّن حسنت الحياة وطاب العيش، وإن تدهور -والعياذ بالله- ساءت الحياة وانكدر العيش، وعقّب القحط والشدة، وكانت ضحاياه الأرواح والأنفس.

---

(١) عقد الدرر: ٢١٩ .

والمستوى الأرقى لتحسّن الحقل الزراعي الطبيعي، لم يحصل بعد، ولم يكن إلاّ في عهد دولة الإمام المهدي عليه السلام المباركة.

حيث تبلغ فيها بركات الأرض والسماء الغاية والنهاية، ويعيش الناس فيها العيش الرغيد والسعيد.

ويكفينا لمعرفة ذلك، مراجعة الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المقام، مثل:

١ - حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

(تنعم أمّتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قط؛ ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلاّ أخرجته)[1].

٢ - حديث أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

(فيبعث المهدي عليه السلام إلى أمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس، ويذهب الشر ويبقى الخير، ويزرع الإنسان مدّاً يخرج له سبعمائة مدّ، كما قال الله تعالى: **﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[2])[3].

٣ -حديث الأربعمائة، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(بنا يفتح الله، وبنا يختم الله، وبنا يمحو الله ما يشاء وبنا يثبت، وبنا يدفع الله الزمان الكلب، وبنا ينزل الغيث، فلا يغرنكم بالله الغرور.

ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عز وجل، ولو قد قام

---

(١) عقد الدرر: ١٩٥ .
(٢) البقرة: ٢٦١ .
(٣) شرح إحقاق الحق ٢٩: ٤٤١ .

قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام، لا تضع قدميها إلاّ على النبات، وعلى رأسها زبّيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه)(١).

وهذه الروايات الشريفة تعطينا بوضوح بلوغ النماء الزراعي إلى أقصى قمته الزاهرة، في تلك الدولة المظفرة.

٦ - حضارة الدولة:

من الواضح أن للدولة دوراً كبيراً وتأثيراً بالغاً في بناء الأمّة وصياغة المجتمع. فإذا توصلت الدولة إلى الحضارة الصالحة، صلحت الأمّة وارتقى المجتمع إلى التمدن الصالح.

وقد عرفت أن دولة الإمام المهدي عليه السلام هي القمة: في نظامها، وقضائها، وثقافتها، واقتصادها وزراعتها. فتكون هي الوحيدة التي تبلغ أرقى الحضارات وأقوى الإمكانيات التي لم يتوصل إليها تاريخ العالم.

حضارة مثلى، يمنحها رب السماوات العلى، ويرعاها بقية الله العظمى. حضارة السماء في الأرض. حضارة بريئة من كل شين ورين.

الحضارة التي كان يرضاها الله تعالى لأمّة الرسول، والتي نطقت بها الزهراء البتول عليها السلام في احتجاجها على نساء المهاجرين والأنصار، حيث قالت عليها السلام: (**ما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه شدة وطأته ونكال وقعته**).

---

(١) الخصال: ٦٢٦/ ح ٤٠٠ .

٧ - تكامل الدولة:

من المكارم الخاصة بدولة الإمام الحجة عليه السلام التكامل الأبهى في كلا المجالين الروحي والبدني.

فمضافاً إلى الكمال الروحي في ذلك العصر بالنفوس الزاكية والمعنويات الراقية، والشخصيات المتشبّعة بالعلم والحكمة.

كما في الحديث المتقدم عن الإمام الباقر عليه السلام: (**إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم**)[١].

مضافاً إلى ذلك يتحقق التكامل العضوي، والسلامة البدنية، إلى أقصى حدّ وغاية.

● من تطورات الحياة في عصر الإمام المهدي عليه السلام:

١- رؤية المؤمنين للملائكة:

عن محمد بن فضيل، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: إذا قام القائم يأمر الله الملائكة بالسلام على المؤمنين والجلوس معهم في مجالسهم، فإذا أراد واحد حاجة أرسل القائم من بعض الملائكة أن يحمله، فيحمله الملك حتى يأتي القائم، فيقضي حاجته ثم يرده، ومن المؤمنين من يسير في السحاب، ومنهم من يطير مع الملائكة ومنهم من يمشي مع الملائكة مشياً، ومنهم من يسبق الملائكة، ومنهم من يتحاكم الملائكة إليه، والمؤمن أكرم على الله من الملائكة، ومنهم من يصيره القائم قاضياً بين مائة ألف من الملائكة)[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٨/ باب ٢٧/ ح ٤٧ .
(٢) إثبات الهداة: ٣/٥٧٣ . في دلائل الإمامة/ ٢٤١ .

٢- المؤمن يُحيي الموتى بإذن ربه:

عن المفضل بن الثاني، عن أبي عبد الله قال: إذا قام القائم استنزل المؤمن الطير من الهواء فيذبحه فيشويه ويأكل لحمه ولا يكسر عظمه، ثم يقول له إحْيَ بإذن الله فيحيا ويطير، وكذلك الظباء من الصحارى، ويكون ضوء البلاد ونورها ولا حتاجون إلى شمس ولا قمر، ولا يكون على وجه الأرض مؤذ ولا شر ولا سم ولا فساد أصلاً، لأن الدعوة سماوية ليست بأرضية، ولا يكون للشيطان فيها وسوسة ولا عمل ولا حسد ولا شئ من الفساد ولا تشوك الأرض والشجر، وتبقى الأرض قائمة كلما أخذ منها شئ نبت من وقته وعاد كحاله. وإن الرجل ليكسو ابنه الثوب فيطول معه كلما طال ويتلون عليه أي لون أحب وشاء. ولو أن الرجل الكافر دخل جحر ضب أو توارى خلف مدرة أو حجر أو شجر لأنطق الله ذلك الشئ الذي يتوارى فيه حتى يقول يا مؤمن خلفي كافر فخذه، فيؤخذ ويقتل. ولا يكون لإبليس هيكل يسكن فيه والهيكل البدن، ويصافح المؤمنون الملائكة ويوحى إليهم ويحيون الموتى بإذن الله). قالوا يأتي على الناس زمان لا يكون المؤمن إلا بالكوفة أو يحن إليها)[1].

٣- الإمام يجمع كنوز الأرض:

في حديث ابن مسعود: يوشك أن ترمي الأرض بأفلاذ كبدها مثل الأواس: هي السواري والأساطين أي تخرج الأرض ما فيها من الذهب والفضة مثل الأعمدة .

---

(١) وإثبات الهداة: ٣/٥٧٣، أوله كما في دلائل الإمامة، وحلية الأبرار: ٢/٦٣٥، عن مناقب فاطمة. دلائل الإمامة/٢٤٦ .

٤- يحيي الله به الأرض بعد موتها:

عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾. أي يحييها الله بعدل القائم عند ظهوره بعد موتها بجور أئمة الضلال)[1].

٥- يشمل الغنى كل الناس:

يشمل الغنى كل الناس فلا يقبل أحد صدقة، عن الإمام الصادق عليه السلام: (وتظهر الأرض من كنوزها حتى يراها الناس على وجهها ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته، فلا يجد أحدا يقبل منه ذلك، واستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله)[2].

٦- يوزع الإمام عليه السلام الأراضي من جديد:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالنزول على أهل الذمة ثلاثة أيام، وقال: إذا قام قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع). القطائع: جمع قطيعة، وهي الأرض الزراعية، أو غيرها من الثروات والمنافع التي يعطيها الحكام للمقربين منهم، وتسمى أيضاً إقطاعات[3].

٧- يسع عدله البر والفاجر:

يسع عدله البر والفاجر والرخاء في عصره البَرَّ والفاجر، عن بشر بن غالب الأسدي قال: حدثني الحسين بن علي عليهما السلام قال قال

(١) مختصر إثبات الرجعة/٢١٦ .
(٢) الإرشاد/٣٦٣ .
(٣) قرب الإسناد/٣٩ .

لي: يا بشر بن غالب من أحبنا لا يحبنا إلا لله، جئنا نحن وهو كهاتين، وقدر بين سبابتيه، ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر)[1].

٨- رحيم بالمساكين:

رحيم بالمساكين شديد على المسؤولين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان: ٢/١٦٠، عن علي عليه السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: المهدي من أهل بيتي جواد بالمال رحيم بالمساكين).

٩- رزق وحكمة:

عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: كأنني بدينكم هذا لا يزال مولياً يفحص بدمه ثم لا يرده عليكم إلا رجل منا أهل البيت فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

١٠- يرتقي الوضع الصحي للناس والمؤمنين خاصة:

عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام، أنه قال: إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهة، ورد إليه قوته. «وجعل قلوبهم كزبر الحديد، قوة كل رجل قوة أربعين رجلاً»[3] .

(١) في المحاسن/٦١ .
(٢) وعنه حلية الأبرار: ٢/٦٤٢، والبحار: ٥٢/٣٥٢ .
(٣) البحار: ٥٢/٣١٦ .

١١- تصطلح السباع:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كأني بأصحاب القائم عليه السلام وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شئ إلا وهو مطيع لهم، حتى سباع الأرض، وسباع الطير، يطلب رضاهم في كل شئ حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مر بي اليوم رجل من أصحاب القائم عليه السلام)[١].

١٢- يتغير نوع الطاقة والإضاءة:

يتغير نوع الطاقة والإضاءة في عصر الإمام عليه السلام وتدل أحاديث على تغير في نوع النور والطاقة ومصدرهما، والطرق العلمية لذلك عديدة . ففي تفسير القمي: ٢/٢٥٣، عن المفضل أنه سمع الإمام الصادق عليه السلام يول في قوله تعالى: وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا: رب الأرض يعني إمام الأرض، فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام.

وفي دلائل الإمامة/ ٢٤١ و٢٦٠، عن المفضل بن عمران الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وصار الليل والنهار واحداً وذهبت الظلمة، وعاش الرجل في زمانه ألف سنة يولد في كل سنة غلام لايولد له جارية، يكسوه الثوب فيطول عليه كلما طال ويتلون عليه أي لون شاء.

أقول: إن صح هذا الحديث فمعناه أن معدل عمر يرتفع وأنه يمكن

---

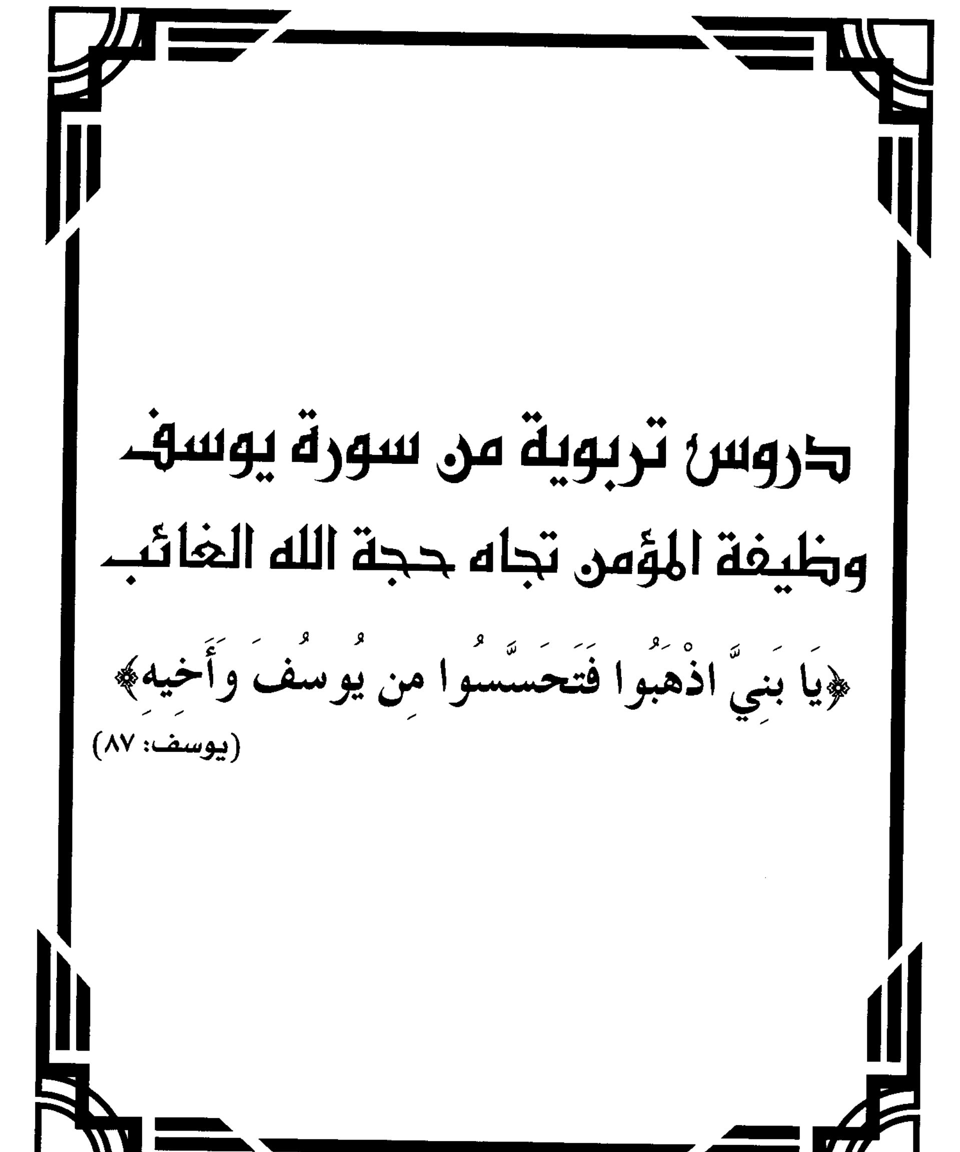
(١) وعنه إثبات الهداة:٣/٤٩٤، والبحار: ٥٢/٣٢٧ .
(١) البحار: ٥٢/٣٧٤ .



التحكم في نوع المولود، وأنه يوجد من يفضل الصبي على البنت فيولد له ألف ذكر.

١٣- ينظم الإمام موسم الحج وقوانين السير:

عن أحمد بن محمد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أول ما يظهر القائم من العدل أن ينادي مناديه أن يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الأسود والطواف)[1].



دروس تربوية من سورة يوسف
وظيفة المؤمن تجاه حجة الله الغائب

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾
(يوسف: ٨٧)

دروس تربوية من سورة يوسف

جاء في زيارة الامام المهدي عج:

«فلو تطاولت الدهور وتمادت الأعصار، لم أزدد بك إلا يقيناً، ولك إلا حباً، وعليك إلا اعتماداً، ولظهورك إلا توقعاً، ومرابطة بنفسي ومالي وجميع ما أنعم به علي ربي، فإن أدركت أيامك الزاهرة، وأعلامك الظاهرة ودولتك القاهرة، فعبد من عبيدك، معترف بحقك، متصرف بين أمرك ونهيك، أرجو بطاعتك الشهادة بين يديك، وبولايتك السعادة فيما لديك، وإن أدركني الموت قبل ظهورك فأتوسل بك إلى الله سبحانه أن يصلي على محمد وآل محمد، وأن يجعل لي كرة في ظهورك، ورجعة في أيامك، لأبلغ من طاعتك مرادي، وأشفي من أعدائك فؤادي».

● **إثبات انتظار الفرج:**

النبيّ يعقوب عليه السلام كان أمله وطيداً وشديد، وذلك ليقينه بروح الله وبقدرته وأنَّه لا يخلف وعده.

هذه كلّها دروس في إثبات انتظار الفرج، وأنَّ انتظار الفرج أفضل أعمال هذه الأمّة كما ورد في الحديث النبوي، وأيضاً نلاحظ هناك درساً تربوياً آخر يذكره القرآن الكريم في مواقف النبيّ يعقوب، ألا وهو شدّة تعلّقه وانشداده بابنه الغائب الموعود بكونه المصلح المنجي المنقذ للبشرية، فمن شدّة تعلّقه به أن وصل به الأمر إلى كثرة البكاء، وكثرة البكاء جرَّت إلى ابيضاض العين وهو عمى العين، ممَّا يدلّل على أنَّه يُفتدى في حبّ الأولياء والحجج، ويُسترخَص في سبيل الفضيلة كلّ غالٍ ونفيس.

بل ويعظم ويكرم من شأنه أن يبذل في سبيل الفضيلة، فكيف بمن

حثَّ الله على مودّتهم وهم قربى النبيّ ﷺ وجعَلَها عدل أجر الرسالة، ممَّا يدلّل على أنَّ هذه الشدّة من التعلّق مؤكّدة وموطّد لها كما في سنن الأنبياء هو هذا التعلّق من النبيّ يعقوب بالنبيّ يوسف ليس تعلّقاً لمجرَّد قدرة الخيال ومراحل الواهمة أو إسطورية الخيال وما شابه ذلك، بل هذه عبر وسنن أرادها الله عز وجل أن يستنّ بها الآخرون، إذ هو أن نقتدي بها من النبيّ يعقوب في كيفية تعلّقه وحبّه بالوليّ الغائب الموعود وهو وليّ الله وحجّته في ذلك الزمن.

وفي تلك الحقبة لإنجاء البشرية، وهذا درس تربوي، وهو أنَّ هذا الإنشداد ولو بلغ إلى ابيضاض العين فهو محمود وهذه فضيلة وهذه مكرمة وكرامة، فكيف بالمودّة التي قد أعظم الله في بيانها حيث جعلها عدل الرسالة التي فيها التوحيد وفيها النبوّة وفيها المعاد وفيها أصول الدين حيث جعلها في كفّة وجعل مودّة أهل البيت عليهم السلام في كفّة.

● أهل البيت هم أهل المودة:

وهذا بيان وتعظيم كبير للمودّة، فهي فريضة لا تعدلها بقيّة الفرائض بعد التوحيد والنبوة والمعاد، فريضة المودّة لذي القربى وهم أهل البيت، وهذا نوع من التشديد في فريضة المودّة، وقد بيَّن القرآن أنَّ من شواكل المودّة اشتداده، كالذي جرى بين النبيّ يعقوب والنبيّ يوسف، فإنَّ من يريد أن يفهم سنن الله في أنبيائه والعبر التي يوحي بها القرآن الكريم ليعلم بأنَّ هذا الدرب محمود العاقبة رفيع الفضيلة وهو الذي أوصى به القرآن الكريم وهذه الوظيفة في الواقع هي التعلّق بالإمام المهدي الغائب عليه السلام، كيف لا وهو آخر العترة من ذوي القربى، المأمورون نحن بمودّتهم وبالتعلّق بهم والاعتقاد بهم.

• لماذا أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج؟

لأنَّ انتظار الفرج يحمل في طيّاته تمام الاعتقاد بقدرة الله عز وجل وبغابر تدبيره وثاقب أمره، ونافذ قضائه الذي لا يحيط به البشر، في الحقيقة يعني نوعاً من التعايش التوحيدي لقدرة الله تعالى، أمَّا الذي يكذّب وينكر تدبير وجود وليّ الله عليه السلام وأنَّه في كبد الحدث والتصدّي لهذه الأدوار، وأنَّ الله سيظهره في حلقة نهائية، فهو انقطاع عن الحالة التوحيدية بالدرجة المشبعة التي يتعايش بها قلب الإنسان.

إنَّ الإنسان إذا استطاع أن يتعايش مع جوّ توحيدي مفعم كما تعبّر عنه وتربّينا عليه هذه الآيات الكريمة في ظاهرة غيبة النبيّ يوسف، كقوله تعالى: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** (يوسف: ٨٣)، وقوله: **﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** (يوسف: ٨٦ و٨٧).

فالصبر تارة يكون جميلاً وتارة يكون غير جميل، الصبر الجميل الذي يكون مع وقار وطمأنينة واستبشار، ولربَّما هناك صبر مع معان أُخر، فرغم غيبته وطولها إلاَّ أنَّه موعود بالبشارة.

فهذه محطّة مهمّة توجب على الأمّة أن لا تيأس ولا يصيبها الهوان إذا غاب عنها وليّها، بل مهما طالت غيبة حجج الله المبشَّرين بأنَّهم سيكونون المصلحين والمنقذين للبشر، لأنَّ غيبتهم غيبة الشعور بهم، غيبة المعرفة بهم، سواء قصرت هذه الغيبة أم طالت فلا بدَّ أن يأتي ذلك اليوم الذي يأخذ به الأولياء المغيَّبون دورهم الطبيعي العلني وبشكل شامل يعمّ البشرية.

هذه وقفة مهمّة في غيبة النبيّ يوسف يعظنا بها القرآن الكريم، وهي غيبة عقائدية وممارسة أخلاقية وأدبية هامّة جدّاً، وأيضاً الآيات الأخرى، يقول تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ﴾(يوسف: ٨٤ و٨٥).

يخاطبون يعقوب ألا زلت إلى الآن تذكر يوسف الموعود؟ إلى الآن متعلّق قلبك بهذا الغائب المبشّر بأن يكون مصلحاً وموعوداً وممكّناً في الأرض؟ إلى الآن مع طول هذه المدّة؟ هذا أمر مهمّ يجب أن نلتفت إليه، حيث قصَّ لنا القرآن الكريم موقف النبيّ يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾(يوسف: ٨٣)، ﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

• وظيفة المؤمن تجاه حجّة الله الغائب :

يعلّمنا النبيّ يعقوب عليه السلام وظيفة المؤمن تجاه حجّة الله الغائب، ووليّ الله الموعود بأنّه المصلح المنقذ للبشرية، لا بدَّ أن تكون هناك شدّة تعلّق وشدّة تذكّر وشدّة ندبة للحقّ والإيمان؛ لأنَّ هذا الإيمان بوليّ الله الغائب ومعرفتنا به لا يبقى ولا يستمرّ إلاَّ في ظلّ التشديد والتركيز من التعلّق والأمل، لذلك نرى هنا الآيات الكريمة تركّز على هذه النقطة من مواقف النبيّ يعقوب عليه السلام في ظلّ غيبة النبيّ يوسف، وهنا يعلّمنا القرآن الكريم الموقف تجاه وليّ الله الغائب ومعرفتنا به، الغائب شعورنا به وبهويته، أنّه لا يدعونّكم ذلك إلى الانقطاع والفتور عن ذكره والتعلّق به والدعاء له بالفرج، فلا بدَّ من كلّ ذلك، فقد ورد عن مدرسة أهل

البيت (عليهم السلام) دعاء الندبة الذي يستحبّ قراءته كلّ جمعة، بل كلّ عيد، بل كلّ يوم، لماذا؟

● دعاء الندبة لماذا؟

لأنَّ الندبة دعاء وشكوى وتعلّق. وإذا كان لكلّ إمام من الأئمّة عليهم السلام مجلس عزاء لما انتابه من مصائب وقتل وظلم وتشريد وأنواع المصائب، فإنَّ مجلس مصاب الحجّة عليه السلام هو شدّة معاناة الغيبة، فدعاء الندبة يحمل عدّة معانٍ في طيّاته، فهو مجلس عزاء لهذه المصائب التي ابتلي بها إمامنا المهديّ الحجّة ابن الحسن عليه السلام، فيجب أن نقيم مثل هذا العزاء في الواقع.

أوَ لا نرى ماذا يحدّثنا القرآن الكريم وكيف يربّينا على التعلّق بمن نعتقد ونؤمن به، إذ لا تخلو الأرض من خليفة لله، بنصّ القرآن الكريم حيث يقول: **﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** (آل عمران: ٧)، وأهل البيت هم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب، وهم قرناء القرآن دائماً وأبداً بنصّ قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾** (الواقعة: ٧٧-٧٩)، وهم المطهَّرون لقوله تعالى: **﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** (الأحزاب: ٣٣).

فإذن أهل البيت مقرونون بالقرآن، ولا بدَّ من وجود فرد منهم مع البشرية إلى يوم القيامة ويبقى ما بقي القرآن الكريم.

فالاعتقاد بهذه الحقائق والعقائد القرآنية لا بدَّ أن يرتسم ويتجسَّد في سلوكنا، وذلك من خلال التعاطي مع هذه الحقائق الإيمانية القرآنية من وجود خليفة لله في الأرض على مرّ الزمان من بدء الخليقة إلى منتهاها يُزوّد بالعلم اللدنّي وهو علم الأسماء، وكثير ممَّا تطالعنا به

الآيات القرآنية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧)، فلكلّ قوم هاد من الله يهديهم، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٦ و٧).

أولئك هم الهداة المبعوثون المنصوبون من قِبَل الله تعالى لهداية البشرية، هذه حقائق وعقائد قرآنية لا نتخلّى عنها، بل نستمسك بها، وهي في أهل بيت نبيّه الذين طهَّرهم وجعلهم قرناء في سورة الواقعة مع الكتاب المكنون: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، هذه العقائد كيف تترجم في سلوكنا العملي؟

يعلمنا القرآن الكريم هنا ما قام به النبيّ يعقوب تجاه النبيّ يوسف الغائب: ﴿قَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾، يظهر التحسّر، كما نقرأ في دعاء الندبة من إظهار الشكوى وإظهار التأسف: «هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَسَاعَدَتْهَا عَيْنِي عَلَى الْقَذَى، هَلْ إِلَيْكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقَى».

أنظر هذه التربية من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، هي سُنّة من القرآن الكريم، من النبيّ يعقوب تجاه النبيّ يوسف، هذه السنن الإلهية ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ للمؤمنين وليس للمكذّبين اليائسين القانطين من قدرة الله ومن روح الله، سنن إلهية نتّعظ بها ونتدبّره، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمّد: ٢٤)، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧)، أنظر إلى موقف النبيّ يعقوب المؤمن بوعد الله وبإنجاز ذلك الوعد في المصلح، لا يُحبِط من إيمانه استهزاءُ المستهزئين، ولا يضعف من يقينه ولا من أمله تكذيبُ المكذّبين واستهزائهم، ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(يوسف: ٨٤)، لاحظ هنا التشوّق إلى أن عميت عيناه.

الغريب أنَّ البعض يأخذ علينا إظهارنا لمودّة أهل البيت والعزاء على

مصائبهم، ويتناسون أنَّ القرآن أمرنا بهذه الفريضة العظيمة: **﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾**(الشورى: ٢٣)، وفسَّر القرآن الكريم المودّة في سورة التوبة بأنَّها في مقابل العداوة، لتعرف الأشياء بأضداده، فعندما يفسّر العداوة يكون القرآن قد فسَّر لنا المودّة، **﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾**(التوبة: ٥٠)، فإذا كان يعادي النبيّ وأهل بيته فهو يفرح عند مصابهم، ويستاء عندما تصيبهم حسنة.

فالمودّة هي: «**يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»، وهذه فريضة عظيمة قد أمرنا بها القرآن الكريم، فانظر مودّة النبيّ يعقوب للغائب ابنه الذي هو الموعود المُنجي للبشر، حيث بلغ منه الحزن والتعلّق والتشوّق إلى وليّ الله إلى أن تبيضّ عيناه ويعمى. فهل نستكثر البكاء والرثاء على سيّد الشهداء عليه السلام سبط المصطفى وريحانة النبيّ وسيّد شباب أهل الجنّة، أو نستكثر عليه اللطم وإظهار الجزع!؟ فهذا النبيّ يعقوب هكذا فعل بنفسه تجاه ولده، وهم كذلك يستكثرون علينا أن نتعلَّق بشدّة بالإمام المهدي وإظهار الندبة والحزن لفقده، فمع علم يعقوب بأنَّ ابنه الغائب يقوم بتلك الأمور والأدوار المفصلية في نظام البشر، إلاَّ أنَّه قال: **﴿يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾**، ولكنَّ المستهزئين والمهرّجين قالوا: **﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾**، يعني أنت إلى الآن متعلّق به! إلى الآن مؤمن به! إلى الآن لك أمل به! **﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾**، أعلم من الله بأنَّ هذا الوعد بعلم من الله، ورؤيا الأنبياء وحي، والوحي من الله لا يكذب ولا يكذّب أنبياءه، **﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾**.

فهذا موقف مهمّ لوظائف المؤمنين بحجّة الله الغائب في زمن الغيبة، أن لا يضعف إيمانهم ولا يضعف تعلّقهم ما داموا على برهان وبيّنة من ربّهم، وأنَّ هذا الأمر وهذا التعلّق وهذا الانشداد إلى وليّهم الغائب لا يؤثّر فيه استهزاء المستهزئين أو تهريج المكذّبين الذين لا يدركون آيات الله وبيّناته وحقائقه القرآنية.

جاء في أحد زيارات الإمام المهدي عجل الله فرجه: «**فلو تطاولت الدهور وتمادت الأعصار، لم أزدد بك إلا يقيناً، ولك إلا حباً، وعليك إلا اعتماداً، ولظهورك إلا توقعاً، ومرابطة بنفسي ومالي وجميع ما أنعم به علي ربي، فإن أدركت أيامك الزاهرة، وأعلامك الظاهرة ودولتك القاهرة، فعبد من عبيدك، معترف بحقك، متصرف بين أمرك ونهيك، أرجو بطاعتك الشهادتين بين يديك، وبولايتك السعادة فيما لديك، وإن أدركني الموت قبل ظهورك فأتوسل بك إلى الله سبحانه أن يصلي على محمد وآل محمد، وأن يجعل لي كرة في ظهورك، ورجعة في أيامك، لأبلغ من طاعتك مرادي، وأشفي من أعدائك فؤادي**».

● اسلوب الندبة والبكاء أهم وسيلة للقاء :

نقف قليلاً متأمّلين في بكاء يعقوب النبي عليه السلام على إبنه يوسف الصدّيق عليه السلام، البكاء الذي جاءت بتفاصيله الآيات المباركة في قوله سبحانه: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.

فقد ابيضّت عيناه من كثرة البكاء، أي أصيب بالعمى، فقد جاء عن مقاتل أنه عمي ست سنين، وقد رافق ذلك البكاء حزن طويل ﴿**فَهُوَ**

كَظِيمٌ﴾، أي مليء بالهمّ والحزن ممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه. وقد بلغ من حزنه وبكائه أنّ المحيطين به ضاقوا به ذرعاً، فقالوا: لا تزال تذكر يوسف **﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾** فاسدَ العقل أو مشارفاً على الموت، **﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾** الميتين.. وإنما قالوا ذلك لتبرّمهم من بكائه أو لإشفاقهم عليه، وهذا يعني أنه عليه السلام صنع قضية من خلال بكائه على ابنه.

إنه فعلاً بكاء مرّ وحزن طويل لدرجة حين سئل عنه الإمام الصادق عليه السلام، حيث قيل له: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين حَرّى ثكلى (أم مفجوعة بموت ولدها).

بكى هذا البكاء الطويل مع علمه ببقاء يوسف على قيد الحياة، فقد روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن حسان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر الباقر سلام الله عليه قال: قلت له: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده **﴿اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾** أكان عَلِمَ أنه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه من البكاء عليه؟

قال عليه السلام: نعم علم أنه حيّ حتى أنه دعا ربَّه في السحر أن يهبط عليه ملك الموت في أطيب رائحة وأحسن صورة، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت أليس سألت الله أن ينزلني عليك؟ قال: نعم. قال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها جملة أم تفريقاً؟ قال: يقبضها أعواني متفرقة ثم تعرض عليّ مجتمعة.

قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحق ويعقوب هل عرض عليك في الأرواح روح يوسف؟ قال: لا .فعند ذلك علم أنه حيّ، فقال لولده: **﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾**.

فإذا كان نبي الله يعقوب عليه السلام يبكي إلى هذه الدرجة مع علمه بوجود ابنه وأنه سيعود إليه عزيزاً مكرّماً: **﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾**، فلابد أن يكون وراء ذلك سبب مهمّ، فما هو؟ لقد أفصحت عنه الآيات في صدر سورة يوسف عليه السلام، حيث جاء على لسان أبناء يعقوب: **﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾**.

إن إخوة يوسف لما رأوا اهتمام أبيهم به، تآمروا عليه بهدف محو اسمه من ذاكرته بأي طريقة، إما عبر القتل (اقتلوا يوسف) أو تغييبه في أرض بعيدة ليهلك (أو اطرحوه أرضاً).. فكلمة «يخلُ» في قوله تعالى **﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾** يستفاد منها أنهم كانوا يطمحون إلى إلغاء شخصية يوسف ونسفها من حياة يعقوب عليه السلام ليصفو لهم الجو، لكن حين أكثر يعقوب من البكاء على ابنه مدة عشرين سنة أفشل مؤامرتهم وحافظ على ذكر يوسف، بل تعاظم ذكره في الآفاق، لأنه صنع من اختفائه حدثاً عظيماً عبر البكاء.وذلك عين ما نقوم به حين نبكي على الإمام الحسين عليه السلام، إذ إن القوى المعادية للإمام الحسين صلوات الله عليه كانت تهدف إلى محو ذكر أهل البيت عليهم السلام وطمس أيّ أثر لهم، كما ظهر في تصريحاتهم المشهورة: «**لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية**» «**لا والله إلا دفناً دفناً**» .

ولهذا قالت الحوراء زينب عليها السلام لابن أخيها السجاد عليه السلام وهي على ظهر الناقة: «**وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وطمسه...**». وقالت مخاطبة يزيد في مجلسه: «**فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا**».

وفي حلية الأولياء بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن جعفر بن محمد

قال: سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه: فقال: لا تلوموني فإن يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات وقد نظرت إلى أربعة عشرة رجلا من أهل بيتي قتلى في غزاة واحدة أفترون حزنهم يذهب من قلبي. وفي مناقب ابن شهرآشوب عن الصادق عليه السلام بكى علي بن الحسين على أبيه عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف أن تكون من الهالكين قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة.

فقد كان الأعداء يهدفون إلى طمس ذكر أهل البيت عليهم السلام، وكان البكاء هو الوسيلة المناسبة التي تحافظ على ذلك الذكر عبر الأجيال، فهو أشبه بتحدٍّ لتلك القوى وإصرار على التمسك بحبل أهل البيت وبقضيتهم مهما طال الزمان.. ولهذا أكد الأئمة عليهم السلام على شيعتهم أن يواصلوا البكاء والتباكي على الحسين عليه السلام بلا انقطاع.

ولهذا أكد الأئمة عليهم السلام على البكاء والتباكي على الإمام الحسين عليه السلام بلا انقطاع وكما جاء في دعاء الندبة «**فعلى الاطائِبِ مِن اهلِ بيتِ محمدٍ وعلِي صلى الله عليهما وآلِهما فليبكِ الباكون، وإياهم فليندبِ النادِبون، ولِمثلِهِم فلتذرِفِ الدموع، وليصرخِ الصارِخون، ويضج الضاجون، ويعِج العاجون، أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسينِ، صالحٌ بعد صالحٍ، وصادِقٌ بعد صادِقٍ، أين السبيل بعد السبيلِ، أين الخيرة بعد الخيرةِ، أين الشموس الطالِعة، أين الاقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهِرة، أين اعلام الدينِ وقواعِد العِلمِ، أين بقِية اللهِ التي لا تخلو مِن العِترةِ الهادِيةِ، اين المعد لِقطعِ دابِرِ الظلمةِ، أين المنتظر لاِقامة الامتِ ولعِوجِ، أين المرتجى لاِزالةِ الجورِ والعدوانِ**».

● **دعاء الندبة:**

من الأدعية المهمة والمؤثرة في تعجيل ظهور الإمام والمخصوص ليوم الجمعة هو دعاء الندبة. هذا الدعاء يخلق من الداعي إنساناً عاشقاً عارفاً لإمامه، فالمنتظر الحقيقي عليه احترام ليلة الجمعة ويومها، لأن يوم الجمعه يوم بشرنا فيه بظهور الإمام المهدي عليه السلام، وفي يوم الجمعة ولد الامام المهدي عليه السلام وفي يوم الجمعه انتقلت الإمامه اليه بعد وفاة أبيه العسكري عليه السلام، فالمنتظر يعتبر نفسه في هذا اليوم في ضيافة الإمام المهدي، فيمتنع فيه من الحرام واللهو فانه تحت إشراف الإمام، ويكون مستعداً قلباً وقالباً لظهوره في هذا اليوم.

● **زياره آل ياسين:**

هذه الزياره من الزيارات الموثوقه السند، ومن الموكد قراء تها لمن يريد التوجه والتوسل بالإمام المهدي عليه السلام، وقراءة هذه الزياره تحتاج إلى أدب وخشوع في الجوارح والقلب، فمن يريد أن يحتفظ بارتباط الروحي مع الإمام عليه السلام عليه المداومة يومياً على زياره آل ياسين.

آثار الدعاء لتعجيل ظهور الإمام:

١- الثبات علي الولاية:

قال الإمام العسكري عليه السلام: والله ليغيبن غيبه لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه.

٢- الفوز بشفاعه رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الرسول صلى الله عليه وآله: أربعه أنا الشفيع لهم يوما القيامه ولو أتوني بذنوب

أهل الأرض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده.

إن الدعاء لإمام الزمان عليه السلام يعتبر تلبية لحاجة فهو عليه السلام قال: وكثروا الدعاء بتعجيل الفرج.

٣- الرجوع إلى الدنيا وقت الظهور.

ورد عن الصادق عليه السلام: ما من مومن يتمني خدمته المهدي عليه السلام ويدعو لتعجيل فرجه الا اتاه آت علي قبره وناداه باسمه: يا فلان قد ظهر مولك صاحب الزمان فإن شئت فقم واذهب إلى حضره الإمام وإن شئت فنم إلى يوم القيامة، قال عليه السلام: فيرجع إلى الدنيا خلق كثير ويولد لهم من نسلهم بنون.

٤- استجابه الدعاء:

إن الذنوب التي يرتكبها الإنسان تمنع من استجابه دعائه! فقد ورد في دعاء كميل: اللهم اغفر لي الذنوب التي تحجب الدعاء.

فان الدعاء للامام المهدي يغفر الذنوب الداعي وبالتالي يصبح دعاوه مستجابا فلذلك يجب علي الداعي ان يدعو لامامه عليه السلام ثم يدعو لنفسه فتستجاب دعوته لان ذنوبه قد غفرت.

يقول السيد ابن طاووس رضي الله عنه: فايك ثم ايك أن تقدم نفسك أو أحداً من الخلائق في الولاء والدعاء له -الإمام المهدي عليه السلام- بابلغ الامكان واحضر قلبك ولسانك في الدعاء لذلك المولي العظيم الشان، وايك أن تعتقد أني قلت هذا لأنه محتاج لدعائك، هيهات هيهات، إن اعتقدت هذا فإنك مريض في اعتقادك وولائك بل أنا قلت هذا لما عرفتك من حقه العظيم عليك وإحسانه الجسيم إليك ولأنك اذا دعوت له قبل

الدعـاء لنفسك ولما يضـر عليك، كـان اقـرب إلـى أن يفـتح الله أبواب الإجـابه بين يديك لأن أبواب قـبـول الدعـوات قـد غلقـتهـا ايهـا العبـد باغـلاق الجنايات، فـاذا دعـوت لهذا المولي الخاص عنـد مـالك الأحيـاء والامـوات يـوشك أن يفتح أبواب الاجـابه لأجله فـتدخل أنت في الـدعـاء لنفـسك ولمن تدعـو له في زمـره فـضله! وتتـسع رحـمـه الله وعنايتـه بك تعلقك في الدعاء بحبه.

٥- الفوز بحب الله :

وقـد ورد فـي الحـديث ان رسـول الله ﷺ سـئل: من أحب الـنـاس إلـى الله؟ فقال ﷺ: **أنفع الناس للناس.**

لا شك أن الدعـاء لتعـجيل فـرج إمـام الزمـان عليه السلام يسـتـفـيـد منه كل الناس، لأن هذا الدعـاء له مـدخليه في تحقق الظهور، فإذا ظهـر سـلام الله عليه يملأ الأرض بأجمعها قسطاً وعدلاً، والداعي للإمام عليه السلام ينفع الناس بدعائه فهو أحب الناس إلى الله تعالى.

وبهذا يكون لدعاء الفرد بركات علي المجتمع بل الناس اجمعين.

٦- يحشر مع الإمام الحسين عليه السلام :

قـال الإمـام الحسين عليه السلام لأصـحـابه في كـربـلاء: **ومن نصـرنا بـنفسه فـيكون مـعنا في الـدرجات العـاليه مـن الجنان فـقـد أخبـرني جـدي أن ولدي الحسين عليه السلام يقتل بطف كربلاء غريباً وحيداً عطشاناً، فمن نصره فقـد نصـرني ونصـر ولده القـائم عليه السلام، ومن نصـرنا بلسـانه فإنـه في حزيـنا في القيامه.**

● **رسالة الإمام للشيعة:**

يذكر أن في تاريخ ١٤١٠هـ أرسل الإمام المهدي عليه السلام رساله إلى شيعته في لبنان.

ينقل أنه كانت تقام مجالس الإمام الحسين عليه السلام في أحد مساجد لبنان ويسمي المسجد باسم السيدة نرجس عليها السلام. ويقول أمام الجماعة لهذا المسجد: وقد قرروا صندوقاً في هذا المسجد لجمع الأموال ممن يحب أن يتبرع لأجل وجبات محرم، وخاصة الإطعام باسم أبي الفضل العباس عليه السلام ومفتاح الصندوق كان عند صاحب المسجد، وفتحه الصندوق ضيقة جداً يكفي فقط لإدخال ورقه من المال.

فبعد فتره من الزمن عندما فتحنا الصندوق لجمع المال رأينا فيه رساله وداخلها حلاوة، وتعجبنا فإن الرساله لا يمكن إدخالها في فتحه الصندوق لضيقها، إذن فدخولها بإعجاز. فتحنا الرسالة فكان مكتوب فيها هكذا: **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ أنا المهدي المنتظر، أقمت الصلاه في مسجدكم، وكلت مما كلتم ودعوت لكم، فادعوا لي بالفرج.**

هنا لا بد من ذكر عده نقاط:

الأولى: حضوره عليه السلام إلى المسجد: إن من أهم العوامل التي تساعد على تكامل المُنتَظر للإمام **هو إحساسه بوجود** وحضور الإمام المهدي في كل لحظه وفي كل زمان ومكان. والدليل هو أن العقل يدرك ويعلم أن الله شاهد على أعمال الإنسان وهو الذي يمكنه أن يهب هذه القدره لمن يريد من عباده. والروايات تؤكد أن الله قد وهب قدرة الإحاطه بأعمال العباد والإشراف عليهم للائمه المعصومين عليهم السلام وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام صاحب الزمان.

وبالإضافة إلى ذلك فان العقل الإنساني يدرك هذه الحقيقه وهو من أجل تربيه الإنسان لا بد أن يجعله تحت إشراف وإحاطة المربي في كل لحظة وذلك المربي يراقب أعماله ويصحح أخطاءه كما هو حال الطفل الصغير مع والديه فانه بحاجة إلى إشرافهما لأجل تربيته حتى يصل إلى سن الرشد، وكذلك الإنسان إذا أراد أن يصل إلى الرشد الإنساني فلا بد أن يكون تحت إشراف مرب روحي. قال تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾.

يعني أن أعمالكم محط مراقبه الله ورسوله والمؤمنين، والمقصود من (المؤمنون) هم الأئمه عليهم السلام.

وكما أن الطفل لو شعر أن والديه يراقبانه فإنه يحتاط من إرتكاب الخطأ، وإحساسه هذا يربيه ويعدل سلوكه، فكذلك المنتظر من أجل أن يصل إلى أعلى مراتب الإنسانيه عليه أن يدرك ويتحسس هذه الحقيقه بأن إمام زمانه يراقبه ومرتبط به.

وهذا الحس هو الذي يربيه ويحميه من ارتكاب الذنوب والأخطاء حتى لا يوذي قلب إمامه الغائب.

الثانيه: قوله عليه السلام وكلت مما كلتم.

هنا يريد عليه السلام أن يذكرنا بحقيقه وهي أنه معنا في كل مكان يعيش بيننا ويكل مما نكل.

وليس بصحيح أن نعتقد أنه بعيد عنا يعيش مهجوراً وبعيد عن حياتنا، ولا يوجد أي ارتباط له بنا، بل علينا أن نعلم أنه معنا كما هو حال أجداده الأئمه عليهم السلام عاشوا مع الناس ومشوا في أسواقهم، وكلوا معهم. وهكذا حال الإمام المهدي عليه السلام مع الناس ولكن بفارق واحد هو أنهم لا يعرفونه من هو.

يقول الصادق عليه السلام: فما تنكر هذه الأمه أن يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل أن يعرفهم بنفسه.

الثالثه: قوله عليه السلام: دعوت لكم.

أي أن الإمام دائم الدعاء لشيعته، وهذا يدل أنه على ارتباط مستمر بهم، يتتبع أخبارهم وأحوالهم ويدعوا لهم لقضاء حوائجهم.

والدعاء للشيعة من صفات الإمام المهدي عليه السلام.

يقول السيد ابن طاووس: في أحد اليالي وأنا في السرداب في سامراء سمعت الإمام المهدي يدعو بهذا الدعاء والمناجات.

«اللهم ان شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقيه طينتنا وقد فعلوا ذنوباً كثيرة اتكالاً على حبنا وولايتنا فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا وما كان منها فيما بينهم فاصلح بينهم».

الرابعة: ان من اهم مطالب هذه الرساله هي الدعوه الصريحه إلى جميع الشيعه ان يدعوا له بالفرج، فادعوا لي بالفرج.

وهذا الطلب من الإمام عليه السلام لم يكن في هذه الرساله فقط بل من قبل ألف عام ومن خلال طرق مختلفه كررها الإمام عليه السلام.

والواجب أن تكون علاقتنا به علاقة مأموم بإمام يرجع إليه في كل تفاصيل حياته وهناك أداب ذكرتها الروايات الشريفة سنقتصر على ذكر ثلة منها قدمناها على غيرها للحاجة وللأهمية وهي كما يلي:

١ - مواساته في غيبته تألماً وبكاءً والتشوق لرؤيته:

وهذه الآداب مما تواترت بها الروايات والأدعية والزيارات عن أئمة

الهدى. والتي تؤكد في النفس شدة تألمه هو نفسه من طول غيبته وغربته الموجبة لتألم وتحرق محبيه مواساتاً له فمن دعاء الندبة نقرأ: «**عزيز علي أن أرى الخلق ولا ترى، ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى، عزيز علي ان لا تحيط بي دونك البلوى**».

وهذا يدل إلى ضرورة تأصيل ليس فقط الحرقة والغصة والألم لفراقه وطول غيابه بل المشاركة له في تحمله ألم الفراق لأنه أشد شوقاً إلى الإياب من غيبته من أي مشتاق آخر ولذا هو أشد ألماً من أي متألم آخر. ويفترض أن تكون هذه الشكوى وهذا الألم والبكاء بشكل جماعي ومشترك: «... **هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء، هل من جزوع فساعد جزعه إذا خلا، هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى**».

ولقد كان أئمة أهل البيت يتحرقون شوقاً اليه ويتألمون من غيبته فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يضرب عند ذكره له على صدره قائلاً (هاه) من شدة شوقه، وهذا صادق أهل البيت عليهم السلام يناديه ملتاعاً متألماً: «**سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيقت علي مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، فقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد فما أحس بدمعة ترقى من عيني وانين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا...**».

فإذا كان هذا حال أئمة الهدى فما بالنا لا نردد بالقلب قبل اللسان: «**اللهم أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة واكحل ناظري بنظرة مني إليه...**» ولعلنا نستطيع أن نعد من آيات الشوق لرؤية طلعته البهية.

في دعاء الندبة أكثر من ثلاثين فقرة ينادي بها الدعاء أين... أين... أين. وهي أمنية الشائق: «... **بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى من مؤمن ومؤمنة إذا حنا**».

٢- الصلاة عليه والدعاء له بالفرج:

وهذا أيضاً مما تمتلىء به نصوص العترة الطاهرة على اختلافها فمن دعاء الإفتتاح: «**اللهم وصل على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر...**».

والدعاء نفسه أيضاً فيه فقرات عظيمة من الدعاء بفرجه. وفي غير دعاء الإفتتاح نقرأ: «**وصل على الخلف الصالح الهادي المهدي... اللهم وصل على وليك المحي سنتك القائم بأمرك الداعي إليك والدليل عليك...**».

٣ - التوسل به في المهمات وطلب الحوائج:

إن الإمام المهدي عجل الله تعإلى فرجه هو ولي الله في أرضه وعين الله في خلقه وهو بقية الباب المبتلى به الناس وقد وود في دعاء الندبة: «... **أين باب الله الذي منه يؤتى، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين أهل الأرض والسماء...**».

وقد ورد أيضاً عن الإمام الرضا عليه السلام: فإذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عز وجل وهو قوله: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾.

ولقد كانت سيرة العلماء والعرفاء أنهم إذا أهمهم أمر ونزلت بهم حاجة أو ضائقة توسلوا بأهل بيت العصمة لا سيما حجة الله عجل الله تعإلى فرجه لطلب الفرج.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا التوسل: «**اللهم إني أسألك بحق وليك وحجتك صاحب الزمان إلا أعنتني به على جميع أموري**».

● آثار الإستغاثة بالإمام الحجة:

ناقش أحد محبين الإمام المهدي (عج) أحد العلماء بهذا السؤال: جاء في دعاء الندبة هذه الكلمات «**فأغث ياغياث المستغيثين عبدك المبتلى وأره سيده يا شديد القوى**» تقول هل أن رؤية صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه تختص بالإنسان المؤمن المبتلى والراضي بقضاء الله تبارك وتعالى؟

فأجاب سماحته الظاهر من سياق هذه الفقرات في دعاء الندبة الشريف الوارد هو شدة التعلق والتولع والولع والانشداد القلبي والحب للناحية المقدسة بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

اذن كما نعلم أن أحاديث كثيرة وآيات قرآنية كريمة فسرت الإيمان وقمة الإيمان بالحب «**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**» فهذه لغة ومنطق من القرآن بالتعبير عن الإيمان باكبر ترجمان له وهو الحب.

وهل الإيمان إلا الحب؟ إذن شدة المحبة وشدة التعلق القلبي ناجمة عن شدة وكمال الإيمان. فإذا اشتد ولع الإنسان وحبه إلى مولاه وإمامه وسيد عصره والحجة عليه من الله وخليفة الله في أرضه، ينشد بحيث يكون مبتلى قلبه وشعوره وانشداده وهمّ نفسه برؤية سيده ومولاه وإمام زمانه وخليفة الله في أرضه ولسان الله الناطق في العباد. نعم ينشد بولع اكثر فأكثر.

وكما هو مجرب على أية حال عند كثير من العلماء الأتقياء الأكابر باشتداد هذا الولع وهو نوع من اشتداد الإيمان في الواقع والتولي بولي الله، نعم ربما الله عزوجل يقيض نوعاً من التشرف بلقياه ومحياه.

إن الإمام موجود معنا وقريب منا، ولكن الأعمال السيئة والمنكرات هي التي تحجب أبصارنا عن رؤيته، وتسد أسماعنا عن سماع كلامه،

وسماع جوابه عندما نزوره ونسلم عليه مثلاً، وكذلك جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام. وإن الله سبحانه قريب منا، أقرب مما نتصوره بعقولنا الغافلة وأحاسيسنا المحدودة. ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾، وكما يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه. «**وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك**». فهو تعالى ليس ببعيد عنا، ولكننا نحن البعيدون عنه سبحانه نتيجة لسوء أعمالنا.

إذن؛ فالإمام عجل الله فرجه موجود معنا، والواجب أن نصلح أنفسنا لنشعر بوجوده ونعمق علاقتنا به ، بل قد نحظى بشرف رؤيته واللقاء به في بعض الأوقات والأماكن، فذلك شيء ممكن بإذن الله تعالى. ولكن كيف يمكننا أن نصلح أنفسنا ونزيد من ارتباطنا وحرارة علاقتنا به عجل الله فرجه؟

• سيد حيدر يلتقي بالإمام المهدي:

سيد حيدر الحلي كان يكتب الأشعار، وكلما يكتب شعراً يذهب ويقرأه عند مقام الإمام الحسين، كتب قصيدته الله يا حامي الشريعة (قصيدة عينية)، ولم يخبر أحداً بها؟ وحينها رأى شخصاً أعرابياً أثناء مسيره لمقام أبي عبدالله قال الإعرابي يا سيد حيدر، يا سيد حيدر إقرا لي قصيدتك العينية، سيد حيدر لم ينتبه لأن قصيدته لم يسمع أحد عنها، فقال هذي قصيدة سأذهب لقراءتها عند الضريح، قال لقد آذيتني اقرأها يا سيد حيدر، قال له هذي قصيدة بليغة وأنت إعرابي، قال اقرأها، فبدأ يقول الله يا حامي الشريعة أتقر وهي كذا مروعة، إلى أن وصل مات التصبر بانتظارك أيها المحيي الشريعة، فأخذ الأعرابي يقلب كفيه ويبكي ويقول سيد حيدر الأمر ليس بيدي، وأخذ يردد أبيات القصيد حتى قرأ حيث الحسين على الثرى خيل العدى طحنت ضلوعه، فبكى وبكى الأعرابي وردد القصيدة إلى أن أنهاها وذهب الإعرابي وتبين أن الأعرابي هو صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه)،

مات التصبر بانتظارك أيها المحيي الشريعة، رائعة السيد حيدر الحلي في الإمام المنتظر عليه السلام يستعرض فيه ما ألم بالإسلام من المحن والخطوب، وتجميد أحكامه، ثم يعرج ثانياً إلى رثاء أبى الأحرار الإمام الحسين عليه السلام وطفله الرضيع المظلوم الذي سكن دمه الخلد، فقد هز ضمير العالم بما حل به من عظيم الآلام، يقول السيد حيدر:

الله يا حامى الشريعة	أتقر وهي كذا مروعه
بك تستغيث وقلبها	لك عن جوى يشكو صدوعه
تدعو وجرد الخيل مصغيه	لدعوتها سميعة
وتكاد ألسنة السيوف	تجيب دعوتها سريعة
فصدورها ضاقت بسر	الموت فأذن أن تذيعه

ويستمر السيد حيدر في استنهاض الإمام عليه السلام فيقول:

مَاتَ التصبُّرُ في انتظارك	أيُّهَا المُحيِي الشَّريعَة
فَانهَض فَما أبقى التحمُّل	غيرَ أحشاءٍ جَزُوعَة
قد مَزَّقت ثوبَ الأسى	وشَكَت لواصِلِها القطيعَة
فالسيف إنَّ بِهِ شفاء	قلوبِ شِيعَتِكَ الوَجيعَة
فَسواه منهم ليس يُنعش	هذه النفس الصريعَة
طالَت حِبال عواتق	فمتى تكون به قطيعَة
كم ذا القعود ودينكم	هُدمت قواعدُهُ الرَّفيعَة
تنعى الفروعُ أصولَه	وأصولُهُ تنعى فروعَه
فيه تَحَكَّم من أباح	اليوم حوزتَهُ المنيعَة

ويعرض السيد حيدر المآسي والنكبات التي منى بها الإسلام، وابتلى

بها المسلمون، وعرج بعد ذلك إلى مصائب سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الخالدة في دنيا الأحزان فيقول مخاطباً الإمام المنتظر (عج):

ماذا يُهيجُك إن صَبرتَ ... لِوقعَةِ الطفِّ الفضيعَة
أتُرى تجيءُ فجيعة ... بأمَضٍ من تلك الفجيعَة
حيث الحسين على الثرى ... خيل العدى طَحَنَت ضُلوعَه
قَتلَتهُ آلُ أمية ظامٍ ... إلى جنبِ الشريعَة
ورضيعُه بدم الوريد ... مخضَّبٌ فاطلُب رضيعَه

****

ندبة

المرحوم الشيخ/ جعفر النقدي

طالت بغيبتك الاعوام والحجج ... فداك نفسي متى يأتي لنا الفرج
ماذا اعتذارك للدين الحنيف إذا ... وافاك يشكو الرزايا وهو منزعج
الدهر جرد فينا من مصائبه ... عضبا غدت فيه منا تسفك المهج
وقام يشمت منا كل ذي حنق ... جمر العداوة في أحشاه معتلج
حتى متى الصبر والدنيا قد امتلأت ... جوراً وقد زاد في آفاقها الهرج
نهضا فركن الهدى من بعد رفعته ... قد هدمته رعاع الناس والهمج
هذي امية ظلماً دك بينهم ... من طود مجدكم في كربلا ثبج
غداة طبقت الدنيا بمارقة ... في ظلمة الغي بعد الرشد قد ولجوا

*****

في إنتظار يوسف الزهراء

يا غــــائبــاً عنا وأنت قـــريب — إن مـــسّنا ضـــر فـــأنت رقـــيب
آلامنا عظمت ويسعفها اللقا — وجـــراحنا نزفت وأنت طبـــيب
هذي القلوب بنبضها اشتاقت — وكم نبضت لمقدمك الشريف قلوب
وعذاب من شغفوا بحبك سائغ — والانتظار لغـــائب تعـــذيب
حـــتى النبي بعـــينه بان الأسى — ولقد أصيب بيوسف يعقوب
أأنت مـــحـــجوب؟ توّهم عاقل — ويسرك القدسي حار لبـــيب
أم أنت فـــينا حــاضــر أم ناظر — أم ســـامع لندائنا ومـــجـــيب
لكنهـا عين الحـيارى صـدّها — نـور فناظـرها بـه مـــسلوب
والنور من تلك الزجاجة ينجلي — فـيخّر موسى والجبال تذوب
يا سيدي طال الفراق وهل ترى — يقوى على طول الفراق حبيب
يا سيدي طال الغياب وهل ترى — لسنا لخلان الوفا فتغيب
يا سيدي اليوم وصلك موعد — أم دون ذاك حـــــوادث وخطوب
يا سيدي أبفجر يوم نلتقي — أم أنت بدر يحـــتـــويه غـــروب
فكما بيثرب من قدوم محمد (ص) — نأتي صـباحـاً أم أطل مـغـيب
يا سيدي إن كان عتبي مؤلماً — عـذراً فـأنت لدينا يعسوب
تبقى تردك الشفاه ونبتدي — فـيك الدّعـا حـبا وذكرك طيب
شرق البلاد وغربها بك تحتفي — وتطيب فـيك شـمـائل وجنوب
صـبراً جميلاً وانتظارك بعده — فـــرج وفـــتـح عـــاجل وقـــريب

❖❖❖❖

دعاء الندبة

«الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى ما جَرى بِهِ قَضاؤكَ في أَوْلِيائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ، إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ ما عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لا زَوالَ لَهُ وَلاَ اضْمِحْلالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها، فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ، وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّناءَ الْجَلِيَّ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلائِكَتَكَ وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ وَالْوَسِيلَةَ إِلى رِضْوانِكَ، فَبَعْضٌ أَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ إِلى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْها، وَبَعْضٌ حَمَلْتَهُ في فُلْكِكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلاً وَسَأَلَكَ لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ فَأَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذلِكَ عَلِيّاً، وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيماً وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِدْءاً وَوَزِيراً، وَبَعْضٌ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَآتَيْتَهُ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَكُلٌّ شَرَعْتَ لَهُ شَرِيعَةً، وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهاجاً، وَتَخَيَّرْتَ لَهُ أَوْصِياءَ، مُسْتَحْفِظاً بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ مِنْ مُدَّةٍ إِلى مُدَّةٍ، إِقامَةً لِدِينِكَ، وَحُجَّةً عَلى عِبادِكَ، وَلِئَلا يَزُولَ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ وَيَغْلِبَ الْباطِلُ عَلى أَهْلِهِ، وَلا يَقُولَ أَحَدٌ لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً مُنْذِراً وَأَقَمْتَ لَنا عَلَماً هادِياً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى، إِلى أَن انْتَهَيْتَ بِالأَمْرِ إِلى حَبِيبِكَ وَنَجِيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكانَ كَما انْتَجَبْتَهُ سَيِّدَ مَنْ خَلَقْتَهُ، وَصَفْوَةَ مَنِ اصْطَفَيْتَهُ، وَأَفْضَلَ مَنِ اجْتَبَيْتَهُ، وَأَكْرَمَ مَنِ اعْتَمَدْتَهُ، قَدَّمْتَهُ عَلى أَنْبِيائِكَ، وَبَعَثْتَهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ عِبادِكَ، وَأَوْطَأْتَهُ مَشارِقَكَ وَمَغارِبَكَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْبُراقَ، وَعَرَجْتَ بِهِ إِلى سَمائِكَ، وَأَوْدَعْتَهُ

عِلْمَ ما كانَ وَما يَكُونُ إلَى إنْقِضاءِ خَلْقِكَ، ثُمَّ نَصَرْتَهُ بالرُّعْبِ، وَحَفَفْتَهُ بِجَبْرَئيلَ وَميكائيلَ وَالْمُسَوِّمينَ مِنْ مَلائِكَتِكَ وَوَعَدْتَهُ أنْ تُظْهِرَ دينَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَذلِكَ بَعْدَ أنْ بَوَّأْتَهُ مَبَوَّأَ صِدْقٍ مِنْ أهْلِهِ، وَجَعَلْتَ لَهُ وَلَهُمْ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلْعالَمينَ، فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إبْراهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً، وَقُلْتَ إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً ثُمَّ جَعَلْتَ أجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ في كِتابِكَ فَقُلْتَ: قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى وَقُلْتَ ما سَألْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ وَقُلْتَ: ما أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ إلاّ مَنْ شاءَ أنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سَبيلاً، فَكانُوا هُمُ السَّبيلَ إلَيْكَ وَالْمَسْلَكَ إلى رِضْوانِكَ، فَلَمَّا انْقَضَتْ أيّامُهُ أقامَ وَلِيَّهُ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِبٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِما وَآلِهِما هادِياً، إذْ كانَ هُوَ الْمُنْذِرَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ، فَقالَ وَالْمَلأُ أمامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَقالَ: مَنْ كُنْتُ أنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أميرُهُ، وَقالَ أنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ وَسائِرُ النّاسِ مِنْ شَجَرٍ شَتّى، وَأحَلَّهُ مَحَلَّ هارُونَ مِنْ مُوسى، فَقالَ لَهُ أنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى إلاّ أنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمينَ، وَأحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ ما حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الأبْوابَ إلاّ بابَهُ، ثُمَّ أوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ فَقالَ: أنَا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أرادَ الْمَدينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأتِها مِنْ بابِها، ثُمَّ قالَ: أنْتَ أخي وَوَصِيّي وَوارِثي، لَحْمُكَ مِنْ لَحْمي وَدَمُكَ مِنْ دَمي وَسِلْمُكَ سِلْمي وَحَرْبُكَ حَرْبي وَالإيمانُ مُخالِطٌ لَحْمَكَ وَدَمَكَ كَما خالَطَ لَحْمي وَدَمي، وَأنْتَ غَداً عَلَى الْحَوْضِ خَليفَتي وَأنْتَ تَقْضي دَيْني وَتُنْجِزُ عِداتي وَشيعَتُكَ عَلى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ مُبْيَضَّةً وُجُوهُهُمْ حَوْلي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جيراني، وَلَوْلا أنْتَ يا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ

بَعْدي، وكانَ بَعْدَهُ هُدىً مِنَ الضَّلالِ وَنُوراً مِنَ الْعَمى، وَحَبْلَ اللهِ الْمَتينَ وَصِراطَهُ الْمُسْتَقيمَ، لا يُسْبَقُ بِقَرابَةٍ في رَحِمٍ وَلا بِسابِقَةٍ في دينٍ، وَلا يُلْحَقُ في مَنْقَبَةٍ مِنْ مَناقِبِهِ، يَحْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَآلِهِما، وَيُقاتِلُ عَلَى التَّأْويلِ وَلا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، قَدْ وَتَرَ فيهِ صَناديدَ الْعَرَبِ وَقَتَلَ أَبْطالَهُمْ وَناوَشَ ذُؤْبانَهُمْ، فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وَحُنَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَأَضَبَّتْ عَلى عَداوَتِهِ وَأَكَبَّتْ عَلى مُنابَذَتِهِ، حَتّى قَتَلَ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ، وَلَمّا قَضى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقَى الآخِرينَ يَتْبَعُ أَشْقَى الأَوَّلينَ، لَمْ يُمْتَثَلْ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْهادينَ بَعْدَ الْهادينَ، وَالأُمَّةُ مُصِرَّةٌ عَلى مَقْتِهِ مُجْتَمِعَةٌ عَلى قَطيعَةِ رَحِمِهِ وَإِقْصاءِ وُلْدِهِ إِلاّ الْقَليلَ مِمَّنْ وَفى لِرِعايَةِ الْحَقِّ فيهِمْ، فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَسُبِيَ مَنْ سُبِيَ وَأُقْصِيَ مَنْ أُقْصِيَ وَجَرَى الْقَضاءُ لَهُمْ بِما يُرْجى لَهُ حُسْنُ الْمَثُوبَةِ، إِذْ كانَتِ الأَرْضُ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ، وَسُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً، وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ، فَعَلَى الأَطائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَآلِهِما فَلْيَبْكِ الْباكُونَ، وَإِيّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ النّادِبُونَ، وَلِمِثْلِهِمْ فَلْتَذْرِفِ الدُّمُوعُ، وَلْيَصْرُخِ الصّارِخُونَ، وَيَضِجَّ الضّاجُّونَ، وَيَعِجَّ الْعاجُّونَ، أَيْنَ الْحَسَنُ أَيْنَ الْحُسَيْنُ أَيْنَ أَبْناءُ الْحُسَيْنِ، صالِحٌ بَعْدَ صالِحٍ، وَصادِقٌ بَعْدَ صادِقٍ، أَيْنَ السَّبيلُ بَعْدَ السَّبيلِ، أَيْنَ الْخِيَرَةُ بَعْدَ الْخِيَرَةِ، أَيْنَ الشُّمُوسُ الطّالِعَةُ، أَيْنَ الأَقْمارُ الْمُنيرَةُ، أَيْنَ الأَنْجُمُ الزّاهِرَةُ، أَيْنَ أَعْلامُ الدّينِ وَقَواعِدُ الْعِلْمِ، أَيْنَ بَقِيَّةُ اللهِ الَّتي لا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْهادِيَةِ، أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ، أَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لإِقامَةِ الأَمْتِ وَالْعِوَجِ، أَيْنَ الْمُرْتَجى لإِزالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ، أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْديدِ الْفَرائِضِ وَالسُّنَنِ، أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لإِعادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّريعَةِ، أَيْنَ

الْمُؤَمَّلُ لإحْياءِ الْكِتابِ وَحُدُودِهِ، أَيْنَ مُحْيي مَعالِمِ الدّينِ وَأَهْلِهِ، أَيْنَ قاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدينَ، أَيْنَ هادِمُ أَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفاقِ، أَيْنَ مُبيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، أَيْنَ حاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشِّقاقِ، أَيْنَ طامِسُ آثارِ الزَّيْغِ وَالأَهْواءِ، أَيْنَ قاطِعُ حَبائِلِ الْكِذْبِ وَالإفْتِراءِ، أَيْنَ مُبيدُ الْعُتاةِ وَالْمَرَدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنادِ وَالتَّضْليلِ وَالإلْحادِ، أَيْنَ مُعِزُّ الأَوْلِياءِ وَمُذِلُّ الأَعْداءِ، أَيْنَ جامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوى، أَيْنَ بابُ اللهِ الَّذى مِنْهُ يُؤْتى، أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذى إلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الأَوْلِياءُ، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّماءِ، أَيْنَ صاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَناشِرُ رايَةِ الْهُدى، أَيْنَ مُؤَلِّفُ شَمْلِ الصَّلاحِ وَالرِّضا، أَيْنَ الطّالِبُ بِذُحُولِ الأَنْبِياءِ وَأَبْناءِ الأَنْبِياءِ، أَيْنَ الطّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاءَ، أَيْنَ الْمَنْصُورُ عَلى مَنِ اعْتَدى عَلَيْهِ وَافْتَرى، أَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذي يُجابُ إذا دَعا أَيْنَ صَدْرُ الْخَلائِقِ ذُو الْبِرِّ وَالتَّقْوى، أَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفى، وَابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضى، وَابْنُ خَديجَةَ الْغَرّاءِ، وَابْنُ فاطِمَةَ الْكُبْرى، بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي وَنَفْسي لَكَ الْوِقاءُ وَالْحِمى، يا بْنَ السّادَةِ الْمُقَرَّبينَ، يا بْنَ النُّجَباءِ الأَكْرَمينَ، يا بْنَ الْهُداةِ الْمَهْدِيّينَ ، يا بْنَ الْخِيَرَةِ الْمُهَذَّبينَ، يا بْنَ الْغَطارِفَةِ الأَنْجَبينَ، يا بْنَ الأَطايِبِ الْمُطَهَّرينَ ، يا بْنَ الْخَضارِمَةِ الْمُنْتَجَبينَ، يا بْنَ الْقَماقِمَةِ الأَكْرَمينَ ، يا بْنَ الْبُدُورِ الْمُنيرَةِ، يا بْنَ السُّرُجِ الْمُضيئَةِ، يا بْنَ الشُّهُبِ الثّاقِبَةِ، يا بْنَ الأَنْجُمِ الزّاهِرَةِ، يا بْنَ السُّبُلِ الْواضِحَةِ، يا بْنَ الأَعْلامِ اللاّئِحَةِ، يا بْنَ الْعُلُومِ الْكامِلَةِ، يا بْنَ السُّنَنِ الْمَشْهُورَةِ، يا بْنَ الْمَعالِمِ الْمَأْثُورَةِ، يا بْنَ الْمُعْجِزاتِ الْمَوْجُودَةِ، يا بْنَ الدَّلائِلِ الْمَشْهُودَةِ ، يا بْنَ الصِّراطِ الْمُسْتَقيمِ، يا بْنَ النَّبَأِ الْعَظيمِ، يا بْنَ مَنْ هُوَ في أُمِّ الْكِتابِ لَدَى اللهِ عَلِيٌّ حَكيمٌ، يا بْنَ الآياتِ وَالْبَيِّناتِ، يا بْنَ الدَّلائِلِ الظّاهِراتِ، يا بْنَ الْبَراهينِ الْواضِحاتِ الْباهِراتِ، يا بْنَ

الْحُجَجِ الْبالِغاتِ، يَا بْنَ النِّعَمِ السّابِغاتِ، يَا بْنَ طه وَالْمُحْكَماتِ، يَا بْنَ يس وَالذّارِياتِ، يَا بْنَ الطُّورِ وَالْعادِياتِ، يَا بْنَ مَنْ دَنا فَتَدَلّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ اَدْنى دُنُوّاً وَاقْتِراباً مِنَ الْعَلِيِّ الأعْلى، لَيْتَ شِعْري أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوى، بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّكَ أَوْ ثَرى، أَبِرَضْوى أَوْ غَيْرِها أَمْ ذي طُوى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلا تُرى وَلا أَسْمَعُ لَكَ حَسيساً وَلا نَجْوى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوى وَلا يَنالُكَ مِنّي ضَجيجٌ وَلا شَكْوى، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنّا، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ نازِحٍ ما نَزَحَ عَنّا، بِنَفْسي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شائِقٍ يَتَمَنّى، مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرا فَحَنّا، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ عَقيدِ عِزٍّ لايُسامى، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ أَثيلِ مَجْدٍ لا يُجارى، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ تِلادِ نِعَمٍ لا تُضاهى، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ نَصيفِ شَرَفٍ لا يُساوى، إِلى مَتى أَحارُ فيكَ يا مَوْلايَ وَإِلى مَتي، وَأَيَّ خِطابٍ أَصِفُ فيكَ وَأَيَّ نَجْوى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجابَ دُونَكَ وَأُناغى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرى، عَزيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ ما جَرى، هَلْ مِنْ مُعينٍ فَأُطيلَ مَعَهُ الْعَويلَ وَالْبُكاءَ، هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُساعِدَ جَزَعَهُ إِذا خَلا، هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَساعَدَتْها عَيْني عَلَى الْقَذى، هَلْ إِلَيْكَ يا بْنَ أَحْمَدَ سَبيلٌ فَتُلْقى، هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمُنا مِنْكَ بِعِدَةٍ فَنَحْظى، مَتى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوى، مَتى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مائِكَ فَقَدْ طالَ الصَّدى، مَتى نُغاديكَ وَنُراوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيْناً، مَتى تَرانا وَنَراكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِواءَ النَّصْرِ تُرى، أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنْتَ تَأُمُّ الْمَلاَ وَقَدْ مَلأْتَ الأَرْضَ عَدْلاً وَأَذَقْتَ أَعْداءَكَ هَواناً وَعِقاباً، وَأَبَرْتَ الْعُتاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دابِرَ الْمُتَكَبِّرينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظّالِمينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، اللّهُمَّ أَنْتَ كَشّافُ الْكُرَبِ وَالْبَلْوى، وَإِلَيْكَ أَسْتَعْدي فَعِنْدَكَ الْعَدْوى، وَأَنْتَ رَبُّ الآخِرَةِ وَالدُّنْيا، فَأَغِثْ يا غِياثَ الْمُسْتَغيثينَ عُبَيْدَكَ

الْمُبْتَلى، وَأرِهِ سَيِّدَهُ يا شَديدَ الْقُوى، وَأزِلْ عَنْهُ بِهِ الأسى وَالْجَوى، وَبَرِّدْ غَليلَهُ يا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى، وَمَنْ إلَيْهِ الرُّجْعى وَالْمُنْتَهى، اللّهُمَّ وَنَحْنُ عَبيدُكَ التّائِقُونَ إلى وَلِيِّكَ الْمُذَكِّرِ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ، خَلَقْتَهُ لَنا عِصْمَةً وَمَلاذاً، وَأقَمْتَهُ لَنا قِواماً وَمَعاذاً، وَجَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنينَ مِنّا إماماً، فَبَلِّغْهُ مِنّا تَحِيَّةً وَسَلاماً، وَزِدْنا بِذلِكَ يارَبِّ إكْراماً، وَاجْعَلْ مُسْتَقَرَّهُ لَنا مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً، وَأتْمِمْ نِعْمَتَكَ بِتَقْديمِكَ إيّاهُ أمامَنا حَتّى تُورِدَنا جِنانَكَ وَمُرافَقَةَ الشُّهَداءِ مِنْ خُلَصائِكَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ جَدِّهِ وَرَسُولِكَ السَّيِّدِ الأكْبَرِ، وَعَلى أبيهِ السَّيِّدِ الأصْغَرِ، وَجَدَّتِهِ الصِّدّيقَةِ الْكُبْرى فاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلى مَنِ اصْطَفَيْتَ مِنْ آبائِهِ الْبَرَرَةِ، وَعَلَيْهِ أفْضَلَ وَأكْمَلَ وَأتَمَّ وَأدْوَمَ وَأكْثَرَ وَأوْفَرَ ما صَلَّيْتَ عَلى أحَدٍ مِنْ أصْفِيائِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاةً لا غايَةَ لِعَدَدِها وَلا نِهايَةَ لِمَدَدِها وَلا نَفادَ لأمَدِها، اللّهُمَّ وَأقِمْ بِهِ الْحَقَّ وَادْحَضْ بِهِ الْباطِلَ وَأدِلْ بِهِ أوْلِياءَكَ وَأذْلِلْ بِهِ أعْداءَكَ وَصِلِ اللّهُمَّ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ وُصْلَةً تُؤَدّي إلى مُرافَقَةِ سَلَفِهِ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَأخُذُ بِحُجْزَتِهِمْ، وَيَمْكُثُ في ظِلِّهِمْ، وَأعِنّا عَلى تَأدِيَةِ حُقُوقِهِ إلَيْهِ، وَالإجْتِهادِ في طاعَتِهِ، وَاجْتِنابِ مَعْصِيَتِهِ، وَامْنُنْ عَلَيْنا بِرِضاهُ، وَهَبْ لَنا رَأفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعاءَهُ وَخَيْرَهُ مانَنالُ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَفَوْزاً عِنْدَكَ، وَاجْعَلْ صَلاتَنا بِهِ مَقْبُولَةً، وَذُنُوبَنا بِهِ مَغْفُورَةً، وَدُعاءَنا بِهِ مُسْتَجاباً وَاجْعَلْ أرْزاقَنا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَهُمُومَنا بِهِ مَكْفِيَّةً، وَحَوائِجَنا بِهِ مَقْضِيَّةً، وَاقْبِلْ إلَيْنا بِوَجْهِكَ الْكَريمِ وَاقْبَلْ تَقَرُّبَنا إلَيْكَ، وَانْظُرْ إلَيْنا نَظْرَةً رَحيمَةً نَسْتَكْمِلُ بِها الْكَرامَةَ عِنْدَكَ، ثُمَّ لا تَصْرِفْها عَنّا بِجُودِكَ، وَاسْقِنا مِنْ حَوْضِ جَدِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكَأسِهِ وَبِيَدِهِ رَيّاً رَوِيّاً هَنيئاً سائِغاً لا ظَمَأَ بَعْدَهُ يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ» .

المصادر

- القرآن الكريم.
- الزيارة الجامعة الكبيرة.
- بحار الأنوار.
- الغيبة للنعماني.
- كنز العمال.
- سنن أبي داود.
- كشف الغمة.
- اثباة الهداة.
- كمال الدين.
- مجمع البيان.
- مناقب آل أبي طالب.
- علل الشرايع.
- البرهان
- الإمامة والبصيرة.
- أمالي الطوسي
- غيبة الطوسي.
- إلزام الناصب.
- مشارق أنوار اليقين.
- نور الثقلين
- مسند أحمد.
- شرح المقاصد.
- أصول الكافي.
- الأسرار الفاطمية.
- مكيال المكارم.
- الاحتجاج.
- الكافي.
- غيبة النعماني.
- بصائر الدرجات.
- معجم أحاديث الإمام المهدي.
- جنة المأوى.
- النجم الثاقب.
- مجمع الفائدة.
- بيان الأئمة.
- تاريخ الغيبة الكبرى.
- الإمام الشهيد المطهري.
- معاني الأخبار للصدوق.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الإصدارات السابقة للمؤلفة

١ - السيدة نفيسة عليها السلام.
٢ - أسد الله الحمزة.
٣ - الخضر عليه السلام.
٤ - معجزة الإمام الصادق عليه السلام.
٥ - سيد محمد سبع الدجيل..
٦ - المصلوب ابن المصلوب (يحيى بن زيد).
٧ - قرقيعان الإمام الحسن عليه السلام.
٨ - فاطمة المعصومة عليها السلام.
٩ - السيدة خديجة عليها السلام.
١٠ - يا صاحب الزمان أدركني.
١١ - أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.
١٢ - المهدي والصيحة الرمضانية.
١٣ - أفراح وأحزان أم البنين عليها السلام.
١٤ - أيتام كربلاء.
١٥ - لا إله إلا الله لماذا من شرطها وشروطها الإمام الرضا عليه السلام.
١٦ - دحو الأرض.
١٧ - تنوير الزائرين لمراقد المعصومين.
١٨ - السيدة زينب عليها السلام مجالس وكرامات.
١٩ - الغدير.
٢٠ - عبدالله الرضيع عليه السلام بين الرحمة المحمدية والقسوة الأموية.
٢١ - أم البنين مثل أعلى للمؤمنين.
٢٢ - التجليات الفاطمية.
٢٣ - الرحلة الملكوتية الحج.
٢٤ - فرحة فاطم بتتويج القائم.
٢٥ - الإمام العسكري عليه السلام ضياء في ظلمات العباسيين.
٢٦ - لو علم الناس فضل زيارة الإمام الحسين لماتوا شوقاً.
٢٧ - إلهي بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها.
٢٨ - سفرة معجزة الإمام الصادق عليه السلام في شهر رجب وأعمال شهر رجب.
٢٩ - رهين السجون الإمام باب الحوائج موسى بن جعفر عليه السلام.
٣٠ - سفرة مليكة الدنيا والآخرة السيدة نرجس آل محمد (أم الإمام المهدي عج).
٣١ -وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.
٣٢ - ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وآله في قلوب شيعة علي.
٣٣ - يسألونك عن الفاجعة الفاطمية.
٣٤ - جواد الأئمة (الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام)
٣٥ - مسجد جمكران.
٣٦ - الشفاء في حديث الكساء.
٣٧ - الإمام علي الهادي عليه السلام عاشر الأنوار في سلسلة الأطهار.
٣٨ - يا علي من قتلك قد قتلني.
٣٩ - المنجيات من الآيات والدعاء والزيارات.
٤٠ - أبو طالب بطل التوحيد ورمز الإيمان الصادق.
٤١- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عميد الصادقين ولسان الناطقين.
٤٢ - الإمام الباقر عليه السلام.
٤٣ - الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين وسيد الساجدين.
٤٤ - الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام.
٤٥ - روائع العِبر من حوادث شهر صفر.
مريم - يحيى - أولاد مسلم.
٤٦ - أين الرجبيون؟ في أعمال شهر رجب الأصب وأعمال أم داود.
٤٧ - علي عليه السلام فقط أمير المؤمنين ووليد الكعبة.
٤٨ - طوبى للشعبانيين (أعمال شهر شعبان).
٤٩ - عقيدتنا في الإسراء والمعراج والمبعث.
٥٠ - العلوي المصري.
٥١ - الجمال المهدوي (يوسف الزهراء).

